موقف الغزالى و إبن تيمية من المسيحية

" دراسة تحليلية نقدية "

دكتور

صابر عبده أبازيد



موقف الغزالى وإبن تيمية من المسيحية

دراسة تحليلية نقدية

أستاذ دكتور

صابر عبده أبا زيد

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بآداب قنا

وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

٢٠٠٧ م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

" لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ،
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم
قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون "

" صدق الله العظيم "

{ سورة المائدة — آية ٨٢ }

بُعث موسى (عليه السلام) بالجلال

وبُعث عيسى (عليه السلام) بالجمال

وبُعث محمد (ﷺ) بالكمال

"ابن تيمية"

شكر وتقدير

للسادة الأساتذة الدكاترة الأفاضل .. رئيس وأعضاء اللجنة العلمية الدائمة للترقيات لدرجة { أستاذ } في الفلسفة ، على ما أبدوه من ملاحظات قيمة على البحث المرجعي الذي كان بين أيديهم وأجازوه بالإجماع بعد مناقشته ، وهذا هو اليوم يكمل ليصبح بين يدي القراء الأعزاء .

أ.د. صابر أبا زيد

إهداء

إلى إبنتى نورهان ...

وإبنى عبد الله ...

قرة العين ونظرة الأمل

المؤلف

توطئة

١- في الموضوع ..

٢- في المنهج ..

١- في الموضوع ..

من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى أنزل على عباده كتباً سماوية وأرسل رسلاً مبشرين ومنذرين حتى لايكون هناك حجة على الناس بعد الرسل والأنبياء والديانات الثلاثة الكبرى (اليهودية / المسيحية / الإسلامية) هى ديانات منزلة معترف بها وانصارها يعتقدون بكل ما جاء به لأنها من قبل الله عز وجل والقرآن الكريم كتاب المسلمين يعترف بالديانة السماوية اليهودية ويسيدنا موسى (عليه السلام)، ويعترف بالديانة المسيحية وبسيدنا عيسى (عليه السلام) والإنجيل وأصبح ما يسمى بالعهدين (القديم والجديد) .

وإذا كانت الديانة اليهودية مادية جامدة صرفة والديانة المسيحية روحية لينة صرفة فجاء الإسلام بالقرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ)خاتم الكتب وخاتم الأنبياء ومكمل كل ما نقص كدين سماوى متمم ، وجاء ليجمع بين المادية المفرطة والروحانية الغالية فى عدل وسط وبشكل يُزهل العقول .

والدين الإسلامى لاقى ما لاقى من عنت وظلم وإضطهاد فى صدر الإسلام وقبل ان تثبت دعائمه وتشتد اركانه سواء من الكفار أو اليهود أو النصارى إلى أن أتم الله دينه وبشر به العالمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكان الإسلام فى تطوره يصطدم – وهذا أمر طبيعي – بشكل مباشر أو غير مباشر بكل من الديانتين . وإذا كان الصراع الأكثر حدة كان مع اليهود وأكثر منه مع النصارى لأسباب عديدة . واستمر الإسلام فى فتوحاته وتوسعاته متسلحاً بعلوم القرآن الكريم والسُنة النبوية الشريعة وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية وأصول الفقه والإخلاق والتصوف ، ولقد كانت نهايات القرن الرابع الهجرى ومطالع الخامس الهجرى فترة إزدهار المناهج الفلسفية والكلامية فى الإسلام ، كما سيطرت

آراء المدرسة المشائية الإسلامية التى تزعمها الفارابى وابن سينا ، وكذا أكتملت معالم الطريق الصوفى ومعالم علم الكلام من خلال علماء الكلام والفرق الإسلامية مدافعين عن الديانة الإسلامية ضد منتقديها ، وعمقت المضامين الروحية فى الإسلام وكان لهذا كله أكبر الأثر فى أضعاف سلطة الفقهاء والمدافعين عن النص الظاهر من أهل السنة وغيرهم من المتمسكين بظاهر العبادات والشعائر ، وقد أتسم العصر العباسى المتأخر بإنحلال سياسى وعسكرى واخلاقى واستولت فيه العناصر التركية على الحكم فى بغداد فأصبح السلاجقة أصحاب السلطة الفعلية فى بغداد وهددت الإسماعيلية الباطنية الخلافة واستشرى خطر القرامطة فى الإحساء وسقطت انطاكية والقدس فى أيدى الصليبين ، وبينما كان السلاجقة ينشئون المدارس النظامية للدفاع عن المذهب السُنى ، كان الفاطميون فى مصر ينشئون الأزهر الشريف وينشطون فى الدعوى المنظمة للمذهب الشيعى الفاطمى .

وبذلك اشتدت حدة الصراع المذهبى فى بلاد الإسلام وكاد جوهر العقيدة السمحة أن يحتجب وراء الخلافات الطائفية التى تجاهلت ما كان يحيق بالإسلام من خطر محقق كنتيجة للغزو الصليبى ومحاولات التخريب العقائدى المتعمد من جانب الباطنية وغيرهم.

ضف إلى ذلك خطر التتار بعد فترة وجيزة ، وما كان من أحوالهم فكان لابد إذن من مواجهة جذرية حاسمة لتثبيت دعائم الإيمان ومواجهة الأخطار والمؤامرات التى تحاك والغلو الذى ضرب اطنابه فى كل شئ ، وتحدد دور التصوف فى نطاق الموقف السُنى وتفند دعاوى المتفلسفة وأصحاب المناهج العقلية المتعارضة للعقيدة وأصحاب الديانات والشرائع الأخرى لما فيها من خطر يحيق بالأمة الإسلامية وآراء وأفكار تكاد تكون مسمومة ان لم تكن مشبوهة .. وبنفس أسلوبهم بعد أن استنفدت كل وسائل الدفاع الكلامية أغراضها وأدت دورها

فـى الحفـاظ علـى العقيدة من خلال مواقف رجال أقل ما يمكن أن يقال فيهم إنهم يقفون على رأس كل مائة سنة كمجددين للدين ومحافظين على العقيدة .

ومـن هـؤلاء الإمام ابو حامد الغزالي(*) . الأشعرى / الصوفى / الفقيه / الفيلسـوف المحيط بعلوم عصره ، ومن شخصيته ومواقفه التى هيأت لها الظروف لتلعب دوراً خطيراً فى القرن الخامس الهجرى .

والإمام تقى الدين أحمد بن تيمية(**) شيخ الإسلام السلفى / القائد / المجدد / الفقـيه / المَجـاهد ، الـذى لعب دوراً خطيراً فى المحيط الإسلامى وجاهد ضد حـروب التتار وسجن وعذب ، وهو يمثل نهاية القرن السابع الهجرى وأوائل القرن الثامن الهجرى .

ومـن هـنا جاء موضـوع الكتاب الذى كان فى الأصل " بحثاً مرجعياً للأسـتاذية " عن موقف الإمام الغزالي وابن تيمية من المسيحية ، فالإمام الغزالى كمـا هـو معروف يمثل القرن الخامس الهجري بآراؤه ومواقفه من خلال مؤلفاته العديدة التى أشتملت على جميع أنواع المعارف والعلوم .

وهـو فيلسـوف وصوفى ومُـتكلم هاجم الفلاسفة والباطنة والملاحدة ورد على اليهود والنصارى وكانت له مواقف مشرفة للدفاع عن الإسلام .

وابـن تيمـية يمثل القرن الثامن الهجري بكل ما فيه من جمود وتأخر وهو ناقد لازع يرفض التقليد والجمود ويميل إلى التجديد والإجتهاد ، وله آراء نقدية فى أغلـب مؤلفاتـه التى تجاوزت المئات وله ردود ومطارحات ومجادلات مع أغلب الفرق الكلامية والفلاسفة والصوفية والنصارى وغيرهم .

إذن نحن أمام عملاقين كبيرين فى الفكر الإسلامى لايغفل عنهما أى باحث منصـف بمـا لهما من مكانة رفيعة فى الفكر الفلسفى الإسلامى ، ومن هنا عدهم

الـبعض من مجددى القرون الذين يأتون تباعاً على رأس كل مائة سنة ، والإمامان واجهـا عوامـل الإنهيار والتبعثر مواجهة واعية صلبة تحفظ على الإسلام أصوله وتثبـت دعائمـه ، على أن الغزالى لم يكن كإبن تيمية في تزمته وملاحقته للنظر العقلـى فـى مجال العلم والدين ، فلقد كفر الفلاسفة فى بعض آرائهم وقبل البعض الآخر منها ، بل لقد تأثر بآرائهم وخصوصاً فى نظرية الفيض الأفلـوطينية ، حيث ربـط روجـيه أرنولديـز فكرة الأقانيم الثلاثة لدى المسيحية بنظرية أفلوطين في الفـيض عـن الواحد ، فأفلوطين يدخل نظام إنبثاق الأقانيم من الأخير ومنها ينبثق العقل ومن العقل النفس ، وهذا النظام هو بلا شك مناقض لفكرة الخلق التى تتوسط الديانـات الـثلاثة المنزلة ، ولا مجال هنا لنفحص كيف أعدت الفلسفات اللاهوتية الـيهودية والمسيحية والإسلامية نظرية فى الخلق منذ الأزل قادرة على دمج فكرة الفيض أو الإنبثاق مكان نظرية فى الخلق من القدم فى الزمن(١) .. إلخ ، ونرى ان التزمـت مرجعه التمسك بكتاب الله وسُنة نبيه (ﷺ) والشدة إنما كانت فى موضعها ولقـد نظـر ابن تيمية فى الكلام والفلسفة وبرز فى ذلك ورد على أكابر المتكلمين والفلاسـفة مـثلما فعـل الغزالى من قبل ، والأثنين عملا بالتدريس والفتوى والفقه وهمـا معاً لهما مؤلفات عديدة فى مجالات شتى ولهما دوراً هاماً وردوداً ومواقف ومجادلات وخصومات وحوارات مع معتنقى الأديان الأخرى المنزلة وغير المنزلة وبخاصة الديـانة المسيحية موضوع الدراسة .

والموضـوع الذى نحن بصدده من الموضوعات العسيرة الحساسة ومبعث الحساسية ان يكتب المرء فى رأى يخالف رأيه عن عقيدة تخالف عقيدته ويكتب عن عالميـن جليليـن لهمـا باع طويل فى مجال الدراسات الإسلامية (فلسفية/ كلامية/ صـوفية/ فقهية) ويفصل بينهما تاريخ زمنى يزيد عن مائتين سنة (الغزالى ٤٥٠-٥٠٥هـ / ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) وتصوير المسيحية كما يعتقد أصحابها ليس

فقط عسيرعلى الكاتب غير المسيحى ، بل أنه عسير على الكتاب المسيحيين أنفسهم ، يستوى فى ذلك المختصون فى الدراسات الدينية أو مقارنة الأديان وغير المختصين.(٢)

والباحث النزيه لابد له من دراسة المسيحية كما يعتقد اهلها مجرداً من النزعات السابقة على الدراسة والأهواء الشخصية والذاتية مع وجوب نقل نصوصهم المقدسة لتصوير تفكيرهم وتحديد عقائدهم ثم الرد عليهم بكافة الحجج والبراهين ، واعتقد أن هذا ما قام به كل من الإمام الغزالى فى كتابه **الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل** والشيخ ابن تيمية فى كتابه **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.**

ورغم البعد الزمانى والسبق التاريخى للغزالى عن ابن تيمية إلا أنهما احياناً يتفقان فى أمور كثيرة واحياناً أخر يختلفان ، ولكن ما يهمنا هنا إبراز موقف كل منهما من الديانة المسيحية وبالذات فى القضايا الجدلية العقدية من أمثال الألوهية والصفات والتثليث والأقانيم الثلاثة وحلول اللاهوت فى الناسوت والأدعاء بان عيسى (عليه السلام) ابن الله .. إلخ .

٢- فى المنهج :

- اما منهج الدراسة فى كتابنا هذا سيكون **المنهج التحليلى النقدى** ، المقارن أحياناً ، وسوف اتتبع مواقف كل من الغزالي وابن تيمية من خلال عرض وجهة نظر كل منهما حول ما أثير فى الديانة المسيحية وطبقاً للأناجيل الأربعة والرد من خلال القرآن الكريم ونصوصه وسوف أستخدم المصادر الأصلية فى تناول موضوع الكتاب الذى يشتمل على ثلاثة فصول تشتمل على عناصر عديدة.

الفصل الأول: حول الديانة المسيحية وموقف القرآن الكريم من الديانة المسيحية ومدى إهتمام كتب التراث بالأديان .

الفصل الثاني: موقف الإمام الغزالى من المسيحية وسنتناول مسائل عديدة فى نقاط مختصرة نذكر منها :-

١- مسألة الأتحاد وبيان سبيل الحق من وجوه.
٢- نصوص الإنجيل تصرح بانسانية عيسى (عليه السلام).
٣- مسألة الأقانيم الثلاثة (الأب والإبن والروح القدس) ومناقشة الإمام الغزالى لهم.
٤- حول ظهور المعجزات والخوارق على يد عيسى (عليه السلام).
٥- موقف الغزالى من إطلاق ألفاظ على عيسى (عليه السلام).
أ - لفظة الإله
ب- لفظة الرب
ج- لفظة الكلمة

الفصل الثالث: موقف ابن تيمية من المسيحية وسنتناول فيها عدة نقاط نذكر منها :-

١- الوحدانية والصفات .
٢- ابن تيمية وقصة المباهلة ورسائل الملوك .
٣- موقف ابن تيمية من ألوهية المسيح ووجوه النقد.
٤- ابن تيمية وموقفه من التثليث.
٥- قول ابن تيمية فى باب التوحيد (مناظرة قسطنطين وآريوس-مجمع نيقية ٣٢٥م) .
٦-موقف ابن تيمية من قضية الإتحاد وقوام كلمة الله الخالقة ونقده من وجوه .

ثـــم نعـــرض لخاتمة الكتاب وأهم النتائج التى توصلت إليها ثم نذيل البحث بـــأهم المصــــادر والمراجع التى إستعنت بها العربية منها والأجنبية مع التأكيد على دراسة مصادر الإماميين الجليلين ابو حامد الغزالى وابن تيمية.

ونسال الله التوفيق والسداد وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

<u>إسكندرية في : ٢٥/٤/٢٠٠٦م</u>

أ.د. / صابر أبا زيد

الفصل الأول

حـــــول الديـانـة المسيحــية

ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية ..

١-القرآن الكريم والديانة المسيحية.

٢-إهتمام التراث بالأديان .

تمهيد..

إن موضوع الجدل الديني ضد أهل الكتاب من الموضوعات الهامة والشائكة في آن واحد ، ومن أوائل الرسائل التي وصلتنا نجد رسالة الجاحظ " المختار في الرد على النصارى"[٣] الذي عرض فيه مسائل النصارى ضد المسيحية أولا بعد ان هذبها وقدمها ثم أجاب عنها مسألة مسألة فألزم وأفحم ، ثم سألهم بعد ذلك أسئلة دامغة عن ديانتهم ومعتقداتهم ومذهبهم ، والرسالة عبارة عن إستعراض لمطاعن النصارى على الإسلام ثم تفنيدها ودحضها ، ومن الأسئلة التي وجهها الجاحظ في رسالته .. لماذا كانت النصارى احب إلى عوام المسلمين عن المجوس واليهود ؟

والأسباب كثيرة والوجوه واضحة يعرفها من نظر ويجهلها من لم ينظر نذكر منها :-

أ – الجوار ، لأن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها ، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في شدة التمكن وثبات الحقد ، وإنما يعادي الإنسان من يعرف ، كما ان الإنسان عدو ما يجهل ، وتبدو للإنسان عيوب من يخالط وعلى قدر الحب والقرب يكون البعد والبغض.

ب– التأويل لآية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة وحفظتها النصارى واحتجت بها واستحالت قلوب الرعاع والسفلة وهو قول الله تعالى : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون "[٤].

١- القرآن الكريم والديانة المسيحية :-

إن أول درس إلهي / منهجي / موضوعي قدمه لنا القرآن الكريم في مجال دراسة الأديان وبالذات الديانة المسيحية ، بكل ما تحفل به من آيات بينات مفصلة أستوعبت كل الأديان والعقائد والملل والنحل والمذاهب المختلفة وقصص السابقين وعرض لنا القرآن الكريم مقالاتهم بكل دقة وإستقصاء قبل أن يعرضها العلماء والفلاسفة والمتكلمين في بطون كتبهم ، وفرق القرآن بين الدين الصحيح المرسل والمنزل من عند الله تعالى وبين الديانات البشرية الأرضية ، وخاطب القرآن مقالات الملاحدة والدهرية والصائبة والمجوس والزنادقة وغير ذلك [٥]قبل أن يدافع المتكلمون عن دينهم بالأدلة والحجج العقلية ضد الأديان الأخرى.

كما تحدث القرآن الكريم عن اليهود والنصارى[٦] وفصل مقالاتهم وإعتقاداتهم ومذاهبهم ووضح لنا الشطط والغلو في بعض آرائهم ومعتقداتهم حول المسيح وأمة والتثليث والصلب والأقانيم الثلاثة وغير ذلك كما سنرى.

وقد وردت لفظة المسيح بكل مشتقاتها في القرآن الكريم حوالي ٢٥ مرة مقابل خمس مرات ذكر فيها أسم نبي الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) ، ويقول د. أحمد ديدات داعية العصر إن المسيحي لايعلم أن أسم المسيح قد ذكر في القرآن الكريم خمسة أمثال ذكر نبي الإسلام في كتاب الله الكريم وأن المسيحي لايعلم ولايدرك أن المسلم لايذكر المسيح في لغته العربية دون ان يشفع أسمه بالسلام عليه (عليه السلام) .

والقرآن الكريم ينص على إن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل وبكل شعبه والتوحيد في العبادة فلا يعبد إلا الله والتوحيد في التكوين أن الله خالق السموات

والأرض وما بينهما فهو واحد لاشريك لـــه ، والتوحيد فى الذات والصفات فليست ذاته بمركبة وهى منزهه عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى، فالقرآن الكريم يثبت ان عيســـى (عليه السلام) مــا دعى إلا إلى التوحيد الكامل ، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى (عليه السلام) يوم القيامة فى محاورة بينه وبين ربه فـــى قولـــه تعالى : " وإذ قـــال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأمـــى إلهين من دون الله ، قـــال ســـبحانـــك ما يكون لـــى أن أقول ما ليس لى بحق ان كـــنت قلته فقد علمـــته .. " (٧) فهذا النص يفيد بصريح العبارة ان عيسى ابن مريم ما دعا إلاّ إلى التوحيد فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده . وما كان عيسى إلاّ رسول لله رب العالميـــن(٨) ولقـــد أنزل الله تعالى على سيدنا عيسى (عليه السلام) كتاب هو الإنجيل وهـــو مصـــدق للـــتوراة ومُحيى لشريعتها ومؤيد للصحيح من أحكامها وهو مبشر لرســـول يأتى من بعده اسمه أحمد وإن كان على اهل الإنجيل ان يحكموا بما أنزل فيه ولذلك قال الله تعالى : " وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل لله فأؤلئك هم الفاسقون "(٩)

كما ان دعوة المسيح (عليه السلام) كانت تقوم على أسس منها :

أ- انه لاتوسط بين الخالق والمخلوق.

ب- انه لاتوسط بين العابد والمعبـــود.

ج- إنه لاوساطة للأحبار والرهبان بين الله والناس .

د- ان كل مسيحى يتصل بالله فى عبادته بنفسه دون توسط كاهن أو قسيس .

ومن هنا نقـــول إن ميلاد المسيح معجزة إلهـــية فوق العـــادة إفتتن لها قوم كثـــيرون ، ومـــن هـــنا أيضـــاً نقـــرر أن المسيحية كديانة - فى القرآن الكريم - توحـــيد خالص واكثرهم لايعلمون(١٠).

ومــن هــنا ســنجد ان الإمام الغزالى ومن بعده شيخ الإسلام ابن تيمية لم يخــرجا عــن نصوص القرآن الكريم أثناء ردهما على إدعاءات المسيحية كما كان محــل أهتمام التراث الإسلامى كله داخل هذا النطاق فى الخطاب الدينى من القديم إلى الحديث .

٢- إهتمام التراث بالأديان :

ان تراثنا الإسلامى زاخر بالكتابات المطولة والفصول المصنفة عن دراسة مقارنة الأديان ، ولقد أهتم العلماء المسلمون بتأثير مباشر بالخطاب القرآنى إهتماماً بالغــاً بدراســة أديــان الأمم السابقة ، وعقائدها وطقوسها[١١]. وهذا منطقى لأنهم الأقــرب زمــناً من موقع الأحداث ، وكانوا على علم واسع بكل ما يتعلق باليهودية والنصــرانية وفــرقهما المختلفة ، فلقد كان هؤلاء طلائع ورواد لجيل من الباحثين والعلماء الإسلاميين المعاصريين الذين اقتدوا بالسلف الصالح فى دراسة أديان الأمم الســابقة على إختلافها والإلمام بها ، وهذا أمر لازم تفرضه عليهم دعوتهم وواجب تبلــيغها للناس كافة ، وكما ان هناك دراسات ذات طابع مميز فى هذا المجال يمكن أن تفيد الدُعاة فائدة كبيرة وهى مناظرات جرت بين علماء مسلمين وعلماء يهود أو نصــارى أو من ملل ونحل مختلفة مثل المناظرة التى وردت فى تفسير الرازى وما يشــبهها فــى العصر الحديث مثل مناظرات د. أحمد ديدات مع القساوسة والعلماء المســيحيين ، وكــذا المــناظرات التى جرت فى بلاد الهند بين رحمت الله الهندى صاحب إظهار الحق وبين القس المنصر فــندر Funder [١٢].

ونجــد فــى العصــر الحديــث أيضاً ما كتبه محمد أسد (ليوبولدفايس) ومورِيــس بوكاى[١٣] حيث قدم دراسة عن القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم وقــدم بوكــاى دراســة عن الأناجيل الأربعة ومصادرها وتاريخها وعن المسيحية

والقديـــس بولـــص ، وأظهر التناقضات والأمور غير المعقولة فى الروايات والبدع وأحاديـــث المســـيح الأخيرة ، وأثبت أن يوحنا هو المبشر الوحيد الذى سرد لنا ما حـــدث فـــى نهاية العشاء الأخير للسيد المسيح (عليه السلام) وقبل القبض عليه ، أى أخر أحاديـــثه مـــع الحوارييـــن ، ويفرد لذلك أربـــع إصحاحات { ١٤-١٧ } ، ورجاء جارودى[١٤] الذى أشهر إسلامه وكتب العديد من المؤلفات المنصفة للإسلام ، وقد كشـــف القـــناع المزيف للصهيونية وأضاليلها إستمراراً لمنهجه النقدى المستنير فى كشـــف الحقـــيقة كلها ، ولقد أقتنع جارودى بالفكر الإسلامى شكلاً ومضموناً وكان دائمـــاً يؤكـــد على إن الإسلام هو الحل الوحيد ، بالإضافة إلى كتابات ابراهيم خليل أحمد وغيرهم .

وممـــا لاشك فيه ان الدراسة الواعية من قبل الباحثين الإسلاميين للخريطة العقديـــة للعـــالم المعاصر والإلمام الصحيح باسرار هذه الديانات والمذاهب والنحل والإطـــلاع على مكامن ضعفها ووهانها وتناقضها وتهافتها لاشك ان كل ذلك يدفع حركة الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ويحركها من وجوه متعددة[١٥].

ونحـــن الـــيوم فـــى أشد الحاجة إلى تحريك ودفع حركة الدعوة والتعريف بالخريطة الإسلامية بشكل واضح وجاد دون تعصب.

ومن منطلق إهتمام علماء التراث الإسلامى والسلف الصالح بالأديان درساً ونقداً وتحليلاً ، وصولاً إلى العصر الحديث بكل ما فيه من حوارات وجدل وصراع احـــياناً - نعـــرض لموقف الإمام الغزالى من المسيحية وهذا هو موضوع الفصل الثانى .

الفصل الثانى

موقف الإمام الغزالى من المسيحية

•• **ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية ..**

١-مسألة الإتحاد.

٢-نصوص الإنجيل تصرح بإنسانية عيسى (عليه السلام).

٣-مسألة الأقانيم الثلاثة.

٤-حول ظهور الخوارق على يد عيسى (عليه السلام).

٥-موقف الغزالى فى إطلاق ألفاظ على سيدنا عيسى (عليه السلام).

أ – إطلاق لفظ الإله على عيسى (عليه السلام).

ب– إطلاق لفظ الرب على سيدنا عيسى (عليه السلام)

ج– إطلاق لفظ الكلمة.

تمهيد**

إن المذاهــب الفلســفية كانــت كثيرة الإنتشار لذلك العهد (القرن الخامس الهجــرى) وان اصحابها كانوا يجتهدون فى الدفاع عنها ويجدون فى أذاعتها بين الــناس ، والغزالى لم يكن من أولئك الذين لايعرفون غير رأى واحد يعيشون عليه ويموتون عليه ، بل كان طالباً للعلم بمعنى الكلمة يعرف أن واجبه يقضى عليه بأن يعلــم الحقيقة ويعرف حقيقة كل نحلة وكنه كل مذهب ومقصد كل فرقة ومرمى كل عقيدة ، وكان أول ما أثار هذه الرغبة ما رأه من ان صبيان النصارى ينشأون على التنصــير وصــبيان الــيهود على التهود وأطفال المسلمين على الإسلام أو التأسلم ويذكر د. ذكى مبارك ان هذه الملاحظة الوجهية من قبل الغزالى كانت باعثاً له أن يشك فى دينه حتى يتبين حقيقته – وإن لم يحدثنا عن ذلك – لأنه ما الدليل على أن النصــرانية خير من اليهودية أو أن الإسلام خير من النصرانية أو أن اليهودية خير مــن الإســلام ، كما يتحدث النصارى والمسلمون واليهود : كل على ما هو بسبيله مــن تفضيل دينه على غيره من الديانات ، ومن هنا يصرح الغزالى بانه إنتهى إلى انــه لا قــيمة للتقلــيد لأنــه موجود فى كل أمة وفى كــل ملة ، وإنما القيمة كلها لليقيــن الــذى لــو تحدى إظهار بطلانه من يقلب الحجر حيــاً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك فيه شكاً[١٦].

والإمام الغزالى – حجة الإسلام – دافع عن الإسلام فى رده على النصارى وفــى حملته على الباطنية والفلاسفة ، أخذ بالمذهب الأشعرى وأيده وإن كان يعيب علــى المتكلمين دراستهم النظرية وإسرافهم فى الجدل والخصومة ، دعا إلى إلجام العــوام عــن علــم الكلام برغم ان الأشعرى سبق ان وضع رسالته فى إستحسان الخــوض فى علم الكلام ، غلبت عليه النزعة الصوفية فى أخر حياته فكتب الإحياء والمــنقذ مــن الضلال ليحفظ عقيدة أهل السُــنة ، فهو أشعرى يلائم الأشاعرة فى

التوسـط بين العقل والنقل ، ويرى ان يستعان بالأول لأنه يدرك نفسه ويدرك غيره وإذا تجـرد مـن غشاوة الوهم والخيال أدرك الأشياء على حقيقتها ، والغزالى يقف عـند حدود معينة والنقل وحده هو الذى يستطيع مجاوزة هذه الحدود ويأخذ بما أخذ بـه الأشـعرى فى مشكلة الصفات فلا يرتضى ما قال به الحشوية ولايقبل ما قاله المعـتزلة لان الفرقتين مغاليان ، استمسك الأول بظاهر النص أحترازاً من التعطيل فشـبهوا ، وبـالغ الآخـرون فى التنزيه فنفوا الصفات عن البارى جل شأنه وخير الأمور اوساطها[١٧].

مـن المعلوم ان منهج القرآن الكريم فى عرض العقائد والأديان والمذاهب الأخرى – كما ذكرت – كان منهجاً موضوعياً فى عرضه الأمين الدقيق المستوعب لمقالاتها كما هى مسطورة فى كتبها أو مروية على ألسنة معتنقيها ثم ناقشها وفندها وبيـن الحق واظهره وبرهن عليه ودعا الناس إليه من خلال ابطال الباطل وإظهار الحق ، ومن العلماء الذين أظهروا حقيقة الديانة المسيحية وكان لهم موقف منه نجد الإمـام الغزالى ومن بعده الإمام ابن تيمية وبالبحث فى مؤلفات الغزالى العديدة لم نجد أهم من كتاب : " **الرد الجميل لألهية عيسى بصريح الأنجيل** " ليوضح لنا وبشكل مباشر المباحث الدقيقة والنصوص الصريحة عن الديانة المسيحية منذ ولادة سـيدنا عيسـى (عليه السلام) وظهور الخوارق والمعجزات على يده ، وهو طفل صغير وإطلاق لفـظ الإلـه والـرب عليه ، وإطلاق الأبوة على الله تعالى والبنوة عـلى عيسـى ؛ وكـذا معضلة الكلمة فى الديانة المسيحية وغير ذلك من المسائل الفلسفية والكلامية التى ناقشها الإمام الغزالى فى كتابه هذا كما سيناقشها الشيخ ابن تيمية فى كتبه على ما سنرى.

والإمام الغزالى بعد أن يحمد الله ويصلى على نبيه يقول : " إنى رأيت مباحث النصارى المتعلقة بعقائدهم ضعيفة المعانى واهية القوى وعسرة المسالك"[18].

١- مسألة الإتحاد :

وأول مباحث المسيحية التى نقدها الغزالى هى مسألة الإتحاد أى أن النصارى فى قولهم بأتحاد عيسى (عليه السلام) بالله تعالى عما يقولون علواً كبيراً يقلدون الفلاسفة فى عقيدتهم عن تعلق النفس بالبدن وإتحادها به ، وهنا نجد الغزالى يقول : " لايسامحون أفكارهم بمقاربته ، يعولون تارة على تقليد الفيلسوف فى مسألة الإتحاد لأعظامهم ما يؤدى إليه من هدم قواعد تظافر على ثبوتها صرائح العقول "[19] ويصفهم الغزالى بالمساكين لأنهم لم يراجعوا عقول ولم يتركوا الهوى والتعصب ليعلموا إنهم أخطأوا سبيل الحق لوجوه:-

الوجه الأول : أنهم إن جعلوا ذلك من قبيل القياس ، فغلط لأن القياس رد فرع إلى أصل بعلة جامعة هى مناط الحكم .

الوجه الثانى: ان جعل ذلك من قبيل التشبيه والتمثيل فغلط أيضاً ، لأن المشبه به لابد وان يكون معلوماً متصوراً حتى يكون العلم به مقتضياً للعلم بالمشابهة.[20]

والإله – جل اسمه – منزه عن مثل ذلك . ثم لو سلم لهم ذلك وان التعلق الذى حاولوه متصور على وفق الآراء الفلسفية لم يحصل لهم به غناء ولم ينهض ذلك بمقصودهم فى إثبات الإلهية لعيسى (عليه السلام). لأن الفيلسوف يقول : إن النفس تتعلق بالبدن تعلقاً تدبيرياً وان اللذه والألم يحصلان لهما بواسطة تعلقها به وحصول اللذات لذات البارى محال.

والمقصود بالإتحاد لدى كل من الإمام الغزالى وشيخ الإسلام ابن تيمية فى زعم النصارى إتحاد اللاهوت بالناسوت أى الروح والجسد ، وأحياناً يتحد الناسوت باللاهوت كما سنرى عند الحديث عن موقف ابن تيمية من إتحاد الناسوت باللاهوت وما تفرع عنه من مسائل كثيرة والإمام الغزالى يورد أهم النصوص من أناجيلهم ليؤكد على إنسانية عيسى (عليه السلام) وعدم ألوهيته وبالتالى لا إتحاد ولاتجسد كما يزعم النصارى .

٢- **نصوص الإنجيل تصرح بانسانية عيسى (عليه السلام) :**

الإمام الغزالى يتعجب ويتساءل .. كيف ؟ وفى الإنجيل نصوص مصرحة بإنسانية عيسى(عليه السلام) المحضة ، ونصوص شاهدة بإن إطلاق الإلهية عليه ، على ما يدعون محال !!

وهذه النصوص فى أصح الأناجيل عندهم وهو إنجيل يوحنا بن زبدى(٢١) وشرع الغزالى فى تقديم أصلين متفق عليهما بين أهل العلم – قبل الشروع فى ذكر النصوص.

الأصل الأول : إن النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت ظواهرها وان خالفت صريحة المعقول وجب تأويلها وإعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب إذ ذاك ردها إلى المجاز.

الأصل الثانى: إن الدلائل إذا تعارضت تدل بعضها على إثبات حكم وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة إلاّ وقد أحسسنا من أنفسنا العجز بإستحالة إمكان الجمع وإمتناع جعلها متظافرة على معنى واحد(٢٢)

ومن المعلوم إن علماء المسلمين وفلاسفتهم بحثوا فى تحقيقه هذين الأصلين بحثاً عميقاً مستفيضاً ، وهذا ما سنجده عند شيخ الإسلام ابن تيمية فى

"درء تعارض العقل والنقل " وغيره من متكلمى الإسلام وفقهاؤهم . والإمام الغزالى قبل ان يشرع فى ذكر النصوص التى اختارها لتكون دالة على ما يوهـم الإلهيـة لسـيدنا عيسـى (عليه السلام) مـن وجهة نظر النصارى - ذكـر نصوصاً للدلالة على التجوز فى مسألة الإتحاد والتى تحدثـت عنها من قبل - كقوله : " أنا والأب واحد ومن رآنى فقد رأى الأب وأنا فى الأب والأب فىّ "[٢٣] .

ويذكـر الغزالى بعد ذلك النصوص الدالة على إنسانية المسيح المحضة - وقلـنا مـن قبل إن القرآن الكريم أكثر الكتب المقدسة السماوية تأكيداً على إنسانية المسـيح (عليه السلام) ، والغـزالى يسوق - فى دقة وامانة - النصوص التى وردت فى إنجـيل يوحنا موهمة - ومثيرة لهم شبهاً فى إطلاق الإلهية على عيسى (عليه السلام) فى نظـرهم - وتلـك النصوص الأخـرى التى تؤكد إنسانيته المحضة ويحللها تحليلاً علمـياً رصيناً ويظهر المجاز الذى فيها ويبـرز الإشارات والتأويلات التى تصرف عـن الحقـيقة الظاهـرة إلى معان أخرى باطنة. ويذكر الغزالى ست نصوص من الإنجيل خمسة من إنجيل يوحنا ونص واحد من إنجيل مرقص :-

النص الأول :

وقـد ذكره يوحنا فى إنجيله فى الفصل الرابع والعشرين " أنا والأب واحد " فتـناول اليهود حجارة ليرجموه فأجابهم قائلاً : أريتكم اعمالاً كثيرة حسنة من عند أبى فمن أجل أى الأعمال ترجمونى ، فأجابه اليهود قائلين : ليس من أجل الأعمال الحسنة نرجمك ، ولكن لأجل التجديف وإذ أنت إنسان تجعل نفسك إلهـاً ، فأجابهم يسوع : أليس مكتوباً فى ناموسكم أنى قلت:أنكم آلهة ، فإن كان قد قال لأولئك آلهة فبالحرى الذى قدسه وأرسله إلى العالم[٢٤] ".

ويعلق الإمام الغزالى على هذا النص بقوله : إن هذا النص بالغ فى تحصيل غرضنا الذى نحاوله فى مسألة الإتحاد وبيانه إن اليهود ، لما انكروا عليه قولـه :

" أنـــا والأب واحـــد " ظنوا مفهومه الظاهر فيكون إلهاً حقيقة ، إنفصل عليه السلام عـــن إنكـــارهم مصـــرحاً بـــأن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة . ثم أبان لهم جهة التجويز لضربه لهم المثل فقال : " قد أطلق عليكم فى ناموسكم انكم آلهة ولستم آلهة حقيقـــية وأنـــا اطلـــق علـــيكم هذا اللفظ لمعنى وهو صيرورة الكلمة إليكم وأنا قد شاركتكم فى ذلك[٢٥].

ونـــرى ان الســـيد المسيح يسخر من اليهود ويتحداهم بمنطقهم ، والغزالى يقـــرب المسألة بما فى شريعة الإسلام يقول سيدنا محمد (ﷺ) حاكياً عن الحق جل أســـمه : " ولـــم يتقرب إلى المتقربون بأفضل من أداء ما أفترضت عليهم ثم لايزال العـــبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الـــذى يبصـــر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها"[٢٦] ومحال ان يكون الخـــالق حـــالاً فـــى كل جارحة من هذه الجوارح على الحقيقة ولكن لما بذل العبد جهـــده فـــى طاعـــة الله تعالى كان لـــه من الله تعالى قدرة ومعونه بهما يقدر على النطق باللسان والبطش باليد وغير ذلك.

<u>النص الثانى :</u>

ونـــص علـــيه يوحنا المذكور فى إنجيله فى الفصل السابع والثلاثين " أيها الأب القـــدوس أحفظهـــم بأسمك الذى أعطيتنى ليكونوا معك واحداً كما نحن "[٢٧]. ويـــرد الغزالى بقوله إن هذا النص كالنص الذى قبله سواءً بسواء مؤكداً فى صرفه عـــن الحقيقة إلى المجاز المذكور وان المسيح (عليه السلام) دعا الله عز وجل لتلاميذه ان يكون حافظاً لهم باسمه حفظاً مثل حفظه لـــه ليحصل لهم بذلك الحفظ وحدة بالله ثم أتـــى بحرف التشبيه فقال : " كما نحن . "[٢٨] أى تكون تلك الوحدة كوحدتى معك فإن تكن وحدته مع الإله موجبة لـــه إستحقاق الإلهية فيلزم ان يكون داعياً لتلاميذه ان يكونوا آلهة ، وذلك يخطر ببال من خلع ربقة العقل قبيح فضلاً عن من يكون له

أدنى خيال صحيح ، بل هو محمول على المجاز المذكور ويدل على صحة ذلك ان إنساناً لو كان لــه صديق موافق غرضه ومراده بحيث يكون محباً لــه ومحباً لما يحــبه مبغضــاً لما يبغضه كارهاً لما يكرهه حسن ان يقول : " أنا وصديقى واحد " وقــد بين المسيح (عليه السلام) فى النص ان وحدته معه مجاز وانه ليس إلهاً حقيقة [٢٩]

__النص الثالث :__

نــص علــيه يوحــنا المذكور فى الفصل السابع والثلاثين أيضاً : " قدسهم بحقــــك فــإن كلمــتك خاصة هى الحق كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم ايضاً إلى العالم ولأجلهم أقــدس ذاتى ليكونـــوا هم مقدسين بالحق ، وانا اعطيتهم المجد الذى اعطيتــنى لــيكونوا واحداً كما نحن واحد" [٣٠] ، وهذا النص واضح جداً ومكمل لما قــبله وانه (عليه السلام) كشف غطاء التشبيه مبيناً جهة المجاز بقوله : " وأنا قد أعطيتهم المجــد الــذى أعطيتــنى لــيكونوا واحد أى أن المجد ينظم شملهم وفعلهم بالجمع والطاعــة والمحــبة ، وان وحدتــه معه ليست مقتضية لإلهيته وإلاّ لزم ان تكون وحدتهم مع الإله الذى سأله ان يكونوا معه واحداً كذلك .

وهنا يقول الإمام الغزالى : " فأنظر كم من حسن إشتمل عليه هذا النص من صلائح قد صرح بارادة حقائقتها وظواهر قد طرح بعدم إرادة ظواهرها وتجوّزات اقترنت بها معان أبت لها ان تحمل على حقائقها ، ومحاسن يمرُّون عليها وهم عنها معرضون ولله در القائل :

وكم مِــنْ عائب قولاً صحيحاً	وآفــتــه مــن الفهــم الســقـيم
ولكــن تأخــذ الأفهــام مــنه	على قــدر القرائــح والعلــوم [٣١]

ويواصل الإمام الغزالى ردوده ومجادلاته بموضوعية ونزاهة ويلزم خصمه الحجـــة الدامغة بتحليل نصوصهم بكل ما يستطيع من أدلة وبراهين[٣٢] لبيان موقفه من المسيحية.

النص الرابع :

ذكـــره مـــرقص فى إنجيله فى الفصل الرابع والأربعين : " فأما ذلك اليوم وتلـــك الســـاعة فلا يعرفها أحد ولا الملائكة الذين فى السمـــاء ولا الإبن إلاَّ الأب وحده " ، وهذا النص صريح بالإنسانية المحضة للسيد المسيح (عليه السلام) نافياً عنه العلم المختص بالإله ، وهذا من أوضح الأدلة على إنسانيته المحضة . فالعلم والمعـــرفة المطلقـــة لله الواحـــد لا للملائكة ولا للأنبياء ويقرر الغزالى أن صفات الإلـــه إذ لم تثبت بالبراهـــين اليقينية فلا أقل من كونها ظّاهرة الدلالة [٣٣]!!

النص الخامس :

ذكـــره يوحنا فى إنجيله فى الفصل السابع والثلاثين : " .. تكلم يسوع بهذا ورفـــع عينـــيه نحـــو السماء وقال : أيها الأب قد أتت الساعة (يعنى ساعة الموت والصـــلب بـــزعمهم) فمجد أبنك ليمجدك أبنك كما اعطيته السلطان على كل جسد لـــيعطى حياة أبدية لكل من أعطيته وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك انت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " صرح بالرسالة للمسيح ولايمكن عود ذلـــك إلى الناسوت لان المسيح أسم –عندهم – بمجموع حقيقة مركبة من : لاهوت وناسوت[٣٤] .

النص السادس :

ذكـــره ايضـــاً يوحـــنا فى إنجيله فى الفصل الحادى والعشرين : " .. قال لهم يســـوع : لـــو كنـــتم بنى (إبراهيم) كنتم تعملون أعمال إبراهيم لكنكم الآن تـــريدون قتلى وانا إنسان كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله[٣٥] ، وهذا النص

الأخـــير الـــذى نـــورده من خلال عرضنا لموقف الغزالى من المسيحية يؤكد صراحة على ان المسيح (ﷺ) إنسان وصرح بالرسالة وانه وصى وانه مثل موســـى فـــى أهله وهو تصريح بالرسالة المحضة والإنسانية الحقة خلافاً لما ذهـــب إلـــيه النصـــارى فى إنه ابن الله وانه إله أو إبن إله !! وانه رسول الله وعبد صالح ونبى مثل كافة الأنبياء مصداقاً لقول الله تعالى : " يا أهل الكتاب لاتغلـــو فى دينكم على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه "[٣٦] ، وتبديل النصارى وتحريفهم لكتابهم واضـــح تمامـــاً فـــى هذه النقطة ونقاط أخرى كثيرة ودار حولها الخلاف بين المســيحية والإســـلام[٣٧] مثل عقيدة الصلب والفداء وتأليه المسيح والغلو فى طبـــيعة المســـيح والبشـــارة ومصـــطلـــح الفـــارقليـــط .. وبخصوص هذا المصطلح هـــناك جوانب متعددة لتوضيح هـــذه المسألة فالكلمة فـــى الأصل يونـــانـــية Parakletos والتى أصبحت فى الفرنسية Paraclet وهى ترمز إلـــى إسم أو صفة المبشر به من المسيح (ﷺ) والذى يأتى بعده وهو سيدنا محمـــد (ﷺ) ويطلـــق على المصطلح (المُعزى)، والبارقليط باللغة اليونانية وتفسيـــرها بالعربية أحمد ، كما جاء فى القـــرآن الكريم فى قولـــه تعالى : " ومبشـــراً برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد " سورة الصف – آية ٦ ، وقد ذكر أ. عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء (ص ٤٧٣) إنه سأل أحد المستشـــرقين الإيطاليين وهو د. كارلو نلليتو عن معنى كلمة (بيريكلتوس) فقـــال المستشـــرق إن القســـس يقـــولون إن هـــذه الكلمة معناها " المُعزى " فقـــال لـــه أ. عبد الوهاب النجار إنى أسأل الدكتور كارلو نلليتو الحاصل على الدكـــتوراة فى آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً ، فقال لـــه إن معـــناها : الـــذى لـــه حمد كثير ، فسأله الشيخ مرة ثانية هل ذلك يوافق أفعل

التفضـــيل من حمد ، فقال نعم ... وهكذا يعترف النصارى إن الإنجيل يوافق القـــرآن الكريم فى البشارة بسيدنا محمد (ﷺ) (أنظر فى ذلك ص٣٢+ هـــ) ورغـــم ذلـــك أظهـــر موريـــس بوكاى التناقضات والأمور غير المعقولة فى الـــروايات وأحاديـــث المسيح الأخـــيرة ، والبارقـــليط (الروح القدس) فى إنجـــيل يوحنا (١١٧-١٢٥) ، ويوحنا هو المبشر الوحيد الذى سرد ما حدث فـــى نهايـــة العشـــاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه ، أى أخر أحاديثه مع الحوارييـــن ، ويفرد لذلك أربع إصحاحات (من ١٤-١٧)- (يراجع فى ذلك الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – ص ١٢٥) .

وابـــن تيمية – كما سنرى – عقد فصلاً فى كلمة الإنجيل وتفسيرها ذكر فيها قـــول يوحـــنا الإنجـــيلى فى الفصل الخامس عشر من إنجيله من قول السيد المســـيح : إن الفارقلـــيط روح الحـــق الـــذى يرسله أبى فهو يعلمكم كل شئ وأورد نصوصـــاً أخرى كثيرة بنفـــس المعنى كما سنرى عند الحديث عن ابن تيمـــية فى كتابه الجواب الصحيح ، ويرد ابن تيمية بقوله وهذا اللفظ فى لغتهم ذكـــروا فيه أقوالاً : قيل إنه الحماد وإنه الحامد وإنه المُعز وإنه الحمد ورجح هـــذا طائفة ، وقالوا : الذى يقوم عليه البرهان فى لغتهم إنه الحمد ويدلل على ذلـــك بقول يوشع : من عمل حسنة تكون لـــه فارقليط جيد ، ومن قال معناها المخلـــص فيحتجون بأنها كلمة سريانية ومعناها المخلص ..إلخ. ، ويعترض ابـــن تيمـــية علـــى هذا القول بأن المسيح لم تكن لغته سريانية ولايونانية بل عبرانـــية ، ويستشـــهد ابن تيمية بالأية السادسة من سورة الصف فى قـــوله تعـــالى : " وإذ قـــال عيســـى ابـــن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصـــدقاً لمـــا بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد فلمـــا جـــاءهم بالبيـــنات قالوا هذا سحر مبين ". ولم يشهد أحد للمسيح شهادة

سـمعها عامة الناس إلا محمد (ﷺ) فإنه أظهر أمر المسيح وشهد لـه بالحق حتى سمع شهادته لـه عامة أهل الأرض ، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عمـا أفـتـرته عليه اليهود ، ويقرر ابن تيمية إن معانى الفارقليط على كل الـتجريحات والأوصاف ظاهر فى سيدنا محمد (ﷺ) ولما كان حماداً جوزى بوصـفه ، فـإن الجزاء من جنس العمل فكان أسم محمداً وأحمد . وفى شعر حسان بن ثابت :

وشق لـه من أسـمه ليجلـه ‥ فذو العرش محمود وهذا محمد

ويعلـق الإمـام الغـزالى قـائلاً : " ليت شعرى باى عذر يعتذر المعاند بعد تصـريحه بالإنسانية والرسالة وتقيده فى أحكامه بما يؤمر به وتأويله نفسه ما تقـدم مـن ظواهر النصوص الدالة على الإتحاد معتذراً عن بعضها بضربه المثل المذكور لليهود ومصرحاً فى بعضها بالرسالة ووقوفه فى بعضها سائلاً داعـياً الله عـز وجل موقف العبد الخاضع مستمطـراً إحسان الإله لتلاميذه بقولـه: احفظهم باسمك الذى اعطيتنى "، " قدسهم بحقك " [٣٨]، ثم انظر كيف أعمـى الله بصـيرة مـن يجعـل إلهـه تـارة إنساناً وتارة إلهاً (اللاهوت والناسوت) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

مسألة التعلق المعنوى بين اللاهوت والناسوت:

بعـد أن قمـنا بعرض نصوص الإنجيل التى تصرح بإنسانية عيسى (عليه السلام) مـن خـلال مصادر الإمام الغزالى الذى أورد لنا نصوصاً دالة على هـذه المسألة نـود أن نلقـى الضـوء على مسألة التعلق المعنوى بين اللاهوت والناسوت حيث يوضـح لـنا الإمام الغزالى عدم جدوى هذا التعلق ، سـواء كانت النسبة عامة أو مقيدة ، وينسب هذا القول إلى اليعقوبية من المسيحية ، الـذين يقـولون إن المسيح (عليه السلام) ذو طبـيعة واحدة قد إمتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكون من

الإتحـــاد طبـــيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ومن أجل هذا القول إنعقد مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م وقبلها إنعقد مجمع أفسس ٤٣١م ن وبعدها إنعقد مجمع القســـطنطينية الثانى سنة ٥٥٣م وبعد ذلك تحولت الملكانية إلى كاثوليكية أى كونية عالمـــية واليعقوبـــية أتـــباع يعقوب البراذعى (البراديوس) إلـــى أرثوذكس أى مســـتقيمة الـــرأى ، وبعد مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩م إنقسمـــت الكنيســـة إلى كـــنيستين : شرقية وقاعدتها القسطنطينية ، وغربية كاثوليكية وقاعدتها روما ، أما مجمـــع أفسس فقد قرر لعن وطرد نسطور الحكيم زعيم جماعة النساطرة المسيحية وقـــرر المجمـــع إثبات إن مريم العذراء قد ولدت (الإنسان والإله) على عكس ما ذهب نسطور فى إن مريم لم تـــلـــد إلـــه بل إنسان ..

٣- **مسألة الأقانيم الثلاثة** :-

مـــن المسائل الهامة فى الديانة النصرانية والتى ناقشها الإمام الغزالى ومن بعـــده شـــيخ الإسلام إبن تيمية نجد مسألة الأقانيم الثلاثة (الآب ، الإبن ، والروح القدس) وهى مسألة متصلة بالإتحاد لدى المسيحية .

والأقـــنوم كلمـــة سريانية معناها : شخص مستقل بذاته عن غيره ، وهو نوعـــان : أقانـــيم التجسد وأقانيم التعدد ، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلـــم وسموها : الآب والإبن والروح القدس ، والعلم تدرع وتجســـد دون سائـــر الأقانيم ، وفى نظر المسيحية الكاثوليكية مثلاً : إن الإله ذو مراحل ثلاثة :-

أ – قبل التجسد يسمى : أقنوم الأب

ب- بعد التجسد يسمى : أقنوم الإبن

ج- بعد القتـــل يسمى : أقنوم الروح القدس

وخـــالفهم فـــى ذلك أصحاب المسيحية الأرثوذكسية[٣٩] ، ويذكر الإمام الغزالى إن اليعقوبـــية قـــالوا أيضاً بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا إنقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم فى قوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح إبن مريم وقال المسيح يا بنى إســـرائيل أعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه الـــنار وما للظالمين من أنصار، ولقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إلـــه واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم "[٤٠] ويدعـــون ان المســـيح أقنوم لحقيقة الإله فقط ، وهى حقيقة غير مركبة أخذت من الحقيقتيـــن المذكورتيـــن (اللاهـــوت والناســـوت) والتعلـــق المعنوى بين اللاهوت والناسوت حقيقة ثالثة منسوبة إلى المسيحية من اليعاقبة أو اليعقوبية وذلك ما رفضه الإمام الغزالى.

ويذكر الإمام الغزالى إن هـــذا يعتبر حيد عن سبيل الحق الواضح ويتساءل كـــيف جعلوا حقيقة الإلـــه مأخوذة من حقيقة الإنســـان وحقيقة نفسه ؟ ثم أثبتوا لها إتحـــاداً بالإنسان الكلى ، والإنسان الكلى لاوجود لـــه فى الخارج فتكون متحدة بما لاوجود له إلا فى الذهن[٤١] ويلزم على هذا الرأى السخيف – على حد قول الغزالى – أن يكون المصلوب هو الإله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وقد نظم لنا الغزالى من هذا الرأى قياساً منطقياً فيقول :-

المسيـــــح صُـــلب	⟵	مقدمة صغرى
ولاشئ مما صلب بإله	⟵	مقدمة كبـــرى
∴ فلا شئ من المسيح بإله	⟵	نتيجـــــــة

وهـم لايقـدرون على منع الكبرى ، أى لاشئ مما صُلب بإله وهى المقدمه الكبرى فـى القـياس السابق .. لماذا ؟ لأن حقيقة المسيح لايمكن ان تكون إله فهو إنسان وبشر ، ولايقولون بتركيبها ، والمتحد به لاوجود لـه فى الخارج ، فيرجع حاصل هـذا الـرأى إلـى إن للمسيح المصلوب – فى زعمهم – نسبة إلى الإنسان الكلى الموجـود فـى الذهـن ، وهذا لايدفع ما ألزموا به لأن النسب يُعد من الأمور غير الوجوديـة[٤٢] ، بحيث تترتب عليها وقائع وأمور وجودية كالصلب والألم والإتحاد وغير ذلك .

ويـورد الإمام الغزالى مقالة المتأخرون من المسلمين من إن للمسيح إتحاداً بإنسـان جـزئى ، والمسـيح عند الفريقين أقنوم لحقيقة الإله فقط وهى حقيقة غير مركبة والمقصود بالحقيقتين .. حقيقة الإله جل أسمه ، وإنسانية عيسى (عليه السلام) . ومعلـوم ان القرآن الكريم صرح بعدم صلب المسيح فى أكثر من موضع من كلام الله تعـالى ومنها : " وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وإن الذين أختلفوا فيه لفـى شـك منه .."[٤٣] أى رأوا شبهه فظنوه إياه ، وإن من قتله كان يهودياً ، وإن إقـرار الصـلب إنمـا يتصل بأصول العقيدة لديهم ، فإذا كان الشر قد دخل العالم بمعصية آدم ، وورث بنوه ميراث الخطيئة الأصلية فإنه لايخلص البشرية من الشر المتأصل فيهم إلا فداء عام ، ولما كان الذى يفدى الإنسانية جمعاء لايكون إنساناً – لان الشـر متأصـل فى الإنسان فالذى يفديها لابد وأن يكون خالص من الشر ومن مـيراث الخطيـئة – فالمسـيح مـن وجهة نظرهم إله أو إبن إله ، وقد تم خلاص البشـرية مـن ميراث الخطيئة بصلب المسيح ، فالخطيئة الأصلية وألوهية المسيح وصـلبه أركـان ثلاثـة مـتلازمة فـى العقيدة المسيحية ، والشهرستانى يؤكد إن المسـيحيين آمنوا بأن المسيح قتل وصلب ، قتله اليهود ولكن أختلفوا هل القتل ورد

علـــى الجزء اللاهوتى أم ورد على الجزء الناسوتى ، أم على الجزأين معاً ؟ ثم قام وصعد إلى السماء [٤٤].

وإذا كـــان إنـــتـــفاء الصـــلب نفـــياً للعقيدة المسيحية فإن وفاة عيسى على الصليب هى عصب كل العقيدة المسيحية وإن كل النظريات المسيحية عن الله وعن الخليقة وعن الخطيئة وعن الموت وعن الفداء تستمد محورها من المسيح المصلوب ، والقـــول الفصـــل فى الإدعاء المسيحى فيما يتعلق بمسألة الصلب سواء كان هذا القول قديماً (الغزالى – إبن تيمية) أو حديثاً ، هو أننا لانجد أكثر إقناعاً وأكثر رداً مـــن قول الله تعالى :- " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى إبن مريم رسول الله ، وما قـــتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين أختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علـــم إلا إتـــباع الظن وما قتلوه يقيناً "[٤٥] ، وقوله تعالى : " إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا .. "[٤٦].

إذن يجـــب أن نعلـــم إنه عندما نناقش مسألة الأقانيم الثلاثة لابد أن نناقش مســـألة صـــلب المســـيح ، وبالتالى متعلقاتها بما يسمى عندهم بالحقيقتين اللاهوت والناسوت ، كما إن هناك من الفرق النصرانية التى تربط الوحدانية بالأقانيم الثلاثة وقد أوضح لنا مؤرخوا الفرق القدامى وكل من كتب فى مقارنة الأديان أمثلة كثيرة مـــن هذا القبيل ، فيرى البعض إن نسطور مثلاً (زعيم مذهب النساطرة) قد ظهر فـــى عهـــد المأمون وتصرف فى الأناجيل برأيه تحريفاً وتبديلاً ، وإنه قـــال إن الله تعالى واحـــد ذو أقانيم ثلاثة – كما سبق القول – الوجـــود والعلم والحياة ، وهـــذه الأقانيم ليست زائـــدة على الذات ولا هى هو ، وإتحدت الكلمة بجسد عيسى(عليه السلام) لا علـــى طـــريق الإمـــتزاج كما قالت الملكائية ولا على طريق الظهور كما قالت اليعقوبـــية ، ولكـــن كإشـــراق الشمس فى كوة على بلورة وكظهور النقش بالشمع وإمتزاج الزيت بالماء ، وكطبع النقش على الخاتم .. إلخ .

٤- حول ظهور الخوارق على يد عيسى (عليه السلام):

من المعلوم إن للسيد المسيح معجزات وخوارق فوق العاده وأذن بها الله له أن يأتى بأشياء معجزة وخارقة للعادة كدليل على نبوته ورسالته وكدلالة دامغة أمام تسلط اليهود، ومن معجزاته التى ذكرها القرآن الكريم يمكن لنا أن نلخصها فى خمسة أمور ، جاء ذكر أربعة منها فى سورة المائدة فى قوله تعالى : " إذ قال الله ياعيسى إبن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس وكلم الناس فى المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى .. إلى آخر الآيات البينات . وتلاحظ لنا هنا إن لفظة " إذنى " فى الخطاب الإلهى وردت أربعة مرات للدلالة على القدرة الخارقة لله سبحانه وتعالى وإن جميع المعجزات والخوارق التى أتى بها سيدنا عيسى فهى من عند الله سبحانه وتعالى وبإذنه .

وهنا يوضح لنا الإمام الغزالى موقفه حول ظهور الخوارق على يد عيسى(عليه السلام) بالسؤال والطلب فذلك ثابت لغيره من الأنبياء ، وكيف ينكر ذلك وهو المتضرع السائل عند إقامته (عازر) من بين الأموات ، وقد رفع عينه إلى السماء فقال : " يا أبت أشكرك لأنك تسمع لى وأنا أعلم أنك سميع لى فى كل حين ، ولكن لأجل هذا الجمع الحاضر ليؤمنوا إنك أرسلتنى " [٤٧] ، وها هو خطاب السيد المسيح من خلال الإنجيل يشكر فيه الله سبحانه وتعالى ويطلب من قومه أن يؤمنوا إن الله هو الذى أرسله إليهم ليهديهم ، وهذا مما يدل على إنسانية المسيح (عليه السلام) ويدحض فكرة الألوهية من أساسها .

ويصف الإمام الغزالى السيد المسيح (عليه السلام) بأنه الطالب لتلاميذه التقديس والحفظ من الإله القادر على ذلك بقوله : " قدسهم بحقك " والداعى متضرعاً والمتردد فى إمكان النجاة من الصّلب والمستفهم من الإله لم تركه بقوله " إلهى .. إلهى .. لم تركتنى " [٤٨] ، والنافى عنه العلم المختص بالإله إثباته ، والمصرح به لإنسانيته والرسالة بقوله : " إنسان كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله "[٤٩] والمشهود له على لسان من أثنى عليه من عظماء تلاميذه بأن الخوارق مصنوعة لله على يده وغير ذلك .. وإذا كانت هذه حالة المسيح(عليه السلام) فكيف يركن العاقل إلى ما لا يعلم حقيقته مع إمكان علمه وينبذ المعقول والمنقول ؟[٥٠].

والتساؤل الأخير للإمام الغزالى وهو فى معرض وصف السيد المسيح سؤال تهكمى إستفهامى .. فى قوله : وكيف يمكن إدعاء ذلك (أى كل ما سبق) وقد تعلقت عندهم مشيئة الإله بصلب المسيح (عليه السلام) ؟

ومن هنا كان قولى من قبل إن إنتفاء الصلب إنتفاء للعقيدة المسيحية من أساسها.

٥- <u>موقف الغزالى من إطلاق ألفاظ على سيدنا عيسى</u> (عليه السلام)

ولبيان موقف الإمام الغزالى نتابع ما جاء فى الرد الجميل من نقد للمسيحية فى إطلاق لفظة الإله على عيسى (عليه السلام) ، وإطلاق لفظ الرب أيضاً وكذا الأبوة على الله والبنوة على عيسى والفداء والكلمة وغير ذلك من الألفاظ التى أطلقت على سيدنا عيسى من طوائف المسيحية .

أ – إطلاق لفظ الإله على عيسى (عليه السلام):

ويحـــدد الغـــزالى إن طائفـــة النسطورية هم الذين يطلقون لفظ الإله على المسيح (عليه السلام) ويتساءل مستنكراً وليت شعرى : هل المراد بهذا الإطلاق تعظيمه لأن (الإله) يطلق على كل عظيم أم يريدون بذلك إلهيته ؟! فإن كان هذا الثانى هو المـــراد فدلالـــة على جهل هذه الطائفة وإن جهلها أعظم من جهل جميع الطوائف والـــذى أوقعهـــم فى هذه المضايق تعلقهم بظواهر أوجبت صرائح العقول – القطع بعـــدم إرادتهـــا وإلا فكم ورد فى كل شريعة من ظاهر مصادم لصريح العقل وأوّله علمـــاء تلك الشريعة[٥١] ، ويذكر الغزالى أمثلة من ذلك ويقول لقد وقع فى مثل ذلك جماعـــة مـــن الأكابر فبعضهم قال : سبحانى ٠٠ سبحانى ٠٠ !! وقال الآخر: ما أعظـــم شانى (أبى يزيد البسطامى) ، وقال الحلاج[٥٢] : أنا الله وما فى الجبة إلا الله !! وحُمـــل ذلك منه على أحوال الأولياء الشاغلة عن التحفظ فى المقال حتى قال بعضـــهم : هؤلاء سكارى ٠٠ ومجالس السكر تطوى ولاتحكى ٠٠ وغير ذلك من الكـــلام الـــذى ينسجم مع رأى الغزالى فى الإحياء والمنقذ من الضلال ، وهى من الكتب الصوفية فى مراحل تطور فكر الغزالى .

والحـــلاج كما نعلم هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوى المشهـــور بالحـــلاج (٣٠٩/٢٤٤هـــ – ٨٥٨م/ ٩٢٢م) – عالم كلام – صوفى – عـــالم لغـــة عربـــية / فارسية / حياته وقتله يمثلان فاجعة كبرى فى تاريخ الثقافة الإســـلامية والخبرات الداخلية التى كُتبت فى تاريخ النصوص الإسلامية والتصوف الإســـلامى ، ولـــد فـــى الطور(tûr) بالبيضاء بفارس (إيران) التى كانت مركزاً للعربية رغم فارسيتها (بحسب سيبويه) ، قرأ القرآن الكريم وتعلم فى واسط وأخذ يتعلم اللغة بمفرده حتى بلغ الحادية عشر من عمره ، وحفظ القرآن الكريم بسرعة فائقـــة وأخـــتار البصرة ، وقابل بعض الصوفية وسكن معهم ، وبالذات عمر المكى

الـذى كـان لـــه صلة نسب بالإمام الحسن بن أبا يعقوب الأكتع ودرس الشيعة والسُنــة والمعـتزلة (كفرق إسلامية) ثم ذهــب إلى بغداد ، وقابل معلمه الأول الجُنـيد بـن محمد (شيخ الطائفة) وتعلم منه ، ثم حج أكثر من مرة وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة ثم زار عدة مدن وقابل أكثر من شخصية إسلامية صوفية .

وأغلب ما كُتب عن الحلاج والتصوف فى الموسوعة الإسلامية بقلم لويس جارديــة مــن مصادر فى الأصل ماسينونية من منطلق أنه أستاذه المفضل . أنظر أيضـاً : بخصوص قصة حسين بن منصور الحلاج ج٢ ص٢٢١/٢٥٣ من كتاب L.M.: Opéra Minora, to.٢- PP. ٢٢١-٢٥٣. ، والغريــب فــى الأمــر ان الحــلاج يُعد تارة من ضمن كبار المتعبدين الزهاد وتارة أخرى فى زمرة الملحدين طــبقاً لتوجه المؤرخ والكاتب وفهم النص وحسب الظروف السياسية وآراء الفقهاء فبعد أن أتبع الناس أو بعضهم طريقته فى التوحيد والإيمان (أنظر نصوص الحلاج ص٣٥) رغــم أنه كان فى البداية ينتقل فى البلدان وينشر طريقته سراً ثم جهر به بــالقول ، وقــالوا عــنه أنــه كان يأكل يسيراً ويصلى كثيراً ويصوم الدهر ، أتهم بالــزندقة والقــول بالحلول (حلول الإله فيه) ووحدة الوجود وقوله أنا الحق وهو وهــو .. إلخ . وكثرت الوشايات به إلى المقتدر الخليفة العباسى فأقر بالقبض عليه فســجن ثمانى سنوات فى بغداد وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولايستغيث بل كــان يردد : " أقتلونى ياثقافى .. أن فى قتلى حياتى " فيعبر بذلك عن شوقه العارم إلــى لقــاء الحــق (الله) من خلال الموت الذى يحلم بأن يجد فيه طريق محبوبه الأعظم (الله عز وجل) ، قطعت اطرافه الأربعة ثم جز رأسه واحرقت جثته ولما صــارت رمــاداً ألقيت فى نهر دجلة ، ومن مؤلفاته : الطواسين – نشرة ماسينيون وهــناك دراســة جديــدة عن الطواسين ضمن كتاب د. قاسم محمد قاسم : الحلاج والأعمــال الكاملــة وغــيرها مــن المصادر والمراجع الصوفية ، وقرآن القرآن

والفـــرقان ، وعلـــم الـــبقاء والفناء ، والقيامة والقيامات وهو هو وكيف كان وكيف يكـــون .. إلـــخ – ونلاحظ حتى فى أسماء كتبه نوعاً من الشطح الصوفى وغرابة الكلمـــات !! ولقد كان لى وقفه متأملة مع الحلاج فى أثناء عرضى لجهود ماسينيون فى الفكر الفلسفى الإسلامى.

ب– إطلاق لفظ الرب على سيدنا عيسى (عليه السلام)

ويذكـــر الغـــزالى إن الـــرب يطلق بالإشتراك – على الله جل أسمه وعلى المـــالك – فـــيقال: رب المـــنزل ورب المـــتاع ، فـــى حين إن الإله يطلق عندهم بالإشـــتراك على كل عظيم ، وقد قيل فى الإنجيل : " قد أطلق عليكم فى ناموسكم إنكـــم آلهة تخاطب اليهود " ، وقد أطلق أيضاً لفظ الرب فى القرآن الكريم فى عدة مواضـــع مخـــتلفة ، ثم أشار إلى المسيح إذا أطلق عليه الرب الذى صرح بإشتراكه كـــان ذلـــك بمعـــنى المـــالك يدل على ذلك إنه لم يثبت لـــه شيئاً من صفات الإله المذكورة وإنما أثبت له يد الملك التى من شأنها أن تثبت للمالك (٥٣).

ويخـــتم الغزالى هذه الجزئية بقولة : " فأنظر إلى حسن هذه الإشارات التى لايـــتقاعد ذو الفهم عن تلقيها بالقبول ، فليت شعرى من أى الجهات بنى هذا الشرع علـــى هـــذا الخزى الفاضح ؟! ، فقد تجرأوا على الله وعلى أنبيائه الهاديين وأوليائه المقربيـــن إلى أن أخطروا ببالهم أباطيل تناقلوها صاغراً عن صاغر. فلذلك أجمعوا (النصـــارى) أمـــرهـــم على إن بنى آدم أخـــذوا بســـبب عصيان أبيهم آدم وان جميع الأنبياء والأولياء ألقـــوا فى الجحيم ثـــم إن الإلـــه وعدهـــم أن يفيدهم ففداهم فداء كريم(٥٤) .

ومـــن هنا جاءت فكرة الفداء أو الخلاص فى المسيحية التى لاتقرها الإسلام وتؤمـــن بهـــا المسيحية فى المقابل ، فأتحد بناسوت عيسى (عليه السلام) ثم إن الناسوت

الــذى إتحدت به صلب فكان صلبه (عليه السلام) سبباً للخلاص ، ثم تحدث الغزالى عن المســيحية نــاقداً وعارضاً ومحللاً جزئية إطلاق الأبوة على الله تعالى والبنوة على عيسى (عليه السلام) ، والأمر ليس كذلك وهى من الخيالات الفاسدة(٥٥) .

ج- **إطلاق لفظ الكلمة :**

وهى من المعضلات التى يعــول عليها المسيحيون مثبتين بها إلهية عيسى (عليه السلام) وجعلها يوحنا فاتحة إنجيله وهى :- فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وإلـــه هو الكلمة كان هذا قديماً عند الله كل به كان وبغيره لم يكن شيئ مما كان .. والكلمة صار جسداً وحل فينا .. ورأينا مجده . "(٥٦) ، ورد الغزالى على ما جاء فى الإنجيل بعدم ثبوت الإلهية لعيسى (عليه السلام) بوجه لأنهم يعتقدون إن ذات البارى واحدة فى الموضوع ولها إعتبارات ثلاثة :-

الأول : فــإن اعتــبرت مقيــدة بصفة لا يتوقف وجودها على تقدم وجــود صفة قبلها كالوجود فذلك المسمى عندهم بأقنوم الآب .

الــثانى : وإن اعتــبرت موصـــوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صـــفة مـــن قبلها العلم فإن الذات يتوقف إتصـــافها بالعـــلم على إتصافها بالوجود ، فذلك المسمى عندهم : بأقنوم الأبن و(الكلمة).

الثالــث : وإن اعتبرت بقيد كون ذاتها معقولة لهـــا فذلـــك المسمى عندهم بأقنوم روح القدس .

فــيقوم إذن من الآب معنى الوجود ، ومن الكلمة والإبن معنى العالم ، ومن روح القدس كون ذات البارى معقولة لـــه ، فتكون ذات الله واحدة فـــى الموضوع موصـــوفة بكل أقنوم(٥٧) والكلمة عبارة عن الذات الموصوفة بالعلم والعقل ، وكذلك الإبــن فــإذن كل منهما أقــنوم مدلولة : العالم أو العاقل ، ويوضح الإمام الغزالى

بعـــد عــــــرض عقــيـــدتهم في الكلمة والأقـــانيم الثلاثة إنــــه لا دلالة على إلهية عيسى (عليه السلام) البته .

ومـــن هـــنـــا أيضـــاً يتضح لنا إن موقـــف الإمام أبو حامد الغـــزالى من المسيحية قـــديمه وحديثه (حتى عصره) كان موقفاً نقدياً عرض لنا فيه آرائهم ثم حللها ورد عليها وفندها مستنداً إلى الأدلة النقلية من خلال (القرآن والسُنة).

وكـــذا الأدلة العقلية والمنطقية ، فكان ممثلاً بحق للقرن الخامس الهجرى في موقف يحسد عليه للدفاع عن العقائد الإسلامية بالأدلة والبراهين العقلية ، وكان رده على آراء المسيحية رداً يتسم بالموضوعية والإنصاف دون تعصب ولاحساسية وأيضاً بلا تفريط ولا إفراط .

الفصل الثالث

موقف إبن تيمية من المسيحية

.. ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية ..

١- الوحدانية والصفات

٢- ابن تيمية وقصة المباهلة ورسائل الملوك

٣- موقف ابن تيمية من ألوهية المسيح

٤- ابن تيمية وموقفه من التثليث

٥- قول ابن تيمية فى باب التوحيد

٦- موقف ابن تيمية من قضية الإتحاد وقوام كلمة الله الخالقة

تمهيد

يـأتى شـيخ الإسلام إبن تيمية بعد الإمام الغزالى بقرنين من الزمان ممثلاً للقـرن الثامـن الهجرى ، وقد لايختلف عنه كثيراً فى موقفه من المسيحية رغم ان الـبعض يُعـد إبـن تيمية من خصوم الغزالى لأنه كتب فصولاً كثيرة فى تناقضه وتسـفيه بعـض آرائه(٥٨) ، فإذا كان الغزالى أشعرياً وشيخاً للصوفية فإن إبن تيمية يُعد شيخاً للحنابلة والسلفية(٥٩) .

وقـد أفرد إبن تيمية كتاباً هاماً يُعد مصدراً من مصادر الرد على النصارى وهو : **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** (٦٠) ، وهو حين أراد أن يثبت وقوع التـبديل والتغيير فى عقائد النصارى واليهود إستدل ببعض نصوص الكتب المقدسة والنبوات السابقة ، ومنهج إبن تيمية فى غالبية الكتاب يبدأ بالقول المخالف ويعرضه ثـم يعقـب ويـرد وينقد ويحلل آراء الخصوم(٦١) ، ويكثر إبن تيمية من الإستطراد الهـادف لإبطـال ما ألصق بالدين من البدع وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على غزارة علمه وفضله وأدبه رغم نقده الشديد اللاذع ، ولقد رد إبن تيمية على ما جاء فى (الرسالة القبرصية)(***) ومضمونها ستة دعاوى منها: بعثة سيدنا محمد (ﷺ) ودعواهم أنه لم يبعث للنصارى بل إلى أهل الجاهلية من العرب والصحيح إن سيدنا محمـد (ﷺ) بعث لكافة الناس وأرسله الله للعالمين مبشراً ونذيراً ، وإن محمد (ﷺ) أثـنى فـى القرآن الكريم على دينهم أى (النصارى) وإن كتب الأنبياء المتقدمين كالـتوراة والذابور والإنجيل وغير ذلك من الصحف والنبوات تشهد ما عليه دينهم من الأقانيم والتثليث والإتحاد والصلب والفداء وغير ذلك ، وإنه يجب التمسك به إذ لايعارضـه شرع ولايدفعه عقل ونرى ان القرآن الكريم يعارض كل ذلك بصريح المعقـول وصحيح المنقول وهم يدعون إن ما هم عليه ثابت بالعقل والشرع ومتفق مـع الأصول ، ولكن أصولهم تحرفت وتبدلت وكذا دعواهم إنهم موحدون ، وإن ما

عـندهم ممـا يوهـم التعدد كألفاظ الأقانيم إنما هى من جنس ما عند المسلمين من النصـوص التى يظهر فيها التشبيه والتجسيم ، ومن دعواهم أيضاً إن المسيح(عليه السلام) جـاء بعد موسى (عليه السلام) بغاية الكمال فلا حاجة بعد إلى شرع آخر . ويُكاد كتاب إبـن تيمية كله من تفسير النصوص القرآنية النبوية التى إستدل بها فى رده عليهم وتصحيح ما وقع فى تفسير بعض النصوص الدينية فى الإنجيل من اخطاء كدراسة مقارنـة للأديـان الـثلاثة : الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية ، وما يهمنا هنا هو <u>موقـف إبـن تيمـية مـن المسيحية</u> إستكمالاً لما بدأناه من قبل وهو بيان موقف الغـزالى مـن المسـيحية ، حتى نكون قد وضعنا فى الإعتبار ظروف وملابسات القرون (زماناً ومكاناً) من الخامس حتى الثامن الهجريين .

١- <u>الوحدانية والصفات</u> :

رد الإمـام إبـن تيمية على هذه الدعاوى التى ذكرتها ودحض ما فيها من أباطـيل وقدمها بدراسة موضوعية بعيدة عن الذاتية والتعصب البغيض ، ويقرر إن المسـلمين مقرون إيمانهم بنبوة موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء بل إن الإعتراف بالأنبياء السابقيين شرط من شروط الإيمان الصحيح لدى كل مسلم وأفـرد إبـن تيمية رداً على دعواهم إن محمداً (ﷺ) أثنى على دين النصارى بعد التـبديل والنسـخ والتحريف – وهى أعظم كذباً عليه من التى قبلها – فكيف يثنى علـيهم وهو يكفرهم فى غير موضع ؟ ويأمر بجهادهم وقتالهم ويذم المتخلفين عن جهـادهم غاية الذم ، وأما ثناء الله ورسوله (ﷺ) على المسيح وأمه وعلى من أتبعه وكـان علـى دينه الذى لم يبدل ، فهذا حق ، وهناك نصوص صريحة فى القرآن الكـريم تـدل على ذلك ، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل ولم تغير ولم تحرف وإن محمداً (ﷺ) أثنى على كل من أتبعها وقال – مع ذلك – إن الله أرسلنى إليكم لم يكن متناقضاً . وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل ان يكذبوه

فكيف وهو إنما مدح من أتبع دين لم يبدل ! وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم الرسول الكريم بل ذمهم لأنهم حرفوا وبدلوا ، فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد ، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاجاً ، ولهذا قال الرسول (ﷺ) فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة عن النبى الكريم (ﷺ) قال : " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى "(٦٢) ، فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين ، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً مصداقاً لقول الله تعالى : " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيئ "(٦٣) وأهل السُنة والجماعة فى الإسلام كأهل الإسلام فى أهل الملل الأخرى فهم وسط فى الشريعة فلم يجحدوا شرعة الناسخ لأجل شرعة المنسوخ كما فعلت اليهود ، ولا غيروا شيئاً من شرعة المُحكم ولا إبتدعوا شرعاً لم يأذن به الله تعالى كما فعلت النصارى ، ولا غلوا فى الأنبياء والصالحين كغلو النصارى ، فهم وسط فى باب صفات الله تعالى عز وجل بين أهل الجُحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله من غير تعطيل ولاتمثيل إثباتاً لصفات الكمال وتنزيهاً له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال إثباتاً بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل (٦٤) كما قال الله تعالى : " ليس كمثله شيئ " وهو رد على **الممثلة** وتكملة الآية فى قوله تعالى : " وهو السميع البصير "(٦٥) وهو رد على **المعطلة** وقول الله تعالى فى سورة الإخلاص بالكامل آية التوحيد المطلقة ، فالصمد السيد المستوجب بصفات الكمال ، والأحد الذى ليس له كفواً ولا مثال ، وهم وسطاً فى باب أفعال الله عز وجل بين المعتزلة المكذبين بالقدر والجبرية النافيين لحكمة الله ورحمته وعدله (وكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل) ، والمعارضين بالقدر أمر الله تعالى (القدرية) ونهيه وصوابه وعقابه(٦٦) .

ويورد إبن تيمية قول الله تعالى عن المسيح : " فلما أحس عيسى منه الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون "[٦٧] . فسيدنا عيسى يتساءل من أنصارى إلى الله ؟ وهذا يعنى بأنه ليس إلهاً كما يدعون ، وللنصارى فى صفات الله تعالى وإتحاده بالمخلوقات ضلال شاركهم فيه كثير من هؤلاء بل من الملاحدة من هو أعظم ضلالاً من النصارى والحلول والإتحاد - كما يذكر إبن تيمية نوعان -

النوع الأول : نـوع عـام

النوع الثانى : نـوع خـاص

فالنوع العام كالذين يقولون : إن الله بذاته حال فى كل مكان أو إن وجوده عين وجود المخلوقات ، والنوع الخاص كالذين يقولون : بالحلول والإتحاد فى بعض أهل البيت كعلى بن أبى طالب (كرم الله وجهه) وغيره ، وهم **النصيرية** وأمثالهم أو بعض من ينتسب إلى أهل البيت كالحاكم وغيره ، ومثل **الدرزية** وأمثالهم أو بعض من يعتقد فيه المشيخة **كالحلاجية** وأمثالهم[٦٨] . ويقرر إبن تيمية كموقف مبدئى إن كل من قال بهذا فإنه اكفر من النصارى الذين قالوا بالإتحاد والحلول فى المسيح ، فإن المسيح (عليه السلام) كنبى مرسل - أفضل من هؤلاء كلهم ويقرر أيضاً إن دين النصارى باطل لأنه دين مبتدع - بعيد عن الوحدانية المطلقة ومضطرب فى الصفات - إبتدعوه بعد المسيح (عليه السلام) وغيروا به دين المسيح فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما أبتدعوه ، ولما بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) كفروا به فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين :-

أ - تبديل دين الرسول الأول ← سيدنا عيسى (عليه السلام)

ب- تكذيب دين الرسول الثانى ← سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)

فضـــاع الحـــق بينهم فيما بين مبدل ومكذب فضلوا ضلالاً كبيراً فى قولهم بالأقانيم الـــثلاثة : الأب والإبن والروح القدس كما ذكرنا من قبل ، ونادوا بالتثليث بدل من الوحدانية المطلقة وأطلقوا الصفات على الأقانيم وهنا يتفق الغزالى مع إبن تيمية فى موقفه من المسيحية .

٢- إبن تيمية وقصة المباهلة ورسائل الملوك :

أورد ابـــن تيمية فى كتابه : الجواب الصحيح " قصة المباهلة " وذكر الآية القرآنـــية فـــى قـــول الله تعالى : " فمن حاجك فيه من بعد من جاءك من العلم فقل تعـــالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين "(٧٠).

وقد إفتتن الناس فى نزول هذه الآية وفسرها كل قوم حسب هواه ، وأوضح ابن تيمية إن نصارى نجران (التى باليمن) هم أول من أدى الجزية من النصارى ، وذكـــر قـــول النجاشى ملك الحبشة لما سمع القرآن إن هذا والذى جاء به موسى لـــيخرج من مشكاة واحدة ولما سألهم (أى وفد المهاجرين) عن قولهم فى المسيح علـــيه الســـلام قـــالوا : " نشهد انه عبد الله ورسوله وكلمة ألقاها إلى مريم العذراء البـــتول الـــتى لم يمسسها رجل ، فقال النجاشى لجعفر ابن أبى طالب (وكان معه عـــثمان بـــن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وغـــيرهم مـــن الرجال والنساء) : والله ما زاد عيسى ابن مريم (عليه السلام) على ما قلت(٧١) ، وقرأ عليه جعفر أربعين آية من سورة مريم (١-٤٠) (٧٢) وإفراد القرآن الكريم للسيدة مريم العذراء سورة بأكملها دليل على تكريمها وتكريـــم سيدنا عيسى (عليه السلام) كما سبق القول. .

إذن هـــذه شـــهادة مـــن أهل النصارى بل من ملكهم فى لقاء مع أقـــرب الـــناس لرســـول الله (ﷺ) وبأنهم ما غيروا وما بدلـــوا إلا بعد ما دونت الأناجـــيل الأربعـــة (مـــتى – مـــرقص – لوقـــا – يوحنا) ، ولتمثل المرحلة الأولى لكتابة الأناجـــيل الأربعة ولم تبدأ إلا بعد عام ٦٣م (ولقد عاش المسيح حوالى ٣٣ عام) حقـــيقة كان بولص قد كتب رسائله منذ عام ٥٥م ولكن بولص لم يكن من حوارى المســـيح ولـــم يلـــتق بـــه بل كان خصماً لدوداً للمسيح وحواريه ، ولم يتحول إلى المســـيحية إلا بعد وفـــاة المسيح ، وأعلن فكرة المسيح إبن الله ، ثم توالت المجامع بعـــد ذلك[٧٣] ، ويورد لنا ابن تيمية جـــزءاً من أقـــوال حاطب بن أبى بلتعه رسول رسول الله (ﷺ) إلى المقوقص ملك النصارى بالإسكندرية : إن هذا النبى دعا الناس إلـــى الله تعالى فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم لـــه اليهود وأقربهم منه النصارى ولعمـــرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القـــرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل[٧٤] ، ولقد كان رسول الله (ﷺ) رفيقاً ومتســـامحاً مـــع محاوريه من الأديان السابقة على الإسلام ، ولكن تغيرت التوراة وحرفـــت الأناجـــيل بعد عصر سيدنا عيسى(عليه السلام) ومن الملوك الذين تحدثوا فى شـــأن محمـــد (ﷺ) – النجاشى – كما ذكرت والذى قال: أشهد بالله إنه النبى الأمى الـــذى ينتظره أهل الكتاب ، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان ليس بأشفى من الخبر[٧٥].

ومن هنا نقرر إن موقف الإسلام من الشرائع السماوية السابقة سواء كانت يهوديـــة أو مسيحية تجسد فى موقف المسلمين من إتباع تلك الشرائع (أهل الكتاب) وهو موقف جاوز الإيمان النظرى بالتعددية الدينية فى المجتمع الإسلامى إلى حيث قننـــت – أول دســـتور لأول دولـــة إسلامية (الصحيفة / الكتاب / الدستور / دولة المدينة)[٧٦].

ويذكـــر أبـــن تيمية فى كتابه جميع الرسائل التى أرسلها الرسول (ﷺ) إلى الملـــوك النصارى ثم بعد ذلك غزوات النصارى وقتالهم فى مؤته من أرض الكرك وذكـــر كلمة الله ورسوله فى من تخلف عن الجهاد ، وبعد موته (ﷺ) أمرنا بإخراج الـــيهود والنصـــارى من جزيرة العرب[٧٧] (ومن أمثلة الأحاديث:لأخرجن اليهود والنصـــارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً ، وفى رواية أخرى أخرجوا يهود أهل الحجاز ونصارى أهل نجران من جزيرة العرب..{رواه الإمام أحمد}).

وفيما يتعلق بالتغيير والتبديل فى الكتب الإلهية يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية إن المســلمين لايجــيزون لأحــد بعد الرسول (ﷺ) أن يغير شيئاً من شريعته ، فلا يحلـــل مـــا حـــرم ولايحرم ما حلل ولايوجب ما أسقط ، ولا يسقط ما أوجب ، بل الحلال عندهم ما حللوا الله ورسوله والحرام عندهم ما حرموا الله ورسوله ، والدين مـــا شرعه الله ورسوله بخلاف النصارى الذين إبتدعوا بعد المسيح بدعاً لم يشرعها المســيح (عليه السلام) ، ولانطـــق بهـــا شـــيئ من الأناجيل ولا كتب الأنبياء المتقدمة وزعمـــوا إن مـــا شرعه أكبارهم من الدين الصحيح فإن المسيح يمضيه لهم . وهذا موضـــع تـــنازع فـــيه أصحاب الملل الثلاث : المسلمون واليهود والنصارى – كما تـــنازعوا فى المسيح وغير ذلك ، فاليهود لايجوزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله بـــآرائهم ، أمـــا المسلمون فعندهم إن الله تعالى لـــه الخلق والأمر ولا شرع إلا ما شـــرعه الله على ألسنة رسله وله أن ينسخ ما شاء كما نسخ بالمسيح ما كان شرعة للأنبياء قبله[٧٨].

ويقـــرر أبن تيمية إن النصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم – أكابرهم بعد المسيح وهم أصحاب الأناجـــيل الأربعة ، كما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر (٣١٨) الذين كانوا فى زمن قسطنطين الملك من خلال مجمع نيقية ٣٢٥م وأطلقوا علـــيه (الأمانة) التى إتفقوا عليها ولعنوا من خالفها من الآريوسية نسبة إلى آريوس

وغـيرهم ، وأورد أبـن تيمية نصاً من كتبهم :" نؤمن بإله واحد آب ضابط الكـل خـالق السـموات والأرض ، كما نؤمن بما يرى وما لايرى ، وبرب واحد يسوع المسـيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ونور من نور الله إله حق مـن إلـه حق ، موجود غير مخلوق مسـاوى الأب فى الجوهر الذى به كان كل شـيئ .."[٧٩] ، ويعرض أبن تيمية فى فصول كتابه الهام بعض الأمور التى يأخذها علـى النصـارى كموقف مبدئى من المواقف التى إتخذها تجاه ديانة المسيحية من أمثله ذلك :-

أ - تعظـيمهم للصـليب ، وقصة الصليب ومما وقع فيها الإشتباه وقد قام الدلـيل على إن المصلوب لم يكن هو المسيح (عليه السلام) ولكنهم ظنوا إنه المسـيح[٨٠]. والحواريـون لـم ير أحد منهم المسيح مصلوبا[٨١] ، وقد عرضـنا وجهة نظر الإسلام من خلال عرضنا لموقف الإمام الغزالى مـن المسـيحية ، وذلـك من خلال القرآن الكريم والسُنة النبوية فيما يختص بمسألة صلب المسيح.

ب-إستحلالهم لحم الخنزير.

ج- تعبدهم بالرهبانية .

د- إمتناعهم من الختان .

هـ- تركهم طهارة الحدث والخبث.

و- احدثوا وإبتدعوا كل شرائعهم وغالوا فى دينهم .

ومـن هنا نجد أبن تيمية يعقد فصلاً فى غلو النصارى فى الدين ويذكر إن للنصارى تفاسير للكتب الإلهية فيها من التحريف لكلمات الله والإلحاد فى أسماءِ الله وآياتـه مـا يطول وصفه ولاينقضى التعجب به ، ولكن أقوالهم على تفسير القرآن بالإلحاد والتحريف أعجب وأعجب!! كقولهم إن محمداً (ﷺ) ذكر إنه لم يرسل إليهم

وإنـــه أرســـل للعرب فقط وإنه أثنى على الدين الذى هم عليه بعد النسخ والتبديل .. إلـــخ ، وموقف إبن تيمية من هذا كله ان وصفهم بالكذب الظاهر والإفتراء والبهتان على سيدنا محمد (ﷺ) (٨٢) .

أمـــا قولهم نحن النصارى لم نعمل شيئاً مما عملته اليهود ، فيقال لهم الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر فى ذنوب اليهود فإن لم تعملوا مثل أعمالهم فلكم من الأقـــوال والأعمال ما بعضه أصعب من كفر اليهود ، وإن كنتم أنتم ألين من اليهود وأقـــرب مـــودة فأنتم أيضاً أجهل وأضل من اليهود . وإستشهد ابن تيمية بقول الله تعـــالى :- " أن دعـــوا للرحمـــن ولداً وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولداً إن كل من السموات والأرض إلا أتىْ الرحمن عبداً "(٨٣).

ولقـــد أوضح ابن تيمية أيضاً أصل كفر اليهود والنصارى فى مصدر أخر مـــن مصادره الهامة وهو كتاب " إقتضاء الصراط المستقيم " ويقول إن كفر اليهود أصـــله مـــن جهـــة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولايتبعونه قـــولاً أو عملاً وكفـــر النصـــارى مـــن جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون فى أصناف العبادات بلا شـــريعة من الله ويقولون على الله ما لايعلمون ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينه وغـــيره يقولون : " من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عُبادنا ففيه شبه من النصارى "(٨٤).

٣- موقف ابن تيمية من ألوهية المسيح :

مـــن أهـــم القضـــايا الـــتى ناقشها كل من : الإمام أبو حامد الغزالى وشيخ الإسلام إبن تيمية - ألوهية المسيح - ويعرض ابن تيمية النصوص المسيحية ويرد علـــيهم وينـــتقدهم بأســـلوب علمى رصين ، ويقول إنه قالوا إن المسيح إله ، ويرد علـــيهم : ثبوت كونه إلهاً لو كان ممكناً أبعد من ثبوت كونه رسولاً ، فكيف إذا كان

ممتنعاً ؟ وذلك إنه ليس معهم ما يدل على إلهيته إلا ما ينقلونه من أقوال الأنبياء أو المعجزات والخوارق ، والخوارق لاتدل على ألوهية ، فإن الأنبياء مازالوا يأتون بالآيات الخارقة للعادة ولم تدل على ألوهية أحد منهم .

ومعلوم إن أصحاب محمد (ﷺ) الذى رأوا ونقلوا معجزاته أضعاف أصحاب المسيح (عليه السلام) ، أما أقوال الأنبياء عليهم السلام فلا ريب إن دلالتها على رسالتهم ورسالة محمد (ﷺ) أظهر من دلالتها على إلهية المسيح ، فيمتنع الإحتجاج بها على إلهية المسيح دون رسالة محمد ورسالة المسيح ، ومتى ثبت إن محمداً (ﷺ) يطلب إلهية المسيح فإنه كفر من قال : إنه الله أو إبن الله أو إنه إله أو إبن إله ، وكذلك متى ثبت إن المسيح (عليه السلام) رسول الله بطل كونه إلهاً ، فإن كونه هو الله مع كونه رسول الله تناقض ، وقولهم: إنه إله بلاهوته ورسول بناسوته كلام باطل من عدة وجوه ، ولقد عرضنا من قبل نصوص نقدية للغزالى تدل على إنسانية المسيح وتنفى إلهيته ، ونعرض الآن وجوه النقد لإبن تيمية ضد أقوال النصارى :-

<u>الوجه الأول</u> : إن الذى كان يكلم الناس إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله ، فإن كان هو الله بطل كونه رسول الله ، وإن كان هو رسول الله بطل كونه هو الله . ولهذا لما كان الذى كلمه سيدنا موسى (عليه السلام) من الشجرة هو الله لم تنطق الكتب بأنه رسول الله ، وهذا وارد بأى وجه فسروا به الإتحاد ، ومن المعلوم إن الناس كانوا يسمعون زمن المسيح كلاماً بصوته المعروف ، فكيف بمن يكون رب العالمين هو الحال فيه المتحد به المتكلم بكلامه ؟ فإنه لابد وان يكون بين كلامه وصوته وكلام سائر البشر وصوتهم من الفرق أعظم من الفرق بين المصروع وغير المصروع[٨٥] ...إلخ.

الوجه الثاني: إن خطابه خطاب رسول ونبى كما ثبت ذلك عنه فى عامة المواضع ولكن أكثرهم لايعلمون .

الوجه الثالث: إن مصير الشيئين شيئاً واحداً مع بقائهما على حالهما بدون الإستحالة والإخـتلاط ممتـنع فى صريح العقل ، وإنما المعقول مع الإتحاد أن يستحيلا ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن فإنهما إذا صار شيئاً واحداً إستحالا وإختلاطا بخلاف إختلاط الماء والزيت مثلاً .

الوجـه الرابع : إنه مع الإتحاد يصير الشيئان شيئاً واحداً فيكون الإله هو الرسول والرسـول هو الإله ، إذ هذا هو هذا ، إن كان إله غير الرسول فهما شـيئنان ومهمـا مثلوا به قولهم كما يذكر ابن تيمية – كتشبيهم ذلك بالنار فى الحديد والروح فى البدن فإنه يدل على فساد قولهم .

وهكـذا ينتقد أبن تيمية آراء المسيحية ويتخذ موقفاً صريحاً واضحاً فى رد دعواهم بنصـوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فى أكثر من موضع من خلال مصادره[٨٦] التى إعتمدنا عليها ، ويتضح ذلك جلياً عند حديثنا عن موقف إبن تيمية فى باب التوحيد ولكن بعد عرض وجهة نظره وموقفه تجاه مسألة التثليث .

٤- إبن تيمية وموقفه من التثليث :

ويذكـر ابـن تيمية إختلافهم فى تصور الإله ، ولقد جمعوا بين النقيضين : بيـن الإثبات والنفى ، وصاروا يثبتون ثـلاثـة ألهة : الأب والإبن والروح القدس وعقـد فصـلاً فيما قالوه (أى النصارى) : فى التثليث[٨٧] ، ولهذا قال طائفة من العقـلاء إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى ، وذلك إن الذين وضـعوها لـم يتصـوروا مـا قالوا بهم فتكلموا بجهل ، وجمعوا فى كلامهم بين النقيضـين ، ولهذا قال بعضهم لو إجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً

وقال آخر لو سألت بعض النصارى وإمراته وإبنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وإمراته قولاً أخر وإبنه قولاً ثالثاً(٨٨) .

ومن منطلق المنهج الذى صار عليه إبن تيمية لبيان موقفه من المسيحية ينتقل فى ردوده من دعوى إلى أخرى ، ثم إنتقل إلى دعوى التثليث فقال : " قالوا : وكذلك شهد أشعيا بتحقيق الثالوث بوحدانية جوهره ، وذلك بقوله : رب القوات وبقوله رب السموات والأرض ومثل هذا القول فى التوراة والمزامير شيئ كثير حتى اليهود يقرأون هذه النبوات ولايعرفون لها تأويلاً وهم مقرون بذلك وينكرون كلمة واحدة ، وإنما قلوبهم مغلوقة عن فهمه لقسوتها ، كما أنهم إذا إجتمعوا فى الكنيسة يقف الحزان ويقول كلاماً عبرانياً ترجمته : نقدسك ونعظمك ، ونثلث لك تقدسياً مثلثاً ، كالمكتوب على لسان نبيك ، فيصيح الجميع قدوس ، قدوس قدوس ، رب القوات ، رب السموات والأرض " ، فما أوضح إقرارهم بالتثليث وأشد كفرهم بمعناه . ثم أوضح أبن تيمية معنى التثليث الذى جاء فى التوراة فقال : " واما قولهم نقدسك ونعظمك ونثلث لك وقولهم أيضاً قدوس .. إلخ فهذا كلام صريح فى إن المثلث هو نفس التقديس لا نفس الإله المقدس وكذلك قولهم قدوس ثلاث مرات فينصب التثليث على المصدر الذى ينصب بفضل التقديس فقال نقدسك تقدسياً مثلثاً فنصب التقديس على المصدر كما تقول سبحتك تسبيحاً مثلثاً أى سبحتك ثلاث مرات ، وقال نثلث لك أى نثلث تقديساً لك ، لم يقل : أنت ثلاثة ، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث ، وهم يثلثون له وهذا صريح فى إنهم يسبحونه ثلاث مرات ، لايسبحون ثلاثة ألهة ، ولا ثلاثة أقانيم(٨٩) .

ثم تتبع أبن تيمية تبريرهم التثليث فقال : " قالوا : وقد علمنا إنه لايلزمنا إذ قلنا هذا – عبادة ثلاثة ألهة ، بل إله واحد ، كما لايلزمنا إذ قلنا الإنسان ، ونطقه

وروحــه ثلاثة اناس بل إناس واحد ولا إذا قلنا : لهيب النار ، ضوء النار ، حرارة الــنار ، ثلاثــة نــيران ، ولا إذا قلنا قرص الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاثــة شــموس – أى لايلــزمهم التثليــث فى كل ما مر من قبل ، بل الإنسان هو الإنســان بــنطقه وروحه ، والنار هى النار بضوئها وحرارتها وقرص الشمس هو قرص الشمس بضوئه وشعاعه .

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية رد عليهم بقوله : " والجواب على ذلك من وجوه :

<u>الأول</u> : أنكــم صرحتم بتعدد الألهة الأرباب فى عقيدة إيمانكم وفى إستدلالكم وغير ذلــك مــن كلامكم ، فليس ذلكم شيئاً ألزمكم الناس به ، بل أنتم تصرحون بذلك ، كما تقدم من قولكم : نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق ما يرى وما لا يرى وبرب واحد .. إلخ .

<u>الــثانى</u> : أن تمثــيلهم بالإنسان ونطقه وروحه ، والنار وحرها وضوئها ، والشمس وضوئها وشعاعها ، باطل من وجوه .

<u>أحدهـــا</u> : إن حر النار وضوئها القائم بها ليس ناراً من نار ولاجوهرة من جوهــر ولاهــو مســاو النار والشمس فى الجوهر . وكذلك نطق الإنسان وضـــوء الشــمس وهم قد أثبتوا ثلاثة أرباب بقولهم فى الأمانة : نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قــبل كــل الدهور نور على نور إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو الأب فى الجوهر .. إلخ.

<u>ثانيها:</u> ان الضوء فى الشمس والنار يراد به نفس الضوء القائم بها ، ويراد بهــا الشــعاع القائم بالأرض والجدران ، وهذا مباين لها ليس قائماً بها فهم جعلــوا الأب جوهراً قائماً بنفسه ، والإبن أيضاً جوهراً قائم بنفسه ، وروح

القدس رباً جوهراً قائم بنفسه ، ومعلوم إن ضوء النار والشمس وحرارتهما ليس كل منهما شمساً وناراً قائمة بنفسها ، ولاجوهراً قائماً بنفسه . فلو أثبتوا حياة الله وعلمه أو كلامه صفتين قائمتين به – ولم يجعلوا هذا رباً جوهراً قائماً بنفسه ، وهذا رباً قائماً بنفسه – لكان قولهم حقاً وتمثيلهم مطابقاً(٩٠) .

وهكذا ثابر الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية على إدحاض حججهم الباطلة فى كل ما ذهبوا إليه فى مسألة التثليث ، وتجسيم كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شيئ ، وتجسدها بإنسان مخلوق ، وهو الذى أخذ من مريم العذراء المصطفاه ودعواهم الخلق لعيسى وإستدلالهم ببعض آيات من القرآن الكريم يوهم ظاهرها ذلك مثل قوله تعالى : " وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى ... "(٩١) ، ودحض أيضاً ما ذهبوا إليه من إتحاد الناسوت واللاهوت ومن هنا كان حرى بنا أن نعرض لموقف ابن تيمية وقوله فى باب التوحيد .

٥- **قول ابن تيمية فى باب التوحيد:**

يورد لنا ابن تيمية أقوال الحسن بن أيوب (وهو ممن كان من إجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم) الذى بين الحجج فى بطلان كل قول للمسيحية وعقيدتهم وشريعتهم وإيمانهم ، وإن من قام منكم بمناظرة أو محاورة قالوا : " قد وجدنا أكثر الأديان يختلف اهلها فيها ويتفرقون على مقالات شتى هم عليها وكل منهم يدَّعى ان الصواب فى يده "(٩٢) ، ثم يقوم أبن تيمية بعرض موقفه ورده قائلاً : " وهذا أيضاً من سوء الإختيار وذهاب القلوب عن رشدها وانصرافها عن سبيل حقها ، فلم يختلف أهل دين من الأديان فى عقد معبودهم ولاشكوا فيه ولاتفرقوا القول فيما اختاروه إلا أهل ملل النصرانية فقط ، وسواهم قد اختلفوا فى الفروع مثل إختلاف اليهود فى اعيادهم وسُنن لهم ، وإختلاف المسلمين فى

القـــدر وغــيره ".[٩٣] فالإتفاق فى الأصول صحيح وكل ما سواه لايقع معه كفر وخاصة فى التوحيد ولايبطل به دين – والبلاء العظيم الإختلاف فى المعبود .

وما يقـال فى باب التوحيد إن الله إلـه خالق الكل وإلـه الخلق كلهم واحد لاشـريك لـه ولا ولد لـه ، والقرآن كـتاب الله المنزل علـى سيدنا محمد (ﷺ) المرســل لايخـتلفون فيه (يقصد المسلمين) ، وفى قولنا وإعترافنا بوحدانية الله تعالى ونفينا عنه الشركاء والأنـداد والأمثال والاولاد فهو قول لايشكون فى صحته (اى المسيحيين) ولايشك فيه أحد من أهل الكتاب وسائر الممل ولاغيرهم من أهل القـول بالدهر (الدهرية) وسائر عبده الأصنام والأوثان وكل منهم يقر به ويرجع إلـيه .. إلاّ ان منهم من يتابعنا على تحديد التوحيد ، ومنهم من يدخل العلل فيه بان يقـول ثلاثـة ترجع إلى واحد (وهم المسيحيين) ، وصنماً نعبده إجلالاً لله ليقربنا إلى ربنا وربه (عبدة الأصنام) ومدبر للأمور قديم[٩٤] ... إلخ.

ويـورد أبـن تيمـية مذهـب أئمـة المنتصرين لدين النصرانية مثل ابن الـبطريـق (بطريـرك الاسكندرية) من خلال كتابه (نظم الجوهر) وذكر فيه أخـبار النصـارى ومجامعهم وإختلافهم وسبب احداثهم مع إنتصاره لقول الملكانية والرد على من خالفهـم ، وذكـر مولـد المسيـح (عليه السلام) وأنه ولد فى عهد ملك الـروم قيصـر المسـمى اغسطس لأثنين واربعين سنة من ملكه وقال : ملك ستا وخمسـين سـنة وكان لقيصر هذا صديق يقال لـه (بلاطس) من قرية على شط الـبحر الـذى تحـت (قسـطنطينية) ويسمى ذلك البحر (السطس) ولذلك يسمى بلاطـس النبطى فولاه على أرض يهوذا ، فجاء المسيح إلى يحيى بن زكريا فعمده فـى الأردن ، وذكر قصة قتل يحيى وقصة الصلب المعروفة عند النصارى ، كما ذكـر المعجـزات الكثيرة من إبراء المرضى وإحياء الموتى فأراد ان يؤمن بسيدنا عيسـى ويظهـر دين النصارى فلم يتابعه اصحابه على ذلك[٩٥] ، وأخذ أبن تيمية

يورد لنا أقوال سعيد بن البطريق بكل ما تحتوى على مغالطات واخطاء شنيعة منها مسألة تعميد المسيح وغير ذلك ، من ذكر عيد الفصح عند النصارى[٩٦] ، وبعض الممارسات والطقوس الميثيولوجية لديهم ، ويورد ابن تيمية قول البطريق عن مقالة بولس مؤسس المسيحية فى إن سيدنا عيسى المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره ، فإن إبتداء الأبن من مريم وإنه أصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى أبن الله . وقال : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولانؤمن بالكلمة ولا بروح القدس .

وبعد موت بولس اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة إنطاكية ونظروا فى مقالة بولس فأوجبوا على هذا الشمشاطى اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول مقالته وانصرفوا[٩٧].

أ- <u>مناظرة قسطنطين وآريوس</u> :

عندما وجه قسطنطين رسول إلى الإسكندرية أشخص البطرك الأكسندروس (بطريرك الإسكندرية) وجمع بينه وبين آريوس ليناظره ، فقال قسطنطين لآريوس : أشرح مقالتك ، فقال آريوس : أقول : إن الأب كان إذ لم يكن الإبن ثم الله أحدث الإبن ، فكان كلمته لـه إلا أنه <u>محدث مخلوق</u> ، ثم فوض الأمر إلى ذلك الإبن المُسمى (كلمة) فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما كما قال فى إنجيله ، إذ يقول : " وهب لى سلطاناً على السماء والأرض " ، وكان هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك ، ثم أن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً.

فالمسيح الآن معنيان : أ - كلمة

ب- جسد

إلاّ أنهما جميعاً مخلوقان .

قـــــال : فــاجابـــه عند ذلك بطريرك الاسكندرية وقال: تخبرنا الآن أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا ؟

قال آريوس : بل عبادة من خلقنا .

قال له البطريرك: فإن كان خالقنا الأبن كما وصفت وكان الأبن مخلوقاً بعبادة الأبن المخلـــوق أوجـــب مـــن عبادة الآب الذى ليس بخالق بل تصير عـــبادة الأب الخـــالق للأبن كفراً ، وعبادة الأبن المخلوق إيماناً وذلك من أقبح الأقاويل .

فأستحســـن الملـــك . وكـــل من حضر البطريرك وشنع عندهم مقالة آريوس ودار بينهما أيضاً مسائل كثيرة[٩٨].

وعـــن آريـــوس يذكر زكى شنودة فى كتاب (تاريخ الأقباط) ، إنه ولد فى ليبـــية القيروان بأفريقيا عام ٢٧٠م ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ثـــم رســـمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية شماساً عام ٣٠٧م ، ثم قساً وواعظاً وكان ذكياً فصيحاً ويوضح هذا الكتاب إن عقيدة آريوس فى الله تعالى انه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور... كما يورد لنا د. السقا المناقشة الحادة التى دارت بين آريوس وأثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية فى كتابه الأقانيم الثلاثة .

ب- مجمع نيقيـــة (٣٢٥م) :

يعتـــبر مجمع نيقية[٩٩] من أعظم المجامع وأبعدها أثراً وأكبرها شأناً وأولها وجوداً وأعظمها ذكراً . وكان سبب إنعقاده الإختلاف فيما بينهم فى شخص المسيح (عليه السلام) وبعـــد أن لعن آريوس وكل من قال بمقالته بأمر من قسطنطين الملك الذى بعـــث إلـــى جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة فأجتمع فى مدينة نيقية بعد سنة

وشـــهرين ألفـــان وثمانـــية واربعون أسقفاً وكانوا مختلفى الآراء ومختلفى المذاهب لشرح الدين وتوضيحه للناس فكانت آرائهم كما يلى :-

١- إن المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية ويسمون المريميين .

٢- ان المســيح مــن الأب بمــنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنتقص الأولى لإيقاد الثانية منها ، وهى مقالة سبارنيون واشياعه .

٣- ان مــريم لم تحبل لتسعة أشهر وإنما مر نور فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب لأن كلمة الله دخــلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهى مقالة (إليان) واشياعه .

٤- ان المســيح إنســان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وإن إبتداء الإبن من مريم وانه أصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الأنسى صحبتة النعمة الإلهــية فحلت فيه المحبة والمشيئة فلذلك سمى (ابن الله) ويقولون ان الله جوهــر واحــد وأقنون واحد يسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بــروح القــدس وهى مقالة (بولس الشمشاطى) بطرك أنطاكية وأشياعه وهم البوليانيون .

٥- ومــنهم من كان يقــول بثلاثـــة آلهة لم يزل صالح وطالح ، وعدل بينهما وهى مقالة (مرقيون) واشياعه.

٦- ومــنهم مــن كــان يقول ربنا هو المسيح وهى مقالة بولس المسيح ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً(١٠٠).

وهــنا بعض النقد الموجه إلى هذا المجمع ، إذ كيف ينزل العدد من ٢٠٤٨ أســقفاً إلى ٣١٨ اسقف واين آراء الباقيين ؟ وهل الرغبة والرهبة من السلطان لهما دخــل فــى هذه القرارات ؟ ويذكر الإمام الشيخ محمد أبو زهرة أن عصا السلطان

ورهـــبة الملـــك كـــان لهما دخل فى تكوين رأى الذين رأوا ألوهية المسيح ، ومن المـــرجح ان سلطان الأغراء بالسلطة هو الذى دفعهم إلى ذلك بالإضافة إلى رهبتهم مـــن قســـطنطين الذى نصر العامة والخاصة على رأى آريوس ولقد كانت حماسة الموحديـــن مـــن أهـــل المسيحية الأولى لعقيدة التوحيد ظاهرة ، وإذن تكون فكرة الألوهـــية للمســـيح هـــى العارضـــة والأصل هو التوحيد ، كما يستنبط القارئ من المصادر المسيحية نفسها وان قسطنطين كان دائماً يشجع المخالفين للتوحيد.

وهكذا نجد مغالبة قوية بين التوحيد وألوهية المسيح .

الأولى : تغالب بالكثرة وقوة الإيمان .

والثانية : تغالب بقوة السلطان[١٠١] وكما يقال الآن : الناس على دين ملوكهم .

ويقـــول الله تعـــالى : " لقد كفـــر الذين قـــالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله علـــيه الجـــنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثـــة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عـــذاب ألـــيم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبيـــن لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون[١٠٢]، ويذكر ابن تيمية تعقيباً على هذه الآيات القرآنية ، إن الله ذكر إنهما كانا يأكلان الطعام لأن ذلك من أظهر الأدلة على أنهما (المسيح وأمه) مخلوقان مربوبان إذ الخالق أحداً صمد لايأكل ولايشرب ، وذكر مـــريـــم مـــع المســـيح لأن مـــن الـــنصارى من إتخذها إلهاً أخر فعبدها كما عبد المســـيح[١٠٣] ، وفى قوله تعالى : " وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس إتخذونـــى وأمـــى إلهيين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان اقول ما ليس لى

بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به[١٠٤]. وهو سبحانه لم يحك هذا عن جميع النصارى ، بل سأل المسيح سؤالاً يقرع به من أتخذه وأمه إلهين من دون الله والآية تؤكد إن المسيح لم يقل لهم (أى بنى إسرائيل) إتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، وحتى ولو قاله لكان علمه الله تعالى لأنه يعلم ما فى نفس خالقيه وخالقيه لم ولا يعلمون ما فى نفسه سبحانه علام الغيوب ، إذاً المسيح يتبرأ ممن ألهوه[١٠٥].

ويذكر ابن تيمية قول إبن البطريق : ويقال للنسطورية أيضاً أخبرونا عن الناسوت التى إتحدت بها اللاهوت وسُمى مسيحاً : هل هو لم يزل مسيحاً منذ كان فى بطن أمه مريم إلى حين وضعته وأرضعته وشب وصلب وقتل ؟ أم كان عنده ثلاثين سنة وهو واحد من الناس ؟ ثم إتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً ؟ فإن قالوا : لم يكن مسيحاً وهو فى بطن أمه مريم وإنما ولدت مريم إنساناً كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس ، وإن قالوا : إن اللاهوت إتحد بالناسوت عند الحمل وإنه كان مسيحاً وهو محمول ومولود ومرضع إلى أن صلب وقتل فقد أقروا إن مريم ولدت إلهاً مسيحاً واحداً ، أقنوماً واحداً[١٠٦].

ويرد أبن تيمية إن هذا التقسيم يدل على بطلان قول النصارى الذين إبتدعه طوائفهم الثلاثة وغيرهم ، فإن أصحاب الإتحاد يزعمون أنه كان من حين حملت به مريم وإنه كان ينمو قليلاً قليلاً كنمو جسد المسيح ، والإتحاد هنا باطل كما قد قرر غير مرة ، ويقرر ابن تيمية إن قول النسطورية متناقض كقول الملكانية بل قولهم أعظم فساداً وتناقضاً :

- فالنسطورية يقولون : الإله لم يولد ولم يصلب .

- واليعاقبة يقولون : ولـد وصلـب .
- والملكانية يقولون : ولـد ولم يصلـب[١٠٧]

ومـتى جـاز أن يولـد جاز أن يموت ويصلب ، وإن لم يجز أن يصلب ويموت لم يجـز ان يولــد ، فتجوز أحدهما ومنع الآخر تناقـض ، وهكـذا يوضح لنا ابن تيمــية تناقض المسيحية ، كما يوضح أيضاً إن تناقض الملكانية من جنس تناقض النسـاطرة[١٠٨] ، فقـد تبيـن زائف ما تعتقـده النسطورية من إن مريـم ولـدت المسـيح مـن جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وصح إن مريم ولدت إلهاً مسيحاً واحداً – على زعمهم ، ويقرر ابن تيمية إن هذا التناقض من النسطورية بأعظم من تناقض الملكانية ، فانهم – مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت وإنهما شخص واحد – يقولـون : إن أحدهمـا كـان يأكل ويشرب ويصوم ويصلى ويتصرف وإنه أخذ وصـفع ووضع الشوك على رأسه وصلب وألم ومات دون الآخر ، وكون الصلب والقـتل أعظـم منافاة للربوبية من حمل مريم به وولادته إياه لايمنع كون كل ذلك ممتنعاً على الله تعالى[١٠٩] .

ويـنفى ابن تيمية تماماً بأن الله إتحد بشيئ من المخلوقات ، فقضية الإتحاد المسـيحية قضية خاسرة من الأساس ، ويواصل شيخ الإسلام عرض آراء سعيد بن الـبطريق والـذى يشـهد بأن أئمة الضلالة – نسطوريوس وآرطيوس وديسقورس وسـورس ويعقـوب البراذعى وأشباههم – زاغوا عن سبيل الحق بسوء رأيهم فقد تورطـوا فى بحر الضلالة ، وبما أنهم جميعاً تورطوا كل واحد منهم فى وجه من وجـوه الخلطـة فقد رأى ابن تيمية ان يوضح وجه الخلطة ويقف على فساد قولهم وقرر إن من عظيم تدبير الله وكمال عدله وجليل رحمته ان بعث كلمته الخالقة التى بها خلق كل شيئ من جواهر ليست مخلوقة ... إلخ[١١٠].

وعـرض أبن تيمية رأى ابن البطريق عن قوام الكلمة الخالقة – كما سنرى – الـذى هو أحد التثليث الإلهى فذلك القوام معدود ومعروف مع الناس لما ضم إليه وخلقـه له ألتحم به من جوهر الإنسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقـة واحد فى التثليث بجوهر لاهوته ، واحد فى الناس بجوهر ناسوته ، وليس بأثنيـن ولكن بواحد مع الأب والروح ، واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين:

من جوهر اللاهوت ←———— الخالـق

من جوهر الناسوت ←———— المخلوق

إذاً قوام الكلمة التى هى الإبن المولود من الله قبل الأدهار كلها قديم فى الزمان. وهو إياه المولود من مريم العذراء فى أخر الزمان من غير مفارقة من الآب والإبن وروح القدس(١١١).

وبعـد عـرض كلام ابن البطريق الذى قرر به دين النصارى أوضح أبن تيمية إن فيه من الباطل ما يطول وصفه كما سيأتى.

٦- موقف ابن تيمية من قضية الإتحاد وقوام كلمة الله الخالقة :

ابـن تيمية ينتقد موقف النصارى من قضية الإتحاد (اللاهوت بالناسوت) كمـا أورد كلاماً فى الصفات والاقانيم الثلاثة متفقاً تماماً مع ما ذهب إليه الإمام أبو حامد الغزالى من قبل ، ويرد الشيخ ابن تيمية على كلام سعيد بن البطريق من عدة وجوه نذكر منها الآتى:-

الوجه الأول :

أخـالق العـالم – عندكم (أى النصارى) – خالق واحد وهو إله واحد أم للعـالم ثلاثـة آلهة خالقون ؟ فإن قالوا : إن الخالق واحد وهم ثلاثة آلهة خالقـون كما أنهم فى كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة وثلاثة خالقين . ثم يقولون : إله واحـد وخـالق واحد ، وهذا تناقض ظاهر ، فإما هذا وإما هذا .. وإذا قلتم الخالق

واحـد لــه ثلاثة صفات لم تنازعكم ان الخالق لــه صفات لكن لايختص بثلاثــة فــإن قــالوا بــثلاثة آلهة ، ثلاثة خالقين كما قد كثر فى كلامهم بأن كفرهم وعظم شركهم وهو أعظم من كل شرك فغاية المجوس الثنوية (إثبات إثنين : نور وظلمة) وهــؤلاء يثبــتون ثلاثة : الأب والإبن والروح القدس ، فإذا كان الخالق واحداً لــه صفات لم يكن هنا إلا خالق واحد[١١٢].

<u>الوجه الثاني :</u>

ويذكر فيه ابن تيمية قول النصارى : " بعث كلمته الخالقة التى بها خلق كل شــئ " وقــد نطقت الكتب بان الله يخلق الأشياء بكلامه فيقول لها : " كُن فيكون " هكــذا فى القرآن الكريم والتوراة وغيرها ، لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه لــيس كلامه خالقاً ولايقول أحد قط إن كلام الله خلق السموات والأرض ، والتوراة كــلام الله والإنجـيل كلام الله ولايقول أحداً شيئاً من ذلك خلق السموات والأرض ولايقــول أحــد : يا كلام الله أغفر لى وارحمنى مثلاً. فقول هؤلاء : إن كلمته هى الخالقــة وانه خلق بها كلام متناقض فإنها إن كانت هى الخالقة لم تكن هى المخلوق به ، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

<u>الوجه الثالث :</u>

ان يقــال قولكم (أى المسيحية) : " كلمة الله الخالقة " أهى كلام الله كله أم هــى بعــض كلام الله أم هى المعنى القائم بالذات القديم الأزلى ، الذى يثبته ابــن كلاب[١١٣] أم حروف وأصوات قديمة أزلية كما عند الناس أم هى الذات المتكلمة ؟ فإن كانت هى الذات المتكلمة فهى – عندهم – الأب والرب وتكون موصوفة بالحياة وقولهــم بــل هى كلام الله كله قيل لهم – كما يذكر ابن تيمية[١١٤]فيكون المسيح هو الــتوراة والإنجـيل والقــرآن وسائر كلام الله ، وهذا لايقولونه ولايقوله أى عاقل والقــولان الأخيران (المعنى الواحد القديم الأزلى ، أو الحروف والأصوات القديمة

الأزلـــية) وان كانـــا باطلين فإن قال المسيحيون لزمهم ان يكون المسيح هو كلام الله كله .

ويقرر ابن تيمية ان أى شئ فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم ولكنهم بما لايفهونـــه ويقولون الكذب والكفر المتناقض وإنما عندهم تقليد من أضلهم ، كما قال الله تعالى : " يأهل الكتاب لاتغلو فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"(١١٥) .

الوجه الرابع:

ان يقـــال لهم ما لم يعلم بالمعقول فليس فى المنقول ما يدل عليه ، وقد فسر النصـــارى كلمته بعلمه وحكمته وروح القدس بحياته ، فعن أى نبى تنقلون علم الله وحكمـــته مولـــودة مـــنه وانه يسمى إبناً ودعواكم ان صفته القديمة الأزلية ولدت مرتيـــن : مـــرة ولادة قديمة أزلية ومرة أخرى ولادة حادثة من فرج مريم ، وهذا كذب معلوم على الأنبياء لم يقل به احدهم ان الله ولد ولا أن شيئاً من صفاته ولده لا ولادة روحانية ، ولا ولادة جسمانية(١١٦).

الوجه الخامس :

قـــولكم (أى النصـــارى) : " بعث كلمته الخالقه فهبطت كلمة الله الخالقة الـــتى بهـــا خلـــق كـــل شئ " ليست مخلـــوقة ولكن مولودة منه ولم يكن الله بـــلا كلمـــته ولا روحـــه قـــط ، وكلام الأنبياء كله ينطـــق بان روح الله وروح القـــدس ونحـــو ذلك هو ما ينزله على الأنبياء كالوحى(١١٧) والتأييد والملائكة ، فليست روح الله صـــفة قـــائمة به ولاغيرها ولكنها أمر بائن عنه . فالوحى Revelation فكرة دينـــية وفلسفية معناها كشف الحقيقة كشفاً مباشراً مجاوزاً للحس ومقصوراً على من إختارته العناية الإلهية ، ويتخذ هذا الكشف صوراً شتى نظمها المتكلمون فى مراتب

مختلفة كالرؤيا الصادقة أو الإتصال بجبريل فى صورة رجل عادى ، وقد أوضحت ذلك فى كتابى " الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية " .

ويذهب فلاسفة الإسلام إلى إن الوحى إتصال النفس الإنسانية بالنفوس الفلكية إتصالاً روحياً فترتسم فى صور الحوادث وتطلع على عالم الغيب كما نجده عند ابن سينا ، وفى الصوفية يدركه الولى والعارف فى درجات أدنى وهذا ما يسمى بالإلهام كما نجده عند الإمام الغزالى ، وفسرها الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه (الدين والوحى والإسلام) بما يتناسب مع ما ورد فى أكثر السُنن وما تدل عليه ظواهر الآيات فى غير موضع من القرآن الكريم ، وقسمها إلى مذاهب المتكلمين ، والصوفية ، وفى الإسلام والمسيحية ..

الوجه السادس :

أنه إذا كان قد بعث كلمته الخالقة وهبطت وألتحمت من مريم فهو نفسه رب العالمين . هبط وألتحم من مريم أم رب العالمين نفسه ؟ لم يهبط ولم يلتحم من مريم وإنما هبط وألتحم الكلمة التى أرسلها ، وينقد أبن تيمية ذلك المنحنى قائلاً : فان قلتم هو نفسه هبط وألتحم كان الأب الوالد لكلمة هو الذى هبط وألتحم وكان الأب هو الكلمة ، وهذا متناقض لأقوالكم ، وان قلتم ان المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الأب بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق فيكون هناك خالقان !! خالق أرسل فهبط وألتحم ، وخالق أرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم ، وقد أثبتم خالقاً ثالثاً هو الروح القدس ، وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين ، وهذا مخالف ومباين للتوحيد(١١٨).

الوجه السابع :

وفيه ينتقد ابن تيمية قولهم بتعدد الخالق وجعل الكلمة الخالقة محتجبة بإنسان مخلوق بمسرة الأب وموازرة روح القدس خلقاً جديداً !! ويقولون فى الخلق أربعة أطوال ينقض بعضها بعضاً فإذا كان الله هو الخالق لكل شئ ، فالخالق واحد فليس هناك خالق آخر ولاشريك لــه فى الخلق ، الخالق إذا خلق الأشياء بقولــه : " كُــن " لـم يكن كلامه خالقاً ولو كانت كل كلمة إلهاً خالقاً لكان الآلهة الخالقون كثيرون لانهاية لهم [١١٩] ، وهذا إفتراء على الله سبحانه وتعالى عما يقولون .

الوجه الثامن :

يذكر أبن تيمية أن الكتب دلت على إن المسيح تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول ، وهكذا هو فى الإمانة التى لهم ، وبهذا جاء فى القرآن الكريم حيث اخبر فى غير موضع أنــه نفــخ فى مريم من روحه وإنهــا أحصنت فرجها وان الله نفخ فيها من روحه[١٢٠].

وينتقد ابن تيمية – كما إنتقد من قبل الإمام الغزالى – مسألة روح القدس ودعواهم ان روح القدس هو روح الله الجوهرية (الحياة القديمة الأزلية) لأن ذلك مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه والكتب الإلهية يصدق بعضها البعض[١٢١].

وعقد ابن تيمية فصلاً فى معنى روح القدس ، وأورد قول السيد المسيح فى الإنجيل المقدس للتلاميذ الأطهار .. " أذهبوا إلى جميع العالم وعمدهم بأسم الآب والإبن وروح القدس – التى هى الأقانيم الثلاثة عندهم – إله واحد وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم بــه " ، وقــام ابن تيمية بالرد عليهم من خلال نصوص القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة الصافات .." ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين " .

كمـــا عقـــد فصــــلاً فى إبطال دعوى إن حياة الله تسمى روحاً وروح الله يراد بها المُــــــلك الــــذى هــــــو روح أصطفـــاها الله فأحبها ، كما قال الله تعالى فى القرآن الكـــريم .. " فـــأتخذت مـــن دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالـــت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب إليكى غلاماً زكياً.. " – سورة مريم .

الوجه التاسع :

ويواصـــــل شيخ الإسلام ابن تيمية نقد قول سعيد بن البطريق الذى يقرر به دين النصارى بالأدلة النقلية ويتساءل من أين لك إن روح الإنسان ألطف من جميع المخلوقـــات ؟ وأنها ألطف من الملائكة والروح الذى قال فيه الله تعالى : " يوم يقوم الـــروح والملائكـــة صـــفاً لايتكلمون إلا من أذن لـــه الرحمن وقال صوابا " (١٢٢) وانها ألطف من الروح التى نفخ فى آدم منه بقوله تعالى : " ونفخت فيه من روحى " ويتقدير أن تكون ألطف فأنت لاتقول : إن الإحتجاب والإتحاد كان بروح الإنسان المجردة بل بالجسد الناسوتى الدموى الغليظ . وقولك (اى ابن البطريق) إن الخالق ألتحم من مريم العذراء فتجعل الخالق قد ألتحم من لحم مريم ومن رحمها الذى هو لحم ودم .. إلخ "(١٢٣).

الوجه العاشر :

فـــى نقد قولهم (أى النصارى) : " وأعلم انه لايرى شئ من لطيف الخلق إلاّ فـــى غلـــيظ الخلق ولا يرى ما هو ألطف من اللطيف إلا مع ما هو اغلظ منه " يقال لـــه إما ان يكون الله لما أتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس وعاتبوه أو لم يره أحد ، فان قلتم قد رآه الناس وعاتبوه فهذا مخالف للحس والشرع والعقل .

أمـــا الحس : فإن أحداً ممن رأى المسيح لم ير شيئاً يتميز به المسيح عن غـيره من البشر ، غير العجائب التى ظهرت على غيره منها ماهو اعظم مما ظهر عليه (معجزات السيد المسيح المذكورة فى القرآن ، وقد ذكرتها من قبل) ولم ير إلا بدن المسيح الظاهر ، فضلاً عن ان يرى الملائكة الذين يوحون إليه ، فضلاً عن أن يـرى الله إن قـدر أنـه كـان متحداً به أو حالاً فيه (نظرية الإتحاد والحلول الصوفية).

أمـــا الشرع : فسيدنا موسى (عليه السلام) والمسيح (عليه السلام) وغيرهما من الأنبياء أخـبروا أن أحـداً لايرى الله فى الدينا (مشكلة رؤية الله) والتى تنازع فيها أغلب الفرق الكلامية (الخوارج – الشيعة – المعتزلة – أهل السُنة والجماعة).

أمـــا العقـل : فإن رؤية بعض ملائكة الله أو بعض الجن يظهر لرائيها من الدلائـل والأصول ما يطول وصفه ، فكيف بمن رأى الله ؟ والذين رأوا المسيح لم يكـن حـالهم إلا كحـال سائـر من رأى الرسل منهم الكافر به ، والمكذب لـه والمؤمـن به ، والمصدق له ، بل هم (أى النصارى) يذكرون من أهـان نا سوته (جسـده) ممـا لايعـرف عن نظرائه من الرسل مثل ضربه والبصاق فى وجهه ووضـع الشـوك علـى رأسه وصلبه(١٢٤) – على زعمهم وفى ذلك مما سبق وان ذكرت .

وهم فى كل ذلك فى ضلال وجهل ولايتصورون معقولاً ولايعرفون مايقولون . وقد أتفق على أنهم ارتكبوا أعظم المحرمات مصداقـاً لقول الله تعالى: " يا أهل الكتاب لاتغلـوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة إنتهوا خير لكـم إنما الله إله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً ".(١٢٥) { صدق الله العظيم }

الخاتمة وأهم النتائج

الخاتمة وأهم النتائج :

فى الوقت الذى ينكر فيه بعض مؤرخى الأديان مجرد وجود المسيح(عليه السلام) إذ لـم تثبت لديهم الأدلة التاريخية على وجوده ، وعللوا المسيح والمسيحية بأنها من أختراع القديس بولس ، وان المسيح ليس إلاَّ اسطورة لم يقع لها وجود إلاَّ فى خيال القديـس بولس ، إذ بالإسلام يوجـب على إتبـاعه وجـوباً حتمياً والإيمان بعيسى (عليه السلام) نبياً ورسولاً ومباركاً ووجيهاً فى الدنيا والآخـرة من خلال الخطاب الدينى والـنص القرآنى المقدس ، وأن عيسى (عليه السلام) جزء من إيماننا نحن المسلمين : نبى معصـوم مبرأ من المعصية وأن أمه أصطفاها الله تعالى وطهرها وأصطفاها على نسـاء العالميـن ، وبنى إسرائيل بالذات الذين أتهموها بالـزنا والبغاء لولا برهان ربـى . ومن هنا وعلى هذا الأساس المرجعى ينطلق الكُتاب والمؤرخين المسلمون القدمـاء مـنهم والمحدثيـن حينما يكتبون عن المسيح والمسيحية ، ومن هنا أيضاً جـاءت كـتابات الإمـام أبـو حامد الغزالى وشيخ الإسلام ابن تيمية متطابقة لتلك المرجعـية العقدية وكانت موافقتهم تنطق بلسان حال الشرع ، ليس هذا فحسب ، بل ان العلمـاء المسـلمين الذين سبقوا الغزالى وابن تيمية لعبوا دوراً هاماً فى مجادلة أهـل الكـتاب وعـالجوا مسائل مهمة مثل إنقطاع السند فى كتبهم وتناقض المتن وتـناكره وتعانـده ، وأثبتوا تحريفها وتبديلها ، أما أبو حامد الغزالى فإنه خصص كـتابه " **الـرد الجمـيل** " لدحـض زعم النصارى فى ألوهية المسيح (عليه السلام) تلك المسألـة التى شغلت مفكرى الإسـلام والمسيحية وتقـف عقـبة كـؤود فى سبيل الحوار المنشود الذى نحن فى أشد الحاجة إليه فى الوقت الحاضر.

ونـرى إنهـا (أى مسألة الألوهية) من صلب العقيدة المسيحية مع مسائل الصـلب والإتحاد والفداء والخلاص والاقانيم الثلاثة ، وغير ذلك من الموضوعات الـتى تمـت مناقشـتها من خلال هذا الكتاب – وبعد قرنين من الزمان برز على

الساحة الاسلامية شيخ الإسلام المجدد الناقد الفقيه أبن تيمية الحرانى ليخصص عدة مؤلفات من كتبه لدحض آراء النصارى فى أمور كثيرة أبطلها ودمغها ودحضها ورد عليها بالأدلة النقلية والعقلية كما رأينا فى ثنايا الكتاب.

ومن هنا يجدر بنا أن نسرد أهم النتائج التى توصلت إليها :-

١- عن الغزالى وموقفه من المسيحية نراه يذكر رأيه بعد عرض آرائهم ويعرض لطبيعة عقائدهم ، ويدمغهم بالتقليد والغباوة والجمود والعجز العقلى عن النظر فى عقائدهم المحرفة ونقدها.

٢- كما أنه يدحض تقليدهم الفلاسفة فى تعلق ذات الله تعالى بالمسيح ، وأنها على حد قول الفلاسفة فى تعلق النفس بالبدن ، ونحن نعلم موقف الغزالى المبدئى من الفلاسفة فى أغلب كتبه فما بالك بموقفه من المسيحية ؟

٣- وضح لنا الغزالى أن فى الأناجيل والرسائل نصوصاً مصرحة بإنسانية السيد المسيح (عليه السلام) المحضة ، ونصوصاً شاهدة بأن إطلاق الإلهية عليه محال وباطل .

٤- يركز الغزالىعلى شبهتهم فى اللاهوت والناسوت ، ودعواهم بالحقيقة الثالثة المغايرة الناشئة من تعلق ذات الله تعالى بالمسيح ، ويدحضه بجدال محكم بارع طويل النفس ونفس الشيئ قام به الإمام ابن تيمية فيما بعد.

٥- يوضح الغزالى حكمة ظهور المعجزات والخوارق على يد السيد المسيح (عليه السلام) ويرفض ان يكون ذلك دليلاً على إلهيته بل هى بإذن الله تعالى ولأنبياء كثيرون غيره.

٦- إطلاق الألفاظ فى نصوصهم على سبيل المجاز لا الحقيقة ، وان اليهود قبلهم أطلقوا نفس الألفاظ : الأب والإبن والرب وغير ذلك.

٧- امـــا عن موقف ابن تيمية ممثل القرن الثامن الهجرى – كما قلنا من قبل – قد لايخـــتلف كثيراً من موقف الغـــزالى فى عرض وتحليل الديانة المسيحية رغم إخـــتلافهما فى الطرح والرؤى وسبـــل الجدال والحوار ودحض الحجج الواهية بحجـــج رصـــينة لاتخـــرج عن الأصول الإعتقادية لكافة المسلمين من القرآن والسُنة .

٨- وابـــن تيمـــية بصـــفته سلفياً حنبلياً كان أظهر وأوقع وألذع فى نقده لنصوص النصـــارى وأصـــبح موقفـــــه واضحاً من المسيحية وضوح الشمس فى كبد السـماء ، وخـــير دليل على ذلك إفراده مؤلفـــاً ضخماً من أربعة أجزاء ليرد بالجواب الصحيح على كل من بدل ديـــن المسيح ، فهـــو من البداية يؤكد على ان دين النصارى مبدل / محرف / مغير / مضلل / مبطل .

٩- عـــرض أبـــن تيمـــية الأباطيل فى العقيدة والشرائع المسيحية ، تحدث عن بنو إســـرائيل العُـــتاه المتمردين الذين بدلوا وغيروا " دين المسيح " وتفرق الناس فى المسيح ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب :-

حـــزب كذبوه ، وكفروا به ، وزعموا أنه أبن غيه ، ورموا أمه بالفرية ونسبوه إلى يوسف النجار لولا أن رأوا برهان ربهم عند إنطاق الله تعالى – الصبى فى المهد – دليلاً على المعجزة ودلالة على الإعجاز ورداً مقنعاً من عند الله لبراءة مريم العذراء البتول كما جاء فى القرآن الكريم.

١٠-وزعمـــوا أن شـــريعة التوراة لم ينسخ فيها شيئ ، وأن الله تعالى لم ينسخ ما شـــرعه ، وقوم أو حزب غلوا فى دينهم وغلوا فيه (أى المسيح) فزعموا أنه الله أو أبـــن الله وأن اللاهوت تدرع بالناسوت ، وأن رب العالمين نزل أو أنزل أبـــنه ليصـــلب ويقـــتل فـــداء لخطـــيئة آدم (عليه السلام) ، وجعلوا الإله الواحد الصـــمد الـــذى لم يلد ولم يولد ولم يكن لـــه كفواً أحد ، قد ولد وأتخذ ولداً وأنه

الإلـــه حق / حى / عليم / مُدبر صار ثلاثة جواهر، ثلاثة أقانيم وتفرقوا فى التثليــث والإتحــاد تفرقاً ، وتشتتوا تشتيتاً لايقربه نقــل ولا عقــل إلا كلمات متشابهات فى الإنجيل وما قبله من الكتب ، وقد قام أبن تيمية بإبطال التثليث فى اكــثر من موضع فى كتابه " الجواب الصحيح " . فأرباب التثليث فى الوحدانية والإتحاد فى الرسالة قد دخل فى أصل دينهم من الفساد والأباطيل.

١١-وكذلــك وضـــح أبن تيمية حيلهم فى تعليق الصليب ، وفى بكاء التماثيل التى يصـــورنها علـــى صدر المسيح ، ونحو ذلك من الميثيولوجيات والعقائد من أن الصـــلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون إنما إبتدعها قسطنطين وكذلك الصليب إنما أبتدعه هو برأيه ، وأن المسيح لم يأمر به ، كما أنه لم يأمر بأنه إله بل هو إنسان بشر يعتريه كل طبيعيات البشر كما سبق القول.

١٢-وقولهـــم ان جوهـــر اللاهـــوت والناسوت صار جوهراً واحداً وطبيعة واحدة وأقنوماً واحداً وهم اليعقوبية ، وقولهم هما جوهران وطبيعتان وهم النسطورية ، وقولهم بالإتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية .

فكــل هؤلاء ولهم وعليهم كان رد الإمامين الكبيرين الغزالى وابن تيمية فى موقف غاية فى الدقة والموضوعية لإظهار وجوه الحق من الباطل.

* * * * *

هوامش وتعليقات وتحليل مصادر

هوامش وتعليقات وتحليل مصادر :-

(*) بخصوص الإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) حياته ومؤلفاته – أنظر فى ذلك :

للغـزالي : المـنقذ مـن الضـلال – تحقيق وتعليق د. عبد الحليم محمود – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٥٥م ، تهافت الفلاسفة – تحقيق د. سليمان دنيا – دار المعـارف مصر – الطبعة الثانية – ١٩٦٥ (المقدمة) ، الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخـرة – تحقـيق وتقديم المستشرق الفرنسي لوسيان جوتييه Lucien Gautier – المكتبة الثقافية – ببيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٧م من ص ٣-١٠ ، وقد قدم لهذا الكتاب فى تحقيق جديـد وعلق عليه كل من : عاطف وفدى وهاني على – مكتبة الرحمة المهداة – المنصورة – الطـبعة الأولـى ١٩٩٨ من ص ٥-٩ (ترجمة الغزالى) ، الأقتصاد فى الإعتقاد – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٣م – من ص ٥-٨ (ترجمة الغزالى وأشهر كتـبه) ، وجواهـر القـرآن – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٨١. وقـال الغـزالى حاكياً عن القوم (المسيحيين) وتناقضت عندهم ظواهر الأدلة حتى ضـلوا وأضلوا – أنظر ص ٣٧ وما بعدها ، ميزان العمل – حققه وقدم لـه د. سليمان دنيا – سلسلة ذخائر العرب (٣٨) دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية – سنة ٢٠٠٣م – ص ٧ (مولده وحياته).

- د. عـبد الرحمن بدوى : مؤلفات الغزالي ، وقد قدم د. بدوى لوحة حياته من ص ٢١-٢٥ ، وقـد قسـم مؤلفاتـه إلـى سبع أقسام من الكتب المقطوع بصحة نسبتها للغزالى والمشـكوك فـيها والمرجحة نفيها والمنحولة والمجهـولة والمخطوطة والنصوص غير المنشورة .. إلخ ، ويذكر د. بدوى ان من المحاولات الأولى الجـدية لترتيب مؤلفـات الغزالـى تلك المحاولة التى قـام بها المستشـرق الفرنسى Louis Massignon فى كتابه مجموع نصوص غير منشورة خاصة بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام الذى ظهر فى باريس ١٩٢٩م حيث قدم لوحة تاريخية لمؤلفاته وقسمها على فترات اربعة(أنظر من ٩٣/٩٦). ومـن المعلوم ان ماسينيون كان مهتماً بالنواحى الصوفية فى دراسته للفلسفة الإسلامية ، ويكفى انه ترك لنا موسوعة ضخمة عن الحلاج بعنوان :

La passion de Husayn Ibn-Mansur Al-Hallâj mortyr mystique de l'Islam, exécuté a Bagdad le 26 Mars 922-Etude d'Histoire Religieuse, Nouvelle E'dition, 4 tomes-E'di : Gallimard – Paris – 1975.

– كما أورد لنا كتابات عديدة عن الغزالى منها : المسيح فى الأناجيل بحسب الغزالى

L. Massignon : Le Christ dans les évangiles Selon al – Ghazâli – Revue des Etudes Islamiques – Paris - 1933 .

ويؤكد فيه ماسينيون ان كتاب الغزالى الهام : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل من تأليفه كما أكد ذلك تلميذه الأب روبير شدياق فى نشرته للرد الجميل (أنظر ص ١٩ وما بعدها) وقد اعتمدنا فى دراستنا على كتاب الرد الجميل للغزالى بتحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوى – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٩٠م – ص ٢١ وما بعدها .

وقدم ماسينون دراسة أخرى للغزالى " حول صدق الغزالى " من خلال المنقذ من الضلال ضمن كتاب Mélanges والدراسة بالفرنسية اعدها J.- M. Abd El-Jalil بعنوان :

Autour De la sincérité D'Al-Ghazâli – PP 55-72.

- كما قدم آسين بلاسيوس Asin Plalacies فى كتابه الضخم روحانية الغزالى فى أربع مجلدات وهو أول بحث مفصل فى تحقيق المتحول من الصحيح للغزالى ، ثم مجهودات مونتجمرى وات وغيرهم . (انظر د. بدوى ص ١١) .أما كتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل فقد ألفه الغزالى ٤٩٢هـ/١٠٩٩م (راجع د. بدوى ص ٢٦٣) ، أما عن كتاب المستشرق الفرنسى موريس بويج Mourice Bouyges بعنوان : بحث فى الترتيب التاريخى لمؤلفات الغزالى – بيروت ١٩٥٩م نشره وأكمله ميشيل آلارد الفرنسى فى باريس Michel Allord .

- أنظر أيضاً : هنرى كوربان – تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد ١١٩٨م – ترجمه من الفرنسية إلى العربية نصير مروة وحسن قبيسى ومراجعة وتقديم الإمام موسى الصدر والأمير عارف تامر – منشورات عويدات بيروت – باريس ١٩٨٢ م ص ٢٧١ ، ص ٢٧٦.

- الإمام محمد أبو زهره – تاريخ الجدل – دار الفكر العربى – الطبعة الثانية ١٩٨٠م – ص ٥٤ ، كما كتب الإمام محاضرات فى النصرانية وبحث فى الأدوار التى مرت عليها عقائد النصارى وفى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم وغير ذلك..

- د. زكــى مــبارك : الأخــلاق عند الغزالى – منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بــيروت – ب.ت عن الغزالى وعصره وأسرته ومولده ونشأته – راجع ص ٣٩ – ٤١ وما بعدها. وعن أهم ما كتبه المستشرقين عن الغزالى يراجع ص ٧٠ ، ٧١.
- قــدم د. عاطف العراقى : دراسة عن الغزالى وموقفه من مشكلة السببية فى كتابه تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية – يراجع ص ١٢٣ وما بعدها ، كما قدم دراسة بعنوان : بين الفلاسفة والغزالى فى كتابه مذاهب فلاسفة المشرق – يراجع ص ٢٤٧ وما بعدها.
- د. إبراهيم بيومى مدكور : فى الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه – ج٢ ص ٥٣ .
- إبــن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – حققه د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ج١ – ص ٢١٨/٢١٧.
- د. صــابر أبا زيد – العالم عند الغزالى – بحث بمجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى – العدد الرابع – ١٩٩٥م – ص ١١٠ وما بعدها.
- وعــن مــدى إهــتمام المستشــرقين بالإمام الغزالى – ترجمة كتاب القسطاط المستقيم للفرنسيةعن طريق Victor Chelhat بعنوان :

- L'Imam Al-Ghazâli, La Balance Juste ou la connaissance rationnelle, chez Ghazâli, Etude, Introduction et traduction, du Qistâs al mustaqûm, Editions – Iqra – Paris – 1998.

ويحتوى الكتاب على عدة فصول لبيان حقيقة المعرفة عند الغزالى

– انظر أيضاً ترجمة مشكاة الأنوار إلى الفرنسية :

- Al-Ghazâli, le Tabernacle des lumières – Michkat Al-Anwâr – Traduction de l'arabe et introduction par Roger Deladrière E'ditions du Seuil – Paris – 1981 – PP. 9-29

وقــد أورد المؤلف ان الغزالى يعد الزعيم الروحى للمجتمع الإسلامى مع تقديم دراسة وافية عن مشكاة الأنوار وصعود الروح فى ثلاثة فصول .

- أنظــر أيضاً : د. محمد جلال شرف ، د. على عبد المعطى ، الفكر السياسى فى الإسلام – شخصــيات ومذاهــب – دار الجامعات المصرية إسكندرية – الطبعة الأولى ١٩٨٧م – ص ٤٥٩ وما بعدها.

(**) بخصوص شيخ الإسلام ابن تيمية وحياته ومؤلفاته – أنظر فى ذلك لابن تيمية :

- إقتضـاء الصـراط المسـتقيم – مخالفة أصحاب الجحيم – بتصحيح وتعليق محمد على الصـابونى – تقديم محمد حامد الفقى (عن الشيخ وحياته) – المقدمة – من أ– ن ، طبع مكـة المكـرمة – ١٣٨٠هـ، ويرى ابن تيمية إن اليهود موصوفون بالكبر والنصارى موصـوفون بالشرك ، وقسم الشرك إلى شرك الربوبية وشـرك الألوهية ، راجع ٣٥٧ والمغضـوب علـيهم اليهود والضالين هم النصارى ، وانتقد بشدة أعيـادهم وممارساتهم التعبدية ص٢٢٧ ، وملحق بالكتاب الرسالة القبرصية وأفرد البعض لهذه الرسالة صفحات وصفحات باسم الإسلام والمسيحية .
- الجهاد – حقق نصوصه وخرج أحاديثه د. عبد الرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت – لبـنان – جزأن – الطبعة الثانية – ١٩٩٧م . عن السياسة فى عصر ابن تيمية راجع ج١ ص ١٥–٢٦ ، وعـن هجمـات التتار راجع ص ٢٠ ، الحالة الإجتماعية فى عصر ابن تيمـية راجـع ص ٢٧–٣١ والحالـة الفكرية ص ٣٢–٣٧ عن الإمام ابن تيمية ولادته ونسبه واسرته – ص٣٨ وما بعدها.
- الحسنة والسيئة – تقديم د. محمد جميل غازى – مقدمة عن شيخ الإسلام من ص ١–١٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٧١م.
- الحسـبة فـى الإسـلام – دار عمر بن الخطاب للطبع والنشر بالإسكندرية – ب.ت – المقدمـة – والكتاب يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأصول أهل السنة والجماعة والعمل بالأقوال والأفعال ، ص ٣٧ ، ٦٠ .
- موافقـة صحيح المنقول لصريح المعقول ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ومحمد حامد الفقى طبع القاهرة – ١٩٥١م – أنظر المقدمة أيضاً.
- درء تعـارض العقل والنقـل بتحقيق د. محمد رشاد سالم – نشر جامعة الإمام سعود – السعودية – أنظر مقدمة التحقيق.
- الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – مكتبة المدنى ومطبعتها بمصر ، وقد إعتمدت على هذا المصدر فى بيان موقف ابن تيمية من المسيحية .
- مـنهاج السـنة النبوية فى نقـض كـلام الشيعة والقدرية – ٤ أجزاء بتحقيق د. محمد رشاد سالم – طبع مكتبة دار العـروبة – القاهرة – ١٩٦٤م (الحديث عن المسيحية – ج٢ – ص٣٧٥ ومابعدها).

- الرسالة التدمرية فى تحقيق الإثبات لأسماء الله وصفاته وبيان حقيقة الجمع بين الشرع والقدر وينتقد ابن تيمية الباطنية ويطلق عليهم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على إنهم أكفر من اليهود والنصارى - راجع ص ١٧ ، وعن التوحيد يذكر ابن تيمية إن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد فى كتب الكلام والنظر غايتهم ان يجعلوا التوحيد على ثلاثة أنواع : فيقولون هو واحد فى ذاته لا قسيم لـه ، وواحد فى صفاته لاشبيه له وواحد فى أفعاله لاشريك له .وأشهر الأنواع الثلاثة هو النوع الثالث وهو توحيد الأفعال وهو إن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها - راجع ص٥٠. ويذكر ابن تيمية أيضاً طائفة من السلف (كان قوم يدعون العزيز والمسيح والملائكة فأنزل الله عليهم هذه الآية : " قُل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا " - سورة الإسراء - آية : ٥٦ ، ليوضح فيها إن الملائكة والأنبياء بما فيهم سيدنا عيسى يتقربون إلى الله تعالى ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، والرافضة كما يقرر ابن تيمية كانت تميل إلى التتار ودولتهم وينتقد ابن تيمية إعتقاد هؤلاء التتار فى جنكيزخان ويعظموه فإنهم يعتقدون إنه ابن الله من جنس ما يعتقده النصارى فى المسيح ، ويقولون إن الشمس حبلت أمه وإنها كانت فى خيمة فنزلت الشمس من كوة الخيمة فدخلت فيها حتى حبلت ..إلخ.) - يراجع فى ذلك ص١٣٦ .
- أنظر ايضاً عن إبن تيمية :
- د. محمد جلال شرف ، د. على عبد المعطى محمد - الفكر السياسى فى الإسلام ، عن ابن تيمية حياته وعصره ، راجع ص ٤٦٧ وما بعدها.
- د. عاطف العراقى - قدم دراسة عن تحقيق د. محمد رشاد سالم لكتاب جامع الرسائل لإبن تيمية - دراسة تحليلية نقدية فى كتابه ثورة النقد فى عالم الأدب والفلسفة والسياسة .. يراجع ج١ - ص١٢٩ وما بعدها.
- د. مصطفى حلمى - قواعد المنهج السلفى - دار الأنصار بالقاهرة ، وبخصوص تجديد المذهب السلفى على يد شيخ الإسلام ابن تيمية - يراجع د. مصطفى حلمى : السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية - دار الدعوة - الإسكندرية - ١٩٨٣م - ص٨٩ وما بعدها .

- د. عبد الفتاح فؤاد : ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – فرع اسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٠. وقد اورد استاذنا مقدمة مطولة عن ابن تيمية وحياته وأعماله ومذهبه وقسم مؤلفاته إلى سبع أقسام – راجع ص ٧–١٥.
- كما قدم د. محمد السيد الجليند – دراسة عن الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مجمع البحوث الإسلامية – الطبعة الأولى – ١٩٧٣م.
- صالح بن فوزان عبد الله الفوزان – من مشاهير المجددين في الإسلام – شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – طبع ونشر السعودية – الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ – ص ٢٤ ، ٢٧.
- وكما أهتم المستشرقون بأعمال الإمام الغزالي ، أهتموا أيضاً بأعمال ابن تيمية ونذكر على سبيل المثال كتابات المستشرق الفرنسي هنري لاووست Henri Laoust الذي كتب عن سياسة الغزالي – باريس – ١٩٧٠م ، ومن قبل أعد رسالة في المذاهب الإجتماعية والسياسية عند ابن تيمية عام ١٩٣٩م بعنوان :
  - Essai sur les Doctrines Sociales et politiques de la Takiddin Ahmed. B. Taimiya.
- وقد ترجم الكتاب وأعد له محمد عبد العظيم علي ، نقد ودراسة وتعليق وردود د. مصطفى محمد حلمي – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – إسكندرية – ١٩٧٦م – أنظر المقدمة ص ٩ وما بعدها ، بالإضافة إلى ترجمة رسالة في معنى القياس لإبن تيمية للغة الفرنسية بعنوان :
  - Ibn Taymiya : E'pitre sur le sens de l'anal ogie (Rissâlatun fi m'ana-l- quiyâss)
  - Première édition – traduit de l'arabe par : Abou Ilyas Mouhammed Diakho Tandjigora. Dar Al-Bouraq – Beyrouth – Liban – 1996 – (preface P.8).
- بالإضافة إلى كتابات عامة عن المسيح في الإسلام ، وحكاية محمد (ﷺ) لدى المسيحية نجدها لدى المستشرق الفرنسي Pierre Boz في كتابه بعنوان : الإسلام يكتشف ويواجه مع موسوعة صغيرة وحديثة عن المسيحية :

- L'Islam, Découverte et Rencontre, petit Encyclopédie Moderne du Christianisme dirigeè par Georges Carpention et Charles Ehlinger, De Sclée de Brouwer – Paris – 1993 – PP. 67-131.

(١) د. محمـــد علــى أبــو ريــان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٠م – ص ٤٦٦ ، أنظر أيضاً : روجيه أرنولديز – رسل ثلاثـــة لإله واحد – منشورات عويدات للطبع والنشر – بيروت – باريس – ترجمة أ. وديع مبارك – الطبعة الأولى – ١٩٨٨م. – راجع فى ذلك ٠٠ ص ١٣١ وما بعدها.

(٢) الإمـــام محمـــد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية – تبحث فى الأدوار التى مرت عليها عقائد النصارى فى كتبهم وفى مجامعهم المقدسة وفرقهم – دار الفكر العربى – الطبعة الثالثة – ١٩٦١م – ص ١٠-١١

(٣) وقـــد قـــام د. محمد عبد الله الشرقاوى بتحقيق ودراسة هذا الكتاب – وصدر عن دار الجيل ببيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩١م.

(٤) ســورة المائـــــدة – آية ٨٢.

(٥) انظر على سبيل المثال لا الحصر سورة الجاثية – آية : ٣٤ ، سورة المؤمنين آية :٣٦.

(٦) ومن ذلك سورة البقرة ٨٧ ، وآل عمران ٤٥ ، النساء:١٧١ والمائدة: ٤٦، الأنعام ٨٥. إلخ. راجـــع فـــى ذلك : المسيح فى الإسلام – ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح – ترجمة على الجوهرى – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٠م ، ص ١٤ ، وبخصـــوص المســيح Messias بين معجزة الميلاد وفرية الصلب – نبذة تاريخية – أنظر فى ذلك : د. صابر أبا زيد – الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة نحو فهم الأخـــر – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م – ص ٥٤-٥٧ .

– امـــا لفظـــة النصارى فقد وردت فى القرآن الكريم حوالى١٤مرة أغلبها فى سورتى البقرة والمـــائدة ، أنظـــر فى ذلك : محمد فؤاد عبد الباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٦م – ص ٧٠٤.

(٧) سورة المائدة : آية ١١٦ .

(٨) الإمام محمد أبو زهرة – محاضرات فى النصرانية – ص١٢.

(٩) سورة المائدة : آية : ٤٧

(١٠) د. صابر أبا زيد : الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – ص٩.

(١١) ومــن أمثلة ذلك : المسعودى فى مروج الذهب ، وابن خلدون فى المقدمة ، والجاحظ فى المخــتار فى الرد على النصارى ، والبيرونى فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مــرزولة ، والكــندى أول فلاســفة العــرب فى الرد على النصارى ، وكتابات العامرى والجوينى أستاذ الإمام أبو حامد الغزالى الذى كتب فى : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجــيل ، وابــن تيمــية فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، والإسلام والمسيحية والجهــاد ، وإقتضــاء الصــراط المستقيم ، وابن حزم فى الفصل ، والشهرستانى فى الملل والنحل ، وابن قيِّم الجوزية فى هداية الحيارى فى أجوبة النصارى ، بالإضافة إلى المصادر الحديــثة عــن ذات الموضوع ، ونذكر منها على سبيل المثال : كتاب إظهار الحق وإخفاء الــباطل للشيخ رحمت الله خليل العثمانى الهندى ، والحُــليبى فى أصول الحكم على المبتدعة عــند شــيخ الإســلام ابن تيمية ، ومحاضرات فى النصرانية للشيخ الإمام محمد أبو زهرة وأقانــيم النصــارى للدكتور أحمد حجازى السقا ، وتحفة الإريب فى الرد على أهل الصليب لعــبد الله الــترجمان الأندلســى بتحقيق د. محمود حماية ، ومؤلفات داعية العصر د. أحمد ديــدات نذكر منها : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء ، والمناظرات ، والمسيح فى الإسلام ، والرد على كتاب سليمان رشدى الذى طعن فى الإسلام والمسلمين ، وغيرها كثير . ضف إلى ذلك مؤلفات المستشرقين المعتدلين وأصحاب الرؤى المنصفة للإسلام من أمثال لويــس ماســينيون وهــنرى كوربان ولويس جاردية وموريس بوكاى الذى كتب رسالة عن القــرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دارسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ومؤلفات هنرى لاووست عن إبن تيمية باللغة الفرنسية وترجماتها وغير ذلك كثير.

(١٢)الشيخ رحمت الله الهندى : إظهار الحق – ومعه ست ملاحق (مناظرات ورسائل) – تقديم الإمــام الأكبر د. عبد الحليم محمود – تعريف وتحقيق محمد كمال فراج – توزيع الأهرام – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ – صفحات ٤٧ – ٢٠٥ – ٢٦٩ – ٤٢٩ .

(١٣)موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعــارف الحديــثة – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولــى – ١٩٨٢م ، ص ٦٥ – ٧٥ أنظر أيضاً : ص ١٢٥ وما بعدها ، وأصل الكتاب بالفرنسية.

Mourice Bucaille : La Bible, Le Coran et la Science. Editions Seghers – Paris - 1978.

(١٤) رجاء جارودى : الذى أشهر إسلامه وكتب مؤلفات عديدة منها : مبشرات الإسلام ووعوده وماركسية القرن العشرين ، .. راجع فى ذلك : أمينة الصاوى ، د. عبد العزيز شرف : رجاء جارودى وحضارة الإسلام – مكتبة نهضة مصر – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٤ – ص ١٥٥-١٨٢ .

- وعن المسيحية (الكاثوليك والأرثونكس) أنظر فى ذلك :

- Grolier Academic, Encyclopedia Golier International – 1983 – PP. 412-413 (Christianity)
- The New Encyclopedia Britannica, Macropedia Knowledge in Depth Robert, P. Gvrinn, Chairman, Board of Dircetors, Peter. B. Nortan, President Philip. W. Goetz, Editor in Chief Chicago, London – Paris – Rome – ect. Vol.25 – 1973
- Seyyed Hossein Nasr : Islam, Perspectives et réalités, Tradut de l'anglais par H. Crès – E'ditions Buchet, Chastel – Paris – 1997 – PP. 41-47.

- وعن أعمال المستشرقين يراجع ص١٥ ، وعن المسيح والمسيحية يراجع ص٥٢-٥٦.
- ويذكر د. نصر إن لكل أمة رسول وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه مستنداً إلى القرآن الكريم ومستشهداً بآياته إن لكل قوم رسول من عند الله وكل رسول يرسل من الله تعالى لابد ان يكون بلسان قومه كنوع من الإعجاز ورداً على المسيحية – يراجع ص ١٠٤.

(١٥) د. عبد الله الشرقاوى : مقدمة تحقيق كتاب الإمام الغزالى – الرد الجميل – ص ٢٢ .

(١٦) د. زكى مبارك : الأخلاق عند الغزالى – منشورات الكتب العصرية – بيروت – ب.ت – ص ٤٣

(١٧) د. إبراهيم بيومى مدكور : فى الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه – ج٢ – ص ٥٣ .

(١٨) الإمام الغزالى : الرد الجميل .. ص ٩١ .

(١٩) المصدر السابق : ص ٩٢.

(٢٠) نفس المصدر : ص ٩٣ .

(٢١) هــو يوحنا بن زبدى الصياد – أحد التلاميذ الإثنى عشر الحواريين ، وكان لديه معلومات وفــيرة عــن يسوع المسيح ، ومن المحتمل إنه كان على دراية لواحد أو أكثر من الأناجيل المتشــابهة (متى ومرقص ولوقا) فقام بتسجيل قصة يسوع بشكل جديد ، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان ، لمزيد من المعلومات بهذا الخصوص أنظر فى ذلك :-

- د. محمــد عــبد الله الشرقاوى :الأناجيل والرسائل بين إنقطاع السند وتناقض المتــن – القســم الأول مــن الدراســة والتحقيق لكتاب الإمام الغزالى:الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل – ص ٤٩ .
- أ. / أحمــد عــبد الوهاب – المسيح فى مصادر العقائد المسيحية – نشر مكتبة وهبه – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ – ص ٧١ .
- موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – ص ١١٧ .
- عبد الله الترجمان: تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب – ص ٥٧.
- الإمــام محمــد أبــو زهرة : محاضرات فى النصرانية من ص ٤١ – ٦٦ { مصادر المسيحية بعد عيسى (عليه السلام) }.
- سليمان مظهر : قصة الديانات – مكتبة مدبولى – القاهرة – الطبعة الثانية – ٢٠٠٢م – ص ٣٧٤ وما بعدها .

(٢٢) الغزالى : الرد الجميل : ص ١٠٠ .

(٢٣) العهــد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح الرابع عشر – ص ١٧٥– طبعة البروتستانت – ١٩٧٠م.

(٢٤) العهد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح العاشر – ٣٠:٣٩ – ص ١٦٧.

(٢٥) الغزالى : الرد الجميل – ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٢٦) حديــث شــريف – أخــرجه البخارى فى صحيحه ، ورواه الإمام أحمد فى مسنده والإمام الترمذى فى سننه

(٢٧) العهد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح السابع عشر – ص ١٨٠.

(٢٨) الغزالى : الرد الجميل – ص ١٠٥.

(٢٩) المصدر السابق : ص ١٠٦.

(٣٠) العهد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح السابع عشر – ص ١٨١.

(٣١) الغـــزالى : الرد الجميل – ص ١٠٨ ، وهذان البيتان لأبى الطيب المتنبى – إنظر هامش : الرد الجميل ص ١٠٨ للمحقق .

(٣٢) راجع فى ذلك : الإمام الغزالى – رد الجميل – ص ١١٤– ١١٥.

(٣٣) المصدر السابق : ص ١١٦ ، والنص جاء بالإصحاح الثالث عشر (١٣-٣٢) والمسيــح (عليه السلام) إذا أطلــق الإبــن أراد نفسه ، وإذا أطلق الأب أراد الإله جل أسمه ، وإذا أطلق الروح القدس أراد الملائكة .

(٣٤) الغزالى : الرد الجميل – ص ١١٧ .

(٣٥) العهد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح الثامن – ٣٩:٤٠

(٣٦) سورة النساء : آية ١٧١ .

(٣٧) إنظر فى ذلك رحمت الله الهندى .. إظهار الحق – ص ٦٢٨ – ٦٣٢ ، وأيضاً : موريس بوكـــاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – ص ١١٨ وما بعدها .أنظر فى ذلك ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج٤ – ص١٦ ، أنظر أيضاً عبد الوهاب النجار : قـــصـــص الأنبياء – ص ٤٦٤-٤٧٣ ، أيضاً د. حجازى السقا : أقانيم النصـــارى – ص ٤٢ ، ٤٦، أيضـــاً د. حســـن حـــنفى : نماذج من الفلسفة المسيحية ، وترجمة رسالة فى اللاهـــوت والسياســـة لســـبنيوزا وغير ذلك من المراجع التى تناولت الخلاف بين اليهود والنصارى فى الروح القدس التى يسألون عنها فى القرآن الكريم .

(٣٨) الغزالى : الرد الجميل – ص ١٢٥ ، بخصوص فيوضح لنا الإمام الغزالى عدم جدوى هذا الـــتعلق ،. إنظر هامش ص ١٨ ، إنظر أيضاً : الجاحظ : المختار فى الرد على النصارى – تحقـــيق د. عبد الله الشرقاوى – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩١ – ص ١٣٨ ، أيضاً د. أحمد شلبى : المسيحية – ص٢٠٨:٢١٢.

(٣٩) الشهرســـتانى : الملل والنحل ج٢ – ص ٢١٢ ، أنظر أيضاً د. أحمد حجازى السقا: أقانيم النصــــارى – نشـــر دار الأنصــــار بمصــــر ، الشـــيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية – ص١٢٠-١٢٢.

(٤٠) سورة المائدة : آية ٧٢-٧٣ .

(٤١) الغزالى : رد الجميل – ص ١٣٢ .

(٤٢) نفس المصدر السابق – ص ١٣٣.

(٤٣) سورة النساء : جزء من آية – ١٥٧.

(٤٤) الشـــهر ستانى : الملل والنحل – ج٢ – ص ٤٤ وما بعدها ، أنظر أيضاً: د. أحمد صبحى – فى علم الكلام – ج١ – المعتزلة – ص ٤٠ ، د. صابر أبا زيد : الحوار الدينى – ص ٥٨–٥٩

(٤٥) سورة النساء : جزء من آية – ١٥٧ .

(٤٦) سورة آل عمران : آية – ٥٥.

(٤٧) العهد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح السابع عشر – ص ١٨٠.

(٤٨) العهد الجديد : إنجيل متى – الإصحاح السابع والثلاثين – فقرة ٤٦.

(٤٩) العهد الجديد : إنجيل يوحنا – الإصحاح الثامن ٣٩–٤٠.

(٥٠) الغزالى : الرد الجميل – ص ١٣٧–١٣٨.

(٥١) المصدر السابق : ص ١٤٠.

(٥٢) أنظر فى ذلك :

Louis Massignon : la passion d'Al – Hallâj martyr mystique de l'Islam – Paris – 1922

– أنظـــر أيضـــاً : د. صابر أبا زيد – لويس ماسينيون وجهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى – ص ١٠٧ ، ١٠٨.

(٥٣) الغزالى : الرد الجميل .. ص ١٤٢ .

(٥٤) المصدر السابق : ص ١٤٣.

(٥٥) نفس المصدر – ص ١٤٦.

(٥٦) العهد الجديد : إنجيل يوحنا :١– ١٥ – ص ١٤٥.

(٥٧) الغزالى : الرد الجميل – ص ١٤٨.

(٥٨) د. زكـــى مـــبارك: الأخلاق عند الغزالى – ص ٢٥٣ ، وينقد د. زكى مبارك إستشهادات الغـــزالى بأقوال عيسى (عليه السلام) فى مسألة الزهد والتسامح ، ويقول كنا نحب أن لا يصدق الغزالى كل ما نقل عن المسيح ... راجع ص ٧٠.

(٥٩) د. مدكور : فى الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه – ج٢ – ص ١٢٦.

(٦٠) ابـــن تيمـــية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – ٤ أجزاء – مطابع المجد التجارية بالقاهرة – تقديم : على صبح المدنى – ب.ت. والكتاب فى جوهرة دراسة مقارنة للأديان

السماوية الثلاثة ، ولكنه ركز على الديانة المسيحية ، وأوضح لنا موقف ابن تيمية من المسيحية كما أثبتنا ذلك فى ثنايا البحث وفى مواضع مختلفة.

(٦١) يراجع فى ذلك .. المصدر السابق – ص ٢ ، ٣.

(***)والرسالة القبرصية نسبة إلى قبرص حيث قرأ ابن تيمية رسالة جاءت من قبرص مضافة إلى بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكى ، وقد كتبها إلى بعض أصدقائه .. (أنظر مقدمة المصدر السابق – ص١).

(٦٢) حديث شريف رواه ابى هريرة فى شرح صحيح مسلم – ج١٥ – ص ١١٩ ، وصحيح البخارى – ج٢ – ص ٣٥٤.

(٦٣) سورة الأنعام – آية : ١٥٩.

(٦٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ – ص ٧.

(٦٥) سورة الشورى – جزء من آية : ١١.

(٦٦) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ – ص ٨.

(٦٧) سورة آل عمران – آية : ٥٢.

(٦٨) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ – ص ١٨ ، أنظر أيضاً: الرسائل والمسائل لأبن تيمية – طبعة القاهرة – ١٩٢١م – ص ٩٤ ، وابن تيمية فى هذا الكتاب يتهم النصيرية بأنهم كانوا السبب فى دخول التتار فى بلاد الإسلام . (أما عن النصيرية فهم يمثلون حركة باطنية ظهرت فى القرن الثالث الهجرى أصحابها يعدون من غُلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهياً فى الإمام علىّ (كرم الله وجهه) وألهوه به ، ولقد أطلق عليهم الإستعمار الفرنسى لسوريا أسم العلويين تمهوياً وتغطية لحقيقتهم الرافدة والباطنية . وعن أبرز شخصياتها وأهم عقائدها والجذور الفكرية لديهم ، والإنتشار ومواقع النفوذ والوثيقة المترجمة من الفرنسية والتى رفعها النصيريون إلى الحكومة الفرنسية بمناسبة التفاوض على منح الإستقلال لسوريا فى عام ١٩٣٦ .. أنظر فى ذلك :-

http: // www.wahy.Com / adian/42.htm.

النصيرية والغلو – موقع أديان – باريس نت – صيف عام ٢٠٠٣م. أنظر أيضاً: عن النصيرية والدروز Durūz فى سوريا وجبال لبنان ما كتبه لويس ماسينيون فى ج٢ – ص ٦٤٧ وما بعدها من الموسوعة الإسلامية Encyclopédie de L'Islam - Paris ، أنظر

أيضـــاً : تقـــى الدين شرف الدين – النصيرية – دراسة تحليلية – طبع بيروت – الطبعة الأولـــى – ١٩٨٣ ، وهـــى دراسة موسعة للنصيرية .فليراجع . أما عن الحلاجية .. فهم أنصار أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج . ولقد أفردت له صفحات فى كتابى– لويس ماســينيون وجهــوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى – ص ١٠٧ وما بعدها . أنظر أيضاً : دراســة ماسينيون العميقة فـــى كـــتابه " La Passion " – ج١ – ص ٤١٠/٣٩٠ وكذا دراســة د. قاسم محمد عباس : الحلاج – الأعمال الكاملة (التفسير – الطواسين – بستان المعــرفة – نصوص الولاء – المرويات – الديوان) دار رياض الريس للكتب والنشر – بـيروت – الطــبعة الأولى – ٢٠٠٢م – ص٥١ وما بعدها ، أنظر أيضاً بخصوص غُلو الـــدروز والنصـــيرية : د. محمد أحمد عبد القادر – ملامح الفكر الإسلامى بين الإعتدال والغلو – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – طبعة ٢٠٠٤م – ص ١٩٨ – ٢٠١.

(٦٩) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ – ص ٢٣ ، ص ٣٨١.

(٧٠) سورة آل عمران : آية ٦١.

(٧١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ ص ٧٩ ، ٨٧.

(٧٢) أنظر سورة مريم آيات من ١:٤٠.

(٧٣) د. صـــابر أبا زيد : الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة نهو فهم الآخر – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠ – ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٧٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج١ – ص ٩٧.

(٧٥) شيخ الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل – ص ٥٨ .

(٧٦) د. صابر أبا زيد :الحوار الدينى – ص ١٧.

(٧٧) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ – ص١٠٢

(٧٨) ابن تيمية : الجواب الصحيح ... ج١ ص ١١٤ ، ١١٥.

(٧٩) المصـــدر السابق : ج١ – ص ١١٥– وابن تيمية يعرض للأناجيل كما عرض لذلك العديد مـــن المفكرين فيما بعد ، وكذا الأغلاط وتبديل الألفاظ ، ويذكر أنها مثل مواضع الأحاديث فـــى كتب التفسير والفقه (يراجع الجواب الصحـــيح – ج٢ – ص١٨) ، ويعقد لنا فصلاً فـــى كيفية التغيير الذى حدث فى الأناجيل – ج٢ – ص٢٦ وما بعدها ، أما القرآن الكريم

فهــو محفوظ فى الصدور منذ نزوله من مئات السنين ولم يحدث فيه ولن يحدث – تغيير كما جاء فى سورة الحجر – آية : ٢٩ .

(٨٠) المصدر السابق : ج١ – ص ١٢٣ ، ج٢ – ص٩ .

(٨١) المصدر السابق : ج٢ – ص١٤ ، أنظر أيضاً سورة النساء – آية ١٥٧.

(٨٢) المصدر السابق : ج٢ – ص٤٨ ، ٤٩.

(٨٣) ســورة مــريم – الآيــات من ٨٨-٩٣ ، أيضاً سورة الكهف آيتان ٤ ، ٥ ، سورة التوبة الآيات من ٢٩-٣١ – المائدة ١٤ ، ويكفينا قول الله تعالى فى سورة الإخلاص " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد "

(٨٤) ابــن تيمــية :إقتضاء الصراط المستقيم – ج١ – ص٥ ، وبخصوص التحريف يوضح ابن تيمــية إن التحريف قد فُسر بتحريف التبديل وبتحريف التأويل ، يراجع فى ذلك صفحات : ٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، أمــا بخصوص شــرك الربــوبية وشرك الألوهية يراجع ص ٣٥٧ وما بعدها.

(٨٥) ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج٢ – ص ١٨٥ ، ١٨٦.

(٨٦) المصدر السابق : ج٢ – ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٨٧) المصدر السابق : ج٢ – ص١٥٥.

(٨٨) المصدر السابق : ج٢ – ص١٥٦.

(٨٩) المصدر السابق : ج١ – ص١٢ ، ١٣.

(٩٠) المصدر السابق : ج١ – ص١٤.

(٩١) سورة المائدة – جزء من آية : ١١٠.

(٩٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج٣ – ص٣.

(٩٣) المصدر السابق : نفس الجزء ونفس الصفحة .

(٩٤) المصدر السابق : ج٣ – ص٤ .

(٩٥) المصدر السابق : ج٣ – ص٥ .

(٩٦) المصدر السابق : ج٣ – ص١١ ، ١٢ .

(٩٧) المصدر السابق : ج٣ – ص١٥.

(٩٨) المصـــدر الســـابق : ج٣ – ص٢٢ – أنظـــر أيضاً زكى شنودة – كتاب تاريخ الأقباط – مطـــبعة النهضة المصرية – الطبعة الأولى ١٩٧٤ – ج١ – ص ١٥٠ ، راجع النص – ص ٣٩/٤٠. د. أحمد حجازى السقا – الأقانيم الثلاثة .

(٩٩) حـــول المجـــامع المســـيحية – تاريخهـــا – أسبابها – قرارتها – وكيف وجدت فكرة جمع المجـــامع وتقســـيمها إلـــى عامة ويقال لها مسكونية وخاصة يقال لها ملية أو إقليمية ، أى خاصـــة بأقليم مخصوص – يراجع فى ذلك الشيخ الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصـــرانية – ص ١٢٣/١٢٦، د. أحمـــد شلبي – المسيحية – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الحادية عشر – القاهرة – ٢٠٠٢ – ص٢٠٧/٢١٠.

(١٠٠)ابن تيمية : الجواب الصحيح .. ج٣ – ص٢٣.

(١٠١)الإمام محمد أبو زهرة : النصرانية – ص ١٣٤ /١٣٥.

(١٠٢) سورة المائدة – آيات من ٧٢–٧٥.

(١٠٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح .. ج٣ – ص ٢٣.

(١٠٤) سورة المائدة – آية ١١٦ ، وجزء من آية ١١٧.

(١٠٥) الشـــيخ محمد متولى الشعراوى : مريم والمسيح عليهما السلام – دراسة وإعداد وتحقيق مركـــز الـــتراث لخدمة الكتاب والسنة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م – ص٣٠١ وبخصوص معجزات السيد المسيح يراجع ص ١٨٢.

(١٠٦) ابـــن تيمية : الجواب الصحيح ... ج٣ – ص٤٥ ، وبخصوص حمل مريم وولادتها إياه (المســـيح) – يـــراجع فى ذلك – عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء – مطبعة النصر – القاهـــرة – الطبعة الثانية – ١٩٣٦م – ص ٤٥٣ وما بعدها ، أنظر ايضاً – سعد رستم : التوحـــيد فـــى الأناجـــيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا – دار الأوائل للنشر والـــتوزيع – دمشـــق – سوريا – الطبعة الأولى ٢٠٠٢م– ص(١١٠/١٤٠ بتصرف) نصـــوص تثبـــت الحمـــل بالمسيح ثم ولادته ثم نموه التدريجى جسماً وعقلاً وتثبت لـــه أعراض الطبيعة البشرية كلها من جوع وعطش وتعب ونوم وخوف ... إلخ. ، أيضاً : د. أحمـــد حجازى السقا : الأقـــانيم الثلاثـــة – مرجـــع سابق – ص٩ وما بعـــدها ، أيضاً : الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل – مرجع سابق – ص ٢٢.

(١٠٧)ابـن تيمـية : الجـواب الصـحيح ... ج٣ – ص٤٥ ، ومـن المعلوم إن طوائف وفرق النصارى الكبرى ثلاثة هى :

١- النسطورية وتنتشر فى بلاد العراق .

٢- الملكانية أو الملكائية وتنتشر فى بلاد الروم .

٣- اليعقوبية أو اليعاقبة وتنتشر فى مصر والحبشة وشمال أفريقيا .

(أنظر فى ذلك د. النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعارف – الإسكندرية – الطبعة الثامنة – ١٩٨١م – – ص٩٠ ، الرد الجميل : هامش – ص١٣).

والنصارى فى العالم فريقان كبيران :

١- نصارى الشرق ويسمون الأرثوذكس ورئاستهم فى مصر .

٢- نصارى الغرب ويسمون الكاثوليك ورئاستهم فى روما .

والبروتستانت مع الكاثوليك فى عقيدة الأقـانيم الثلاثـة ، ويمثلون فريقاً ثالثاً ، والأرثوذكس قديمـاً يسمون اليعاقبة ، والكاثوليك قديماً يسمون الملكانية (أنظر د. السقا : الأقانيم الثلاثة – ص ٦٧ وما بعدها ، د. أحمد شلبى – المسيحية – مرجع سابق – ص٩٣/٩٦.

(١٠٨)المصدر السابق : ج٣ – ص٤٦.

(١٠٩) نفس المصدر : ج٣ – ص٤٩.

(١١٠) نفس المصدر : ج٣ –ص٥١.

(١١١) نفـس المصـدر : ج٣ – ص٥٣. (وابن تيمية أورد كلام فى الصفات والأقانيم الثلاثة وكذا اللاهوت والناسوت وعدم حجية ما أدعوه من الأقانيم ، ويتفق تماماً مع ما ذهب إليه الغزالى من قبل ، ثم عقد فصلاً فى بطلان التثليث من الأصل – يراجع فى ذلك : الجواب الصـحيح – ج٢ – ص٥٣ ، ٦٧ ، ٦٩ ،١٣٤، ج٣ – ص٩٠ ، ١٠٤ ، ١٥١ ، أنظـر أيضـاً : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية فى نقد كلام الشيعة والقدرية –ج٢ – ص٣٨٤/ ٣٨٥).

(١١٢) نفس المصدر : ج٣ – ص٥٤.(ولقد أورد ابن تيمية أيضاً كلام فى الصفات فى ج١ ص ٢٤٥/٢٥٨).

(١١٣) ابن كُـلاَّب : هو عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب – المتوفى بعد عام ٢٤٠هـ – كان إمام أهل السُّنة فى عصره كما وصفه إمام الحرمين الجوينى أستاذ الإمـام الغزالى ، وهو أحد

أئمة المتكلمين مدحه ابن تيمية فــي منهاج السنة ومجموعة الرسائل والمسائل ، كان لــه أثــر عظــيم في مدرسة أهل السنة والجماعة ، ناقش المعتزلة في مجلس المأمون بطريقة كلامية عقلية ودحرهم ..إلخ.(أنظر في ذلك د. النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – ص٢٦٥ وما بعدها – وعن المدرسة الكُلاَّبية – ص٢٧٨ وما بعدها).

(١١٤)ابن تيمية : الجواب الصحيح .. ج٣ – ص٥٥.

(١١٥) سورة المائدة : آية ٧٧.

(١١٦) ابن تيمية : الجواب الصحيح .. ج٣ – ص٥٦.

(١١٧) بخصــوص الوحــي ومعناه ونظرة في الــوحي (في الإسلام والمسيحية) – أنظر في ذلــك: الإمام محمد أبو زهره – محاضرات في النصرانية – ص٩٧/٩٨ ، أنظــر أيضاً: د. صـــابر أبـــا زيد – الحوار الديني ... ص٥٠ ، – أنظر مجمع اللغة العربية – المعجم الفلسفي – ص٢١٣_ أنظر في ذلك ص٦٢/٧٥.

(١١٨)ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج٣ – ص٥٧.

(١١٩)المصدر السابق : ج٣ – ص٥٨.

(١٢٠) يراجع سورة مريم – الآيات من ١٦-٢٣ ، أيضاً : سورة الأنبياء : آية ٩١.

(١٢١) ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج٣ – ص ٦٠ ، ج٢ – ص١٢١ ، راجع أيضاً (سورة الصافات – آية : ١٧١ ، سورة مريم آيتان : ١٧-١٩.

(١٢٢) سورة النبأ : آية ٣٨.

(١٢٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح – ج٣ – ص٦٤.

(١٢٤) المصدر السابق : ج٣ – ص٦٦.

(١٢٥) سورة النساء : آية ١٧١.

المصادر والمراجع

.. وتشتمل على الآتى :-

أولاً : المصادر :

أ - من مؤلفات الإمام الغزالى

ب- من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية

ج- مصادر مترجمة إلى الفرنسية (الغزالى - ابن تيمية)

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة إليها

ثالثاً: المراجع الأجنبية

رابعاً: الموسوعات الأجنبية

أولاً: المصادر :

أ – من مؤلفات الإمام الغزالي :-

١- الـرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل – تقـديم وتحقـيق وتعليـق د. محمـد عـبد الله الشرقاوى – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٩٠م.

٢- المنقذ من الضلال – تحقيق وتعليق د. عبد الحليم محمود – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٥٥م.

٣- الدرة الفاخرة فى كشف علوم الأخرة – تحقيق وتقديم المستشرق الفرنسى لوسيان جوتييه – المكتبة الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٧م.

٤- الإقتصـاد فى الإعتقاد – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٣م.

٥- تهافت الفلاسفة – تحقيق د. سليمان دنيا – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية – ١٩٦٥م.

٦- جواهـر القـرآن – منشـورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الخامسة – ١٩٨١م.

٧- ميزان العمل – حققه وقدم لـه د. سليمان دنيا – سلسلة ذخـائـر العرب (٣٨) – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية – ٢٠٠٣م.

ب- من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية :

٨- الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – مكتبة المدنى ومطبعتها بمصر – أربع أجزاء – ب.ت – بتقديم على صبح المدنى.

٩- منهاج السُنة النبوية فى نقد كلام الشيعة والقدرية – أربع أجزاء – بتحقيق د. محمد رشاد سالم – مكتبة دار العروبة – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٦٤م.

١٠-إقتضاء الصراط المستقيم – مخالفة أصحاب الجحيم – بتصحيح وتعليق محمد على الصابونى – تقديم محمد حامد الفقى – طبع مكة المكرمة – ١٣٩٠هـ – ملحق بالكتاب الرسالة القبرصية .

١١-الجهاد – حقق نصوصه وخرج أحاديثه د. عبد الرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت – جزأن – الطبعة الثانية – ١٩٩٧م

١٢-الحسنة والسيئة – تقديم د. محمد جميل غازى – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٧١م.

١٣-الحسبة فى الإسلام – دار عمر بن الخطاب للطبع والنشر – إسكندرية – ب.ت.

١٤-موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول – بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد محمد حامد الفقى – طبع القاهرة – ١٩٥١م.

١٥-درء تعارض العقل والنقل – بتحقيق د. محمد رشاد سالم – نشر جامعة الإمام سعود – السعودية – ب.ت.

١٦-الإسلام والنصرانية – دار المسلم – القاهرة – ب.ت.

١٧-الرسالة التدمرية فى تحقيق الإثبات لأسماء الله وصفاته وبيان حقيقة الجمع بين الشرع والقدر – نشرها – قصى محى الدين الخطيب – المطبعة السلفية – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤٠٠هـ .

١٨-الرسائل والمسائل – طبعة القاهرة – ١٩٢٠م.

ج- مصادر مترجمة إلى الفرنسية :

19-Ghazâli, Le taberncle des lumières –Michkat Al-Anwâr – traduction de l'arabe et introduction par Roger Deladrière. E'ditions du Seuil, Paris – 1981.

20-Ibn Taymiya : E'pitre sur le sens de lanalogie (Rissâlateur fi m'ana – l- quiyâss) premiére édition – traduit de l'arabe par : Abou Ilyâs Mouhammed Diakho tandjigora – Dar Al-Bouraq - Beyrouth – Liban – 1996.

21-L'Imam Al-Ghazâli, la Balance juste ou la connaissance rationnelle chez Ghazâli, E'tude, introduction et traduction Qistâs al-Mustaqîm E'ditions Iqra – Paris – 1998.

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة إليها(*) :-

٢٢- أرنلديــز (روجيه ..) : رُسل ثلاثة لإلــه واحد – ترجمة أ. وديع مبارك – منشــورات عويــدات للطــبع والنشر – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٨م.

٢٣- بــدوى (د. عــبد الرحمن):مؤلفات الغزالى – مطابع دار القلم – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٧٧م.

٢٤- بوكــاى (د.موريــس ..):القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دراسة الكتــب المقدســة فى ضوء المعارف الحديثة – دار المعارف بمصر – الطبعة الأولى – ١٩٨٢م.

(*) روعــى فى ثبت المراجع الترتيب الهجائى مع إسقاط : أبو ، أبى ، إبن ، أبا ، ال التعريف مع أسبقية لقب العائلة للمؤلفين ، وقد آثرنا عدم ذكر المصادر والمراجع الخاصة بالكتب السماوية : القــرآن الكــريم والأناجــيل الأربعــة (العهد الجديد) ، والتوراة (العهد القديم) فى قائمة المراجع .

٢٥- الترجمان (العلاّمة عبد الله الأندلسى) : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب - تقديم وتحقيق وتعليق د. محمود على حماية - مطبعة دار الثقافة للطبع والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٨٣م.

٢٦- الجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر) : المختار فى الرد على النصارى - تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوى - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩١م.

٢٧- جبرة (القمص إبراهيم ..) : المولود من العذراء - المكتبة اللاهوتية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٧٥م.

٢٨- ابن حزم (الإمام ابى محمد على بن حزم الظاهرى):الفصل فى الملل والأهواء والنحل - مطبعة التمدن - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٢١هـ.

٢٩- حسنين (د. حسن حنفى ..) : الدراسات الإسلامية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٨١م.

٣٠- ———————— : نماذج من الفلسفة المسيحية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٨٣م.

٣١- الحليبى (د. أحمد بن عبد العزيز): أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية - سلسلة كتاب الأمة - العدد ٥٥ - قطر - الطبعة الأولى - ١٩٩٧م.

٣٢- حلمى (د. مصطفى ..): قواعد المنهج السلفى - دار الأنصار - القاهرة - ب.ت.

٣٣- ------------- : السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية – دار الدعوة – إسكندرية – الطبعة الأولى– ١٩٨٣م.

٣٤- ديـدات (داعـية العصر د.أحمد): المسيح فى الإسلام ومحاورة مع قسيس حـول ألوهـية المسيح (مع النص الإنجليزى) – تـرجمة وتقديـم أ. علـى الجوهرى – دار الفضيلة للطبع والنشر – القاهرة – الطبعة الأولى– ١٩٨٨م.

٣٥- -------------------- : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء – ترجمة وتقديم أ. على الجوهرى – دار الفضيلة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٠م.

٣٦- -------------------- : مـناظرة العصر بين العلاّمة أحمد ديدات والقس د. أنيس شروش – بقاعة ألبرت الكبير بلندن – تـرجمة أ. علـى الجـوهرى – دار الفضيلة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٢م.

٣٧- أبـو ريـان (د. محمد على) : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام – دار المعـرفة الجامعية – إسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٠م.

٣٨- أبو زهرة (الشيخ الإمام محمد) : تاريخ الجدل – دار الفكر العربى للطبع والنشر – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٨٠م.

٣٩- -------------------- : محاضـرات فى النصرانية – تبحث فى الأدوار الـتى مرت بها عقائد النصارى وفى كتبهم وفـى مجامعهم المقدسة وفرقهم – دار الفكر العربى – الطبعة الثالثة – القاهرة – ١٩٧٨م.

٤٠- أبا زيد (د. صابر عبده ...) : الحوار الدينى بين الإسلام والمسيحية – محاولة نحو فهم الآخر – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م.

٤١- ———————— : لويس ماسينيون وجهوده فى الفكر الفلسفى الإسلامى – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – إسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م.

٤٢- ———————— : العالم عند الغزالى – بحث فى مجلة كلية الآداب جامعة جنوب الوادى - العدد الرابع – عام ١٩٩٥م.

٤٣- سعد رستم : التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا – دار الأوائل للنشر والتوزيع – دمشق – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م.

٤٤- السقا (د. أحمد حجازى) : أقانيم النصارى – دار الأنصار – القاهرة – مطبعة المجد – الطبعة الأولى – ١٩٧٧م.

٤٥- سليمان مظهر : قصة الديانات – مكتبة مدبولى بالقاهرة – الطبعة الثانية – ٢٠٠٢م .

٤٦-شرف الدين (تقى الدين ..) : النصيرية – دارسة تحليلية – طبع بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٨٣م.

٤٧- شرف (د. جلال ، د. على عبد المعطى): الفكر السياسى فى الإسلام – شخصيات ومذاهب – دار الجامعات المصرية – إسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٧م.

٤٨- الشعراوى (الشيخ محمد متولى ..) : مريم والمسيح عليهما السلام – دارسة وإعداد بتحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسُنة – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م.

٤٩- شلبى (د. أحمد ..) : مقارنة الأديان – المسيحية (٢) – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – الطبعة الحادية عشر – ٢٠٠٢م.

٥٠- الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل – بهامش كتاب الفصل لإبن حزم – المطبعة الأدبية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٢٠هـ .

٥١- شنودة (د. زكى ..) : موسوعة تاريخ الأقباط – مطابع البلاغ – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٩٨م.

٥٢- الصاوى (أمينة ، د.عبد العزيز شرف): رجاء جارودى وحضارة الإسلام – مكتبة نهضة مصر – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٨٤م.

٥٣- صبحى (د. أحمد محمود ..) : فى علم الكلام – المعتزلة – مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية – الطبعة الرابعة – ١٩٨٢م.

٥٤- عباس (د. قاسم محمد ..) : الحلاج – الأعمال الكاملة – دار رياض الريس للكتب والنشر – بيروت – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢م.

٥٥- عبد الباقى (محمد فؤاد ..) : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٦م.

٥٦- عبد الرازق (الشيخ مصطفى ..) : الدين والوحى والإسلام – مكتبة الشباب – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٩٧م.
٥٧- عبد القادر (د. محمد أحمد ..) : ملامح الفكر الإسلامى بين الإعتدال والغلو – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية – طبعة ٢٠٠٤م.
٥٨- عبد الوهاب (أ. أحمد ..) : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية – نشر مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٨م.
٥٩- عبود (د. عبد الغنى..) : المسيح والمسيحية والإسلام – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٨٤ م.
٦٠- العراقى (د. عاطف ..) : تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية – دار المعارف بمصر – الطبعة الخامسة – ١٩٨٣ م.
٦١- ———————— : مذاهب فلاسفة المشرق – دار المعارف بمصر – الطبعة السادسة – ١٩٩٨م.
٦٢- ———————— : ثورة النقد فى عالم الأدب والفلسفة والسياسة- القسم الثانى – كتب وشخصيات من منظور الثورة النقدية – ج١ – دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر – الإسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م.
٦٣- الفرحان (د. راشد عبد الله ..) : الأديان المعاصرة – الكويت – ليبيا – جمعية الدعوة الإسلامية – الطبعة الثانية – ١٩٨٥م.

٦٤- فـؤاد (د. عبد الفتاح أحمد ..) : ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفى – الهيئة المصرية العامة – إسكندرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٠م.

٦٥- الفـوزان (صالح بن فوزان عبد الله) : من مشاهير المجددين فى الإسلام – شـيخ الإسـلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – طبع ونشر السعودية – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٦- ابـن كثير (الإمام أبى الفداء إسماعيل): قصص الأنبياء – تحقيق لجنة من العلماء – دار إحياء الكتب العربية بمصر – ب. ت.

٦٧- كوربـان (المستشرق الفرنسى هنرى..): تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ الينابيع حـتى وفاة ابن رشد ١١٩٨م- ترجمة نصير مروة وحسـن قبيسـى – مـراجعة وتقديم الإمام موسى الصدر والإمير عارف تامر – منشورات عويدات – بيروت – باريس – ١٩٨٢م.

٦٨- لاووسـت (المستشرق الفرنسى هنرى) : شرائع الإسلام فى منهج ابن تيمية – ثلاثـة أجزاء – ترجمة محمد عبد العظيم على – نقـد ودراسـة وتعليق د. مصطفى محمد حلمى – دار الدعـوة للطبع والنشر والتوزيع – إسكندرية – الطـبعـة الثانـيـة – ١٩٩٧م وأصـل الكـتاب بالفرنسية :

Henri Laoust : Essai sur les Doctrines Sociales et politiques de la Taki Iddin . B. Taimiya – Paris – 1939.

وترجمتها رسالة فى المذاهب الإجتماعية والسياسية عند تقى الدين بن تيمية – سنة ١٩٣٩م.

٦٩- مبارك (د. زكى ..) : الأخلاق عند الغزالى- منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ب. ت .

٧٠- مدكــور (د.إبراهــيم بيومى): فى الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه – ج٢- دار المعارف – مصر – الطبعة الثالثة – ١٩٧٦م.

٧١- مجمــع اللغـــة العربيـــة : المعجم الفلسفـــى بتصدير – د. إبراهيم بيومى مدكور – الهيئة العامة للمطابــع الأميرية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٩م.

٧٢- الــنجار (د. عبد الوهاب ..): قصص الأنبياء – مطبعة النصر – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٣٦م.

٧٣- النشـــار (د. على سامى ..) : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج٣ – دار المعارف بمصر – الطبعة الثامنة – ١٩٨١م.

٧٤- الهـــندى (الشيخ رحمت الله خليل العثمانى): إظهار الحق وإخفاء الباطل – جزأن – تقديم د. عبد الحليم محمود – تحقيق محمد كمـــال فـــراج – توزيع مطابع الأهرام – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٨م.

<u>ثالثاً: المراجع الأجنبية</u> :

75-Boz (P) : L'Islam, Découverte et renconter et petit Encyclopédie Moderne du christionisme dirigeè par Georges Carpentier et charles Ehlinger, De Scleè de Brouwer – Paris – 1993.

76-Massignon (L.) : Le Christ dans les évangiles selon al-Ghazâli – Revue des Etudes Islamiques – Paris – 1933.

77--------------------:Mélanges, publiés sous le partonage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'université de Paris et de l'Institut Français de Damas – To. 1,2,3,-Damas – 1956.

يراجع الدراسة التى أعدها M.Abd - El-Jalil بعنوان :

Autour De la Sincerite D'al-Gazâli – PP. 56-72.

78- -----------------: La passion de Husayn Ibn-Mansur Al-Hallâj mortyr mystique de l'Islam, exécuté a Bagdad le 26 Mars 922-Étude d'Histoire Religieuse, Nouvelle E'dition, 4 tomes-E'di : Gallimard – Paris – 1975.

79- ------------------: Essai sur les origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane – Paris – 1954.

80- Nasr (S.H.) : Islam – perspectives et réalitès – traduit de l'anglais par H.Crès – E'ditions Buchet- chostel – Paris – 1991.

81- Thual (F.) : Géoplitique du Chiisme Arléa – Paris – 1995.

رابعاً: الموسوعات الأجنبية :

82- Dictionnaire de philosophie, Noèlla Baraquin Anne Baudart, Jean Duguè, François Ribes.... Armand Colin-E'diteur – Paris – 1995. (Art : Christianisme).

83- Grodier Academic, Encyclopedia Grolier International, London – 1983.

84-The New Encyclopeodia, Britannica, Macropoedia, knowledge in Depth Robert P.Gvwinn Chairman, President Philip. W.Editor in Chief. Chicago, London, Paris, Roma, Vol.16-26. 1973

فهـــرس الموضوعـــات

فهـــرس الموضوعـات

{ تم بحمد الله }

المسيحية
بين النقل والعقل

تأليف
دكتور
عبد الفتاح أحمد الفاوى
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٩٢

الاهــــــداء

الى

((الذين قالوا انا نصارى

ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا

وأنهم لا يستكبرون))

مقدمة

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على أشرف المرسلين نبينا محمـد وعلى آله وصحبه ومن تبعه أجمعين .

وبعـــد ..

فإذا كان صحيحا أن أهل كل دين وقوم كل نبى أعـلم بدينهم ونبيهم وأقدر على الكتابة فيه من غيرهم وأصدق فصحيح أيضا أن المسيحية لا تعـدو الإسـلام « إن الدين عند الله الإسلام » وأن عيسى نبى عندنا من كفر به فهو كافر ولا فرق بين إنكار نبوته وإنكار نبوة محمد كلاهما فى نظر الإسلام كفر . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »[1] .

والفرق بين عقيدة المسلمين وعقيدة المسيحيين فى عيسى عليـه السـلام أدق من الشعرة كما قال النجاشى لجعفر بن أبى طالب ومن معه ممن هاجروا إلى الحبشة من المسلمين إذ طلب النجاشى من جعفر أن يقرأ عليه شيئا مما أنزل على محمد فى شأن عيسى فقرأ عليه صدر سورة مريم فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم ثم قال النجاشى إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . وعندما ذكر وفد قريش للنجاشى أن المسلمين يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما سأل ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر نقول فيه الذى جاء به نبينـا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى

---

(1) الشورى ١٣ .

مريم العذراء البتول . فضرب النجاشى الأرض بيده فأخذ منها عودا ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . وقال للمسلمين اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى (الشيوم الآمنون) من سبكم غرم . قالها ثلاثا ما أحب أن لى دبرا من ذهب وإنى آذيت رجلا منكم[٢] .

(والدبر بلسان الحبشة الجبل) .

فالفرق بين ما جاء به الإسلام وما عند المسيحيين عن عيسى فرق ضئيل يقولون عنه إنه الكلمة ونقول إنه باالكلمة كان ويقولون إنه روح الله ونقول إنه روح من الله « وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[٣] ونقول إنه رسول الله ويقولون إنه ابن الله أو الله الابن . ونقول لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه ويقولون صلب وقتل وقبر وقام ثم رفع بعد ذلك .

ومجىء المسيح لم يكن حادثا طارئا عند المسيحيين بل كان قصد الله الأزلى منذ تأسيس العالم أن تخلص البشرية على يد المسيح الأزلى فكأن موت المسيح على الصليب أقام قنطرة على الفجوة التى كانت قائمة بين الله والناس . وكان الله قادرا أن يمحو خطيئة آدم والبشرية بدون فداء أو صلب أو قتل لكن الله لا يكتفى بأن يمحو الخطيئة بل يمحوها على طريقة تحمل الانسان على كرهها ومقتها ومن ثم كان الصلب الذى أعلن فيه كان غضب الله وألمه إزاء مظالم العالم وأخطائه ومساوئه ونمثل فيه كره الله للخطيئة وحزنه عليها[٤] .

ومع أن الأناجيل لم تكتب فى حياة المسيح ولا كتبها تلاميذه ومع

---

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ١/٢٩٠ تحقيق عبد الرازق سعيد ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٣) النســاء : ١٧١ .

(٤) حبيب سعيد : أديان العالم ٢٦٧ ، دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية ، القاهرة .

أن سندها منقطع إلا أنها موثقة عندهم لأن السنوات التى انقضت بين موت المسيح وبين كتابة أول وثيقة كانت حافلة بنشاط عارم لنشر الدعوة المسيحية وحماسة منقطعة النظير فى الشهادة للمسيح وكتبت الأناجيل من وقائع حفظها الناس عن ظهر قلب وتناقلوها شفاها فى كثير من البلدان •

واحتلت قصة الآلام والصلب والقيامة التى لم تشغل إلا أسبوعا واحدا من حياة المسيح ثلث تلك الأناجيل •

ولم ينزل الإنجيل على عيسى فى شكل كتاب بل الأولى عندهم أن يقال إنه عندما أنزل الله يسوع إلى العالم أعطى للناس الإنجيل وكان مجىء يسوع المسيح إلى العالم بكل ما انطوى عليه بمثابة البشرى أو الإنجيل فالمسيح نفسه هو الإنجيل أما تعدد الأناجيل الموجودة فلأن كل واحد منها يركز على جانب من سيرة المسيح غير الذى يركز عليه الآخر فهى عندهم متكاملة لا متعاندة فأنجيل مرقس يتحدث عن حقيقة المسيح « من كان » والدور الذى قام به ولعبه على الأرض فى التاريخ البشرى وانجيل لوقا ومتى يتحدثان عن تعاليم المسيح أما إنجيل يوحنا فيبين المعنى العميق الذى استخلصه أتباعه من حياته •

وهذه الأناجيل وإن اختلفت فى بعض التفصيلات فهى متفقة فى الحقائق الجوهرية الأساسية وهى أن المسيح حال بين الناس يصنع خيرا ويشفى المرضى والمنكوبين وأنه صلب وقام من الأموات ثانية وظهر للتلاميذ • والصورة التى تتفق الأناجيل فى رسمها للمسيح أنه كان انسانا تاما والها تاما ، ابن الانسان ، كلمة الله ، مخلص العالمين ورب الحياة !!

وعلى هذا فقبول الأناجيل فى نظر بعض الباحثين أولى من رفضها رغم اختلافاتها • يقول العقاد : ليس من الصواب أن يقال إن الأناجيل جميعا عمدة لا يعول عليها فى تاريخ السيد المسيح لأنها كتبت عن سماع بعيد ولم تكتب عن سماع قريب فى الزمان والمكان ولأنها فى

أصلها مرجع واحد متعدد النقلة والنساخ ولأنها روت من أخبار الحوادث ما لم يذكره أحد من المؤرخين كانشقاق القبور وبعث موتاهم وطوافهم بين الناس وما شابه ذلك من الخوارق والأهوال .... وإنما الصواب أنها العمدة الوحيدة فى كتابة التاريخ إذ هى قد تضمنت أقوالا فى مناسباتها لا يسهل القول باختلافها ومواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها والمقارنة بينها وبين آثارها ، ورفضها على الجملة أصعب من قبولها عند الرجوع إلى أسباب هذا وأسباب ذاك .

فإنجيل متى مثلا ملحوظ فيه أنه يخاطب اليهود ويحاول أن يزيل نفرتهم من الدعوة الجديدة وتؤدى عباراته أداء يلائم كنيسة بيت المقدس فى منتصف القرن الأول للميلاد ، وإنجيل مرقص على خلاف ذلك ملحوظ فيه أنه يخاطب الأمم ولا يتحفظ فى سرد الأخبار الإلهية التى كانت تحول بين بنى اسرائيل المحافظين والايمان بالهية المسيح . وإنجيل لوقا يكتبه طبيب يورد فيه الأخبار والوصايا من الوجهة الإنسانية . وإنجيل يوحنا غلبت عليه فكرة الفلسفة وبدأه بالكلام عن الكلمة Logos ووصف فيه التجسد الإلهى على النحو الذى تألفه اليونان ومن حضروا محافلهم ودرجوا معهم على عادات واحدة .

وسواء رجعت هذه الأناجيل إلى مصدر واحد أو أكثر من مصدر فمن الواجب أن يدخل فى الحسبان أنها العمدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح وليس لدينا بعد قرابة ألفى سنة عمدة أحق منها بالاعتماد[٥] .

والكلمة والتثليث من عقائد المسيحية التى تمتد جذورها إلى ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام عند اليهود فى بلاد اليونان . فكان اليهودى يرى فى الكلمة أكثر من صوت صارخ ، لها قوتها ولها وجودها الذاتى المستقل الذى يعمل عمله . فهى قوة حياة رهيبة . وربما لهذا

---

(٥) عبقرية المسيح : ١٩٤ ، ١٩٥ .

السبب كانت اللغة العبرية شحيحة فى كلماتها فهى لا تضم أكثر من عشرة آلاف كلمة بينما اليونانية التى يتحدث بها الشعب زادت كلماتها عن المائتى ألف كلمة .

والعهد القديم حافل بالإشارات إلى هذه الفكرة العامة عن قوة الكلمة فحينما خدع اسحاق ونطق بالبركة ليعقوب بدلا من عيسى البكر لم توجد هناك قوة تستطيع أن تسترد البركة ولم يبق للبكر سوى اللعنة[٦] . لقد خرجت الكلمة من فيه لتعمل عملها ولا تستطيع قوة على الأرض أن توقفها .

وفى بداية سفر التكوين يفتتح كل فصل من فصول قصة الخلق بالقول : « وقال الله .... »[٧] إن كلمة الله قوة جبارة تخلق كل شيء من لا شيء وفى سفر المزامير تسمع إلى المرنم يقول : بكلمة الرب صنعت السموات[٨] وفى المزمور السابع بعد المائة « أرسل كلمته فشفاهم » وفى المزمور السابع والأربعين بعد المائة « يرسل كلمته على الأرض سريعا جدا يجرى قوله » وفى نبوءات أشعياء : لأنه كما ينزل المطر ... هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلى فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها إليه[٩] . ويتحدث الله على لسان أرمياء : أليست هكذا كلمتى كنار وكمطرقة تحطم الصخر[١٠] .

ومن هنا جاء إنجيل يوحنا يبدأ بالحديث عن الكلمة الكلمة التى ليست مجرد صوت صارخ بل قوة دافعة لها فاعليتها ، كلمة الله الذى به خلق العالمين . وقال معبرا عن المسيح إذا أردتم أن تروا

---

(٦) سفر التكوين ٢٧ .

(٧) السابق ١ : ٣ ، ٦ ، ١١ .

(٨) مزمور ٢٣ : ٦ .

(٩) اشعياء ٥ : ١١ .

(١٠) أرمياء ٢٣ : ٢٩ .

كلمة الله الأزلى وأن تنظروا قوة الله الخلاقة إذا أردتم أن تتصوروا الكلمة الذى به خلق الله الوجود بما فيه والذى وهب النور والحياة لكل إنسان تطلعوا إلى ربنا يسوع المسيح فهو كلمة الله قد تمثل بشرا فيما بينكم ٠

كما أن فكرة الكلمة كانت معروفة عند مفكرى اليونان ويرجع تاريخها إلى ٥٦٠ ق٠م فالكلمة عندهم رائدة كل نظام يسير عليه الوجود والمهيمن على كل ناموس يخضع له والكلمة هى التى تعطينا القدرة على التأمل والتفكير ، (فاللوجوس) يسيطر على هذا الوجود كما يسيطر على كيان الإنسان ٠

ومن بين يهود الاسكندرية عاش الفيلسوف (فيلو) الذى أوقف حياته على دراسة الفلسفتين اليهودية واليونانية والذى نادى بأن اللوجوس كائن منذ الأزل وأنه الواسطة التى بها خلق الوجود ، ثم قال إن اللوجوس هو ذكر الله مطبوعا على العالم كما أنه وسيلة الله للخلق وعلى حد تعبيره : « كما يمسك الزارع المحراث ويتخذ منه واسطة لبعث الحياة والازدهار فى الأرض الجرداء هكذا الكلمة هى الواسطة لبعث الكون وتسيير دفته ٠

وهكذا اجتمعت كلمة اليهود واليونانيين على إدراك معنى اللوجوس كلمة الله ٠ وجاء يوحنا ليعلن أن يسوع المسيح هو كلمة الله لبس جسم بشريتنا ٠

أما التثليث فمعناه — عندهم — يفوق قدرة العقل الإنسانى لأنه حقيقة كنه الخالق التى لا يدركها المخلوق لعجزه وقصوره ٠ جاء على لسان المسيح : إن قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات ٠

ويروى أن الامبراطور « تراجانون » أمسك أمام الحبر يشوع صنما كان يعبده وقال له أرنى إلهك كما أريتك إلهى فقال له الحبر تعال

غدا عند الظهر فأريك إلهى ، ولما جاء أخذه إلى السطح وأشار إلى قرص الشمس وقال له حدق جيدا فإلهى هناك فبهر نور الشمس بصره ولم يقدر أن يفتح عينيه فقال له الحبر : هذا نور إلهى إن كنت غير قادر أن تفتح عينيك فى نوره فكيف تقدر أن تراه هو[١١] .

وقد شبه ابن خلدون فى مقدمته العقل بميزان الصائغ فإنه يصلح لوزن الذهب بمقدار معين وإذا وزنت به ما فوق طاقته تحطم . هكذا كل من يريد أن يزن الله بما هو فوق طاقة العقل سيحطم العقل ويضل فى غياهب الكفر والإلحاد .

ويجب أن نميز بين ما هو فوق طاقة العقل وبين ما هو ضد العقل وعقيدة الثالوث — عندهم — ليست ضد العقل بل فوق العقل .

هذه رؤية النصارى المسيح والمسيحية مجملة ، نبسطها — إن شاء الله — مع وجهات نظر أخرى فى ثنايا هذا المؤلف .

وبالله التوفيق ..

---

(١١) أديان العالم : ٣٠٠ .

آدم عليه السلام
وأكله من الشجرة

من حديث الله تعالى للملائكة فى قصة الخلق نستطيع أن ندرك أن آدم وإن خلق فى الجنة إلا أنه لم يخلق ليعيش ويستقر بها ، وإنما ليعمر الأرض ويكون خليفة لله فيها . « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة »[١] فوجود آدم فى الجنة كان مؤقتا وهبوطه إلى الأرض كان مؤكدا سواء أكل من الشجرة أم لم يكن منها ، وآدم لم يهبط من الجنة إلى الأرض لأنه أكل من الشجرة المنهى عنها وإنما أكل من الشجرة المنهى عنها ليهبط إلى الأرض المعدة له ولذريته سلفا ، والمقدر إقامتهم عليها ، وخلافتهم الله فيها ، ولذلك كان عتاب الله تعالى لآدم على أكله ومخالفته نهيه عتابا خفيفا قدم بين يديه العذر « فنسى ولم نجد له عزما »[٢] وأعقبه بالعفو والصفح وقبول التوبة « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه »[٣] .

والمتأمل لحديث القرآن فى قصة آدم يجده تناول ثلاثة موضوعات رئيسة :

١ — إخبار الله ملائكته بالخلق .

٢ — أمره الملائكة بالسجود لآدم .

٣ — نهيه آدم أن يأكل من الشجرة .

إخبار وأمر ونهى . عند الإخبار تساءلت الملائكة متعجبة أو اعترضت متأدبة ، « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن

---

(١) البقرة : ٣٠ .
(٢) طه : ١١٠
(٣) البقرة : ٣٧

نسبح بحمدك ونقدس لك » وسواء أكانت فكرة الملائكة عن هـذا « الخليفة » عن علم أو توقع فإن الله لم ينف ما قالته وإنما أخبر بأنه يعلم ما لا تعلمه الملائكة « إنى أعلم ما لا تعلمون » •

ولم يعتبر الحق هذه المراجعة تعديا أو تجاوزا من الملائكة لأنه لم يعاتبهم أو يعاقبهم عليها وإنما أخبرهم بقصور علمهم عن إدراك الحكمة فى هذا الخلق • وربما يكون أمره لهم بالسجود بعد ذلك امتحانا لهم أو عقابا على اعتراضهم ومراجعتهم « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا »[٤] ومع أن الملائكة فى مراجعتها فضلت نفسها عن ذلك الخلق الذى سيجعله الله خليفة حيث وصفت هذا الأخير بأنه « يفسد فيها ويسفك الدماء » بينما وصفت نفسها بقولها : « نسبح بحمدك ونقدس لك » إلا أنها ما إن أمرت بالسجود حتى أطاعت وسجدت لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون « فسجدوا إلا إبليس » •

واختلف العلماء فى إبليس أهو من الملائكة أم لا ؟ • فمن قال إنه منهم نظر إلى الاستثناء فى الآية إذ لو لم يكن منهم لما كان للاستثناء معنى ومن أخرجه منهم ذهب الى أنه من الجن « إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » وأنه مخلوق من نار « خلقتنى من نار وخلقته من طين » والملائكة مخلوقة من نور[٥] •

أيا ما يكن فقد عصى إبليس بمخالفة الأمر فلعن وطرد من الجنة : « قال اخرج منها مذموما مدحورا » ، وعصى آدم بمخالفة النهى فاجتباه ربه « فتاب عليه وهدى » ولكنه أهبط إلى الأرض • فمعصية إبليس كانت عن إصرار وتعمد وعندما سأله أو عاتبه الحق بقوله : « يا إبليس

---

(٤) البقرة : ٣٤

(٥) هناك أقوال كثيرة للعلماء فى ابليس انظر تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة فى مفاتيح الغيب للفخر الرازى ١/٤٢٦ •

مالك ألا تكون مع الساجدين » أجاب إجابة مصر على المعصية : « قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون » فلعنه الله وطرده : « قال اخرج منها إنك رجيم وإن عليك اللعنـــة إلى يـــوم الدين »(٦) .

أما معصية آدم فكانت عن نسيان لا عن عمد وما إن ناداه ربه هو وحواء : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة » حتى سارعا بالابتهال والاســـتغفار « قالا ربنا ظلمنا أنفســـنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »(٧) .

ومن هنا جاءت عداوة إبليس لآدم وذريته روى عن ثابت البنانى أنه قال بلغنا أن إبليس قال يارب خلقت آدم وجعلت بينى وبينه عداوة فسلطنى عليه وعلى ولده فقال الله جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدنى فقال : لا يولد ولد لآدم إلا ولك عشرة . قال رب زدنى قال : تجرى منه مجرى الدم . قال رب زدنى . قال : فاجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد .

قال فعندها شكى آدم إبليس إلى ربه فقال : يارب إنك خلقت ابليس وجعلت بينى وبينه عداوة وبغضاء وسلطته على ذريتى وأنا لا أطيقه إلا بك فقال الله تعالى : « لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكان يحفظانه من قرناء السوء . قال رب زدنى . قال : الحسنة بعشر أمثالها . قال : رب زدنى . قال لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغر(٨) .

وجاء فى الحديث أن موسى قال لآدم أنت الذى أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت الذى اصطفاك الله لرسالاته ولكلامه

---

(٦) الحجر ٣٢ — ٣٥ .
(٧) الأعراف : ٢٢ ، ٢٣ .
(٨) مفاتيح الغيب ١/٤٧٤ .

وأنزل عليك التوراه فهل تجد الله قدره على ؟ قال : نعم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى وكرر ذلك •

هذا هو آدم وذاك هو خطؤه عند المسلمين • خطأ متعلق بآدم نفسه وهو موقوت لم يلبث أن عفى عنه • أقدم عليه ناسيا بدون عزم ولما علم به تاب وأناب وقبل الله توبته •

أما النصارى فقد اعتبروا أكل آدم خطيئة — لا خطأ — وهى خطيئة لم تقتصر عليه وحده وإنما انسحب أثمها وشرها على ذريته من بعده ، فعم البشرية جميعا فالكل مخطىء بخطيئة آدم والكل آثم ، ولم يملك آدم ولا أحد من ذريته ما يكفرون به عن تلك الخطيئة وعندئذ شاء الله أن يتدارك بعفوه الإنسان المخطىء والانسانية المخطئة بأن يكون من يفتديها هو ابنه الوحيد فبعثه ليخلص الانسان وينقذه من العقوبة ورضى يسوع أن يقدم نفسه فداء فيكون الوسيط بين الله والبشر ولهذا تجسد يسوع ابن الله الوحيد الذى لا ابن له سواه وقام تجسده على اجتماع اللاهوت والناسوت فى شخصه فاجتمعت له الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية وبطبيعته الإلهية كان أهلا للتكفير وبطبيعته البشرية جرت عليه أحداث الصلب فتمت الوساطة المقبولة بين الله والبشر وانتهت القطيعة ووقعت المصالحة وردد النصارى ••• نفتخر بالله بربنا يسوع الذى نلنا به المصالحة »[٩] •

ومن آدم عليه السلام أو من أكله من الشجرة المنهى عنها يبدا الحديث عن عيسى عليه السلام عند النصارى لأنه لم يوجد ولم يولد إلا ليكون كفارة لتلك الخطيئة التى ارتكبها آدم ولو لم يخالف آدم النهى ويأكل من الشجرة لما صلب ولما قتل بل لما وجد أصلا ولا ولد •

---

(٩) سفر رومية ، الاصحاح ٥ •

فــكرة المســـيح المنتظر

يشــير علم مقارنة الأديان إلى أن فكرة الايمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص توجد فى كثير من الديانات وأن هذه الفكرة كانت تشتد حين تشتد الحاجة إليه • فكان المصريون الأوائل يترجون المخلــص المنقذ بعد زوال الدولة القديمة ، وكان البابليون يؤمنون بعودة هذا المخلص إلى الأرض فترة بعد فترة ، وكان المجوس يؤمنون بظهــور رسول من إله النور كل ألف سنة يبعث فى جسد إنسان وزرادشت رسول المجوسية الأكبر كان أحد هؤلاء[١] •

أما الإيمان بظهور رسول إلهى يسمى « المســيح » خاصة فلم يعرف بهذه الصيغة قبل كتب التوراة وتفسيراتها أو التعليقات عليهــا فى التلمود والهاجادا وما إليها • فقد لقى اليهود بعد طالوت وداود وسليمان من الذل والهوان ما لقوا وتعاقبت الغزاة عليهم فما يكاد يتركهم قوم حتى يغزوهم آخرون بل إن الغزاة أنفسهم كان بعضهم ينتهب اليهود والأرض التى يعيشون عليها من البعض الآخر وكان ذلك سنة فيهم • مما جعل اليهود يعتقدون — خطأ — أن إلهة الشعوب المجاورة أرادت أن تنتقم من يهوة فأذلت شعبه كما أذل هو ســلفا شعوبها ومن ثم تطلعوا — غير يائسين — إلى المسيح الذى سيكون على يديه خلاصهم مما هو فيه •

وعندما أشتد تنكيل « بختنصر » ٨٦ ق• م لهم فأحرق هيكلهم ودمر مملكتهم وقتل وسبى ونهب وغنم الحت هذه الفكرة على أذهانهم واشتد ظهورها عندهم وكثر حديثهم عن المســيح المنتظر لأن يهوه إلههم لن يتركهم لذل الأسر والإيلام كما أنه لن يقبل أن يهدم هيكله وتسقط أورشليمه ونسج الخيال اليهودى حول هذه الفكرة الكثير من القصص والأساطير •

---

(١) العقاد : حياة المسيح ٣٥ — ٣٧ •

وعندما ظهر قورش ملك الفرس ومؤسس الامبراطورية الساسانية فى فارس وناصر اليهود وفك أسرهم اعتقدوا أنه هو المسيح المخلص والتمسوا منه أن يعيدهم إلى الفرس وأن يسمح لهم ببناء الهيكل • جاء فى سفر اشعياء : « ••• هكذا يقول الرب أمسكت لقورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق »[٢] •

إلا أن اليهود ما لبثوا أن عادوا لما كانوا فيه من الذل والاستعمار على أيدى الرومان عندما عاد الرومان من جديد يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويحصون عليهم أنفاسهم فقويت عندهم فكرة المسيح المنتظر من جديد يخلصهم من أسر الرومان ويعمل على إعادة ملكهم وتحرير أورشليم وبسط نفوذهم وتسخير البشرية لخدمتهم لأنهم شعب الله المختار كما يزعمون •

يقول أحد الباحثين[٣] فى وصفه لحال اليهود إبان مبعث المسيح : « كان الشعور العام ينتظر ظهور المسيح من نسل داود كقائد شعبى كبير يستخدم المعجزات والخوارق للانتصار على الأعداء ، وكان البعض ينتظر من المسيح صراعا دمويا وجاءت كتابات الرؤى الرمزية تعكس هذه المشاعر والآلام لقد كتبت لتشجع قوما فى شدة الضيق والمتاعب فهى تصور لأحلامهم قضاء قريبا سريعا على الشر وسعادة ومجدا للمؤمنين » •

ولقد كثرت التكهنات والأقاويل كما تعددت الأقاصيص والأساطير بشأن هذا المسيح المخلص فبعضهم يصوره ملكا من كبار اليهود السابقين سيقوم من قبره ليعيد لبنى اسرائيل عصرهم الذهبى وبعضهم يرفض فكرة قيام أحدهم من قبره ويراه أميرا من هذه السلالة الشجاعة الغالبة سيقود جموعهم إلى حيث النصر والعودة إلى العصر

---

(٢) الاصحاح ٤٦ نص ١ •

(٣) فتحى عثمان : مع المسيح فى أناجيله الأربعة ٦٠ •

الذهبى وبعضهم يصوره نبيا من أنبيائهم سيجمعهم بكلمة الله وهديه إلى الحق والعدل .

والرأى الأرجح عندهم والأشد تأثيرا فى نفوسهم هو الذى يرى أن المسيح المخلص سوف يأتى من ذرية داود وينتصر انتصارا سريعا حاسما على الأعداء ويحرر اسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة لملكته ليتوحد الجمع اليهودى الشتيت على عبادة يهـوه من جـديد ولعل الذى دفعهم إلى اختيار داود وسليمان بالذات أن عصرهما كان العصر الذهبى لليهود وقد ذكروا أن يهوه وعد داود بأن يثبت كرسى مملكته إلى الأبد . جاء فى التوراة : « ... والآن فهكذا تقول لعبدى داود هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المربض من وراء الغـنم لتكون رئيسا على شعبى اسرائيل ... وقد أرحتك من جميع أعدائك والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته هو بيتى الأسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد »(٤) .

ولم يقتصر هذا الوعد على داود وحده بل وعد كذلك سليمان فيما جاء : « إن الرب قد تراءى لسليمان ثانية وقال ... وأنت إن سلكت أمامى كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامى فإنى أقيم كرسى ملكك على اسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك .

وهكذا ندرك أن فكرة المسيح المخلص عند اليهود كانت تزداد وضوحا والحاحا وقت الشدة والمحن وكانوا ينسجون حولها من الأساطير ما يخففون به ألم الواقع المرير .

وكما راجت هذه الفكرة عند اليهود راجت عند كثير من الشعوب والأمم مثل قدماء المصريين والهنود وغيرهم عندما يحيكون حول

---

(٤) صموئيل الثانى : اصحاح ٧ فقرات ٨ — ١٣ .

بعض قادتهم ومفكريهم من الأساطير ما يجعل منهم أشخاصا غير عاديين يحولون ذلهم عزا وضيقهم فرجا ٠

وفى هذا المجال يستوى المسيح والمهدى والامام المنتظر وليس من باب الصدفة أن ينتظر الشيعة رجوع الامام المستتر حين أوصدت فى وجوههم أبواب السلطة ٠

وهكذا مثل تفكرة المسيح سلوكا تعويضيا عن واقع غير مرضى وتشكلت بحسب المناخ الثقافى الذى برزت فيه ٠

وقد تلقب بالمسيح المنتظر من بنى اسرائيل كثيرون منهم :

هارون عليـه السـلام :

إذ تبين التوراة أنه بعد أن تم صنع الزيت المقدس أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يمسح به الهيكل والمذبح ليكونا مقدسين وأن يمسح به أخاه هارون ليكون مسيحا مقدسا ٠ وكلم الرب موسى قائلا : « ٠٠٠ وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى »[٥] ٠

واليشـــع :

إذ تذكر التوراة أن الله تعالى أمر نبيه إيليـا أن يمسح من بعده اليشـع نبيا على بنى اسرائيل ٠٠٠ « وامسح اليشع بن شاقاط ٠٠٠ نبيا عوضا عنك »[٦] ٠

وشاول أو طالوت :

وهو مسـيح الرب الذى خلص بنى اسرائيـل من أيـدى الفلسطينيين وهو المسيح المبارك الذى لا تناله الأيدى بالسوء ولا تمتد اليه بالشـر ٠

---

(٥) سفر الخروج : الاصحاح ٣٠ الفقرة ٣٠ ٠

(٦) سفر الملوك : الاصحاح ١٩ الفقرة ٢٠ ٠

وداود وسليمان عليهما السلام [٧] .

وحين عاد الرومان ثانية لإحكام قبضتهم على الشعب الاسرائيلى واستعبدوهم وألحقوا بهم ألوانا من الذل والهوان تجدد تطلعهم مرة أخرى إلى مخلص[٨] وسيكون هذه المرة عيسى بن مريم الذى صار هذا اللقب علما عليه .

---

(٧) سفر الملوك : الاصحاح الأول ٢٢ — ٢٤ .

(٨) من هنا يتضح ان فكرة المسيح قد انتقلت من مسح الكهنة والملوك والانبياء بالزيت المقدس الى التطلع فى وقت الأزمات والملمات الى المخلص الذى يقوم بتحرير الشعب الاسرائيلى ويفك أسره .

بيئـــة المســيح عليه الســلام

ولد عيسى بهوديا ولم يعرف خلال حياته القصيرة غير البيئـــة اليهودية فاستمد منها وحدها عناصر ثقافته وخضـــع كسائر مواطنيه إلى المؤثرات التى عملت فيها وكانت فلسطين خاضعة للسيادة الرومانية منذ أن استولت روما على أورشليم القدس سنة ٣ ق• م •

وكان الشعب اليهودى فى عهد عيسى يبدو بمظهر الشعب المتحد فى الجنس والدين والتقاليد إلا أن هذه الوحدة تخفى قدرا لا بأس به من التنوع فكانت فى أعلى السلم الاجتماعى طبقة من رجال الدين حول الهيكل تعمل على انتظام العبادة فى هذا المعبد الأعظم وتشرف على تقديم الذبائح ولكنها لا تعتنى بدراسة الشريعة أو تعليمها بل توجه كل اهتمامها الى حفظ النصوص وممارسة الطقوس •

وإلى جانب هؤلاء طبقة الكتبة وهم فقهاء الشرع ينكبون على شرح الكتاب المقدس ويعنون بكثير من المسائل الشكلية التى من شأنها الابتعاد بالايمان عن صيغته الفطرية رغم تقواهم الشخصية العميقة وقد شهد المجتمع اليهودى فى هذه الفترة انتشار العديد من الفرق الدينية السياسية • فكان الصدوقيون من الأثرياء وأصحاب الجاه لا يعترفون إلا بنص الشريعة المدون فى التوراة ويرفضون أى بدعة فى الدين قائمة على الاستدلال والاجتهاد ، لا يؤمنون ببعث الأجساد محتجين فى ذلك بأن موسى والأنبياء القدامى لم ينصوا عليه وكان حزبهم من أشد المناوئين لحركة عيسى •

وفى الجانب المقابل كان الفريسيون[1] ينتمون إلى الطبقـــات الشعبية ويحظون لديها بنفوذ وتقدير ، وكانت لهم ثلاث ســمات تميزوا بهـــا •

---

(١) الفريسيون : تعنى المفضلون وان كانوا يطلقون على انفسهم لفظ الأصحاب ويطلق عليهم انجيل الطفولة لقب المعتزلة •

أولهـا : عدم اقتصارهم على نص الشريعة المدون واعتبارهم للسنن الدينية الشفوية •

وثانيهـا : حرصهم الشديد على الطهارة الشرعية •

وثالثهـا : اعتقادهم الراسخ فى البعث الجسمانى ، والجدير بالذكر أن حواريى عيسى الاثنى عشر كانوا — فيما يبدو — من الفريسيين •

ويمثل الاسينيون ثالث فرقة يهودية كبرى وكتب العهد الجديد لا تحتوى على أى إشارة إليهم • وأبرز ما يتميزون به علاوة على اهتمامهم النشط بالانتاج الأدبى أنهم كانوا نساكا وكهنة يمارسون حياة الرهبنة الجماعية وينزعون إلى الطهارة الشرعية فيكثرون من التردد على الحمامات وكانوا يؤمون — مثلهم فى هذا مثل الفريسيين — بقرب نهاية الأزمنة وبحلول عالم جديد مثالى فى ذلك العهد المرتقب إلا أنهم لم يكونوا على صلة بكهنوت أورشليم الرسمى •

وكانت منطقة فلسطين الوسطى بعيدة عن روح الوحدة الدينية وكان أهلها المعروفون باسم السامريين نسبة الى السامرة أشـهر مدنهم لا يعترفون إلا بالكتب الخمسة الأولى من العهد القديم باعتبارها موسوية فكانوا مقاطعين لهياكل أورشليم وكان بينهم وبين اليهـود احتقار متبادل وعداوة راسخة حتى إن الحجيج القادمين من الجليل والقاصدين أورشليم كثيرا ما يتحاشون المرور بالسامرة خوفا من شر أهلها • ولم يمنع ذلك من انتشار ظاهرة انتظار المخلص فى أوساط السامريين[٢] •

أما المناطق المجاورة لنهر الأردن فكانت تسكنها مجموعات لها قرابة باليهـود دون أن تنتمى إلى بنى اسرائيل ونشأت بها فرق الصائبة

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٨/١ وتفسير الطبرى ١٥٧/٣ .
(٢) مفاتيح الغيب ٧٩٠/٥ .

والمندائيين التى كانت تتميز بممارسة التغطيس فى نهر الأردن الذى كان يعتبر عندهم مقدسا[٣] •

وإطلاق صفة الناصرى Nazoraios Nazareen على عيسى وعلى تلاميذه لعلها لا تدل على النسبة إلى الناصرة كما يتبادر إلى الذهن ولكن تعنى الناظر وهى أقدم تسمية للمندائيين ، ولعل هذا الالتباس راجع إلى أن يحيى (يوحنا المعمدان) أولا والمسيحيين من بعده قد مارسوا على غرار هذه الفرق التغطيس والتعميد فى نهر الأردن • وأيا ما يكن فالعلاقات موجودة بين هذه الجماعات وبين المسيحيين الأولين وإن كان يعسر تحديدها •

وكان اليهود فى معظم الوقت إما فى قتال مع حكام البلاد المجاورة وإما تحت وطأة قوة من القوى المستعمرة وإما غرباء حيث يأخذون سبايا وينقلون قسرا إلى حيث يريد المستعمر وإما تائهين فى الأرض • وقد وقع اليأس ببعض اليهود فى المهجر إلى التخـلى عن ديانتهم الأصلية كما أن معظمهم كانوا يعيشون فى جماعات شبه مغلقة على نفسها وقد دعم هذا ظاهرة اهتمت بها العقلية اليهودية ورسخت فى أذهان بنى اسرائيل وانتشرت على نطاق واسع فى زمن عيسى وهى انتظار مجيء المسيح الموعود • وكان الشعب والعديد من رجال الدين يأملون من مجيئه استرجاع أمة اسرائيل لما عرفته من مجد أيام داود ومن الطبيعى أن يقوى هذا الأمل كلما كانت الأحداث التاريخية معاكسة للتصور الذى يفرضه مصير شعب الله المختار •

فالمسيح الموعود هو الذى سيخلصهم وسيجلس لا محالة على كرسى أبيه داود وسينتقم لهم من أعدائهم • وبازاء المفهوم الشعبى لدور المسيح ظهر مفهوم آخر اعتقد اليهود بمقتضاه أن المسـيح سيخضع الأرض كلها لعبادة الإله الواحد وسيحقق الشعب اليهودى

---

(٣) انجيل متى : الاصحاح الثانى ١٣ — ٢١ •

بفضله ملكوت السموات على جميع الكائنات[٤] .

وكان اليهود ينتظرون عودة هذا النبى بعودة موسى أو نبى يشبهه وقد يكون إيليـا أو أخنوخ لأن كليهما لم يمت حسب العهد القديم ولكن رفع إلى السماء . وهكذا يتلاقى فى شخص عيسى مفهوم النبى المنتظر ومفهوم المسيح الموعود الذى سيحقق للديانة اليهودية الصيغة الكونية باعتبار أن الأمم مدعوون إلى الالتحاق يوما ما بالشـعب المختار وعبادة إله إبراهيم .

وأخيرا فإن العوامل المتواجدة فى فلسطين فى بداية التـاريخ المسيحى كانت تتآزر كلها لتضفى على عيسى صفات معينـة تتجاوز شخصه وتعاليمه الحقيقية إلى ما ينتظر منه وما تحتاج إليه العقلية الرائجة فى عصره .

(4) Rougier, La genése des dogmes, pp. 23 — 28.

مـــريم ابنـــة عمـــــران

لم يذكر القرآن الكريم امرأة وسماها باسمها إلا مريم ابنـــة عمران ذكرت فى نحو ثلاثين موضعا منه •

ويرفع ابن كثير نسبها إلى إبراهيم عليه السلام بينما يقف به الطبرى عند داود عليه السلام[1] • كانت أمها امرأة عمران تدعى حنة وكانت عاقرا لا تلد فدعت ربها أن يهبها ولدا فحملت بمريم وهلك عمران فلما عرفت بحملها جعلته لله محررا خادما للمسجد خالصـــا للعبادة : « إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم » فلما وضعتها ووجدتها أنثى والأنثى لا تصلح لخدمة المسجد ولا للعبادة اعتذرت إلى الله قائلة : « إنى وضعتها أنثى » وإنى سميتها مريم — ومريم تعنى العابدة — وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم •

عن سعيد بن المسيب قال : قال أبو هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من بنى آدم إلا يمســـه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها •

فتقبلها ربها بقبول حسن بأن جعل الناس يتنافسون ويتنازعون على تربيتها وكفالتها حتى قال زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا : لا حتى تقترع عليها فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون الوحى فيها على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فارتفع قلم زكريا ورسبت أقلامهم فعلوا ذلك ثلاث مرات وفى كل مرة يرتفع قلم زكريا فأخذها « وكفلها زكريا » ومما يقال عن مريم : أنهـــا تكلمت فى صباها كما تكلم المسيح ولم تلتقم ثديا قط وان رزقها كان يأتيها من الجنة •

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٨/١ وتفسير القرطبى ١٥٧/٣

واختلف فى كفالة زكريا هل كانت فى طفولتها أم بعد أن فطمت لقوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » مما يدل على أنها قد فارقت الرضاع ورد بأنه يمكن أن يكون ذلك فى آخر زمان الكفالة . وعندما صارت شابة بنى لها زكريا غرفة فى المسجد جعل بابها فى وسطه . واصطفاها الله . اصطفاها مرتين مرة بتحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل هذا لغيرها من النساء ومرة بأن وهب لها عيسى من غير أب وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها وجعلها وابنها آية للعالمين . قال صلى الله عليه وسلم : حسبك من نساء العالمين أربع : مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن السلام .

...

وطهرها من الكفر والمعصية وعن مسيس الرجال وقيل عن الحيض أيضا لأنها كانت لا تحيض « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .

ويقتحم الملك على مريم خلوتها فترتاع وتنفر وتتوسل : إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا فيهدىء من روعها ويخبرها بحقيقة أمره وأنه مرسل من ربه فى مهمة كريمة جليلة « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » ولكن مريم لا تكاد تصدق فتراجعه متسائلة : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ويجيب الملك بأن ذلك على الله هين » . قال كذلك قال ربك هو على هين .

وتحمل البتول بعد النفخ . « فنفخنا فيها من روحنا » وتذكر التفاسير أن امرأة زكريا جاءت تزورها فالتزمتها فعلمت أنها حبلى . ذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا إنى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى فى يحيى « مصدقا بكلمة من الله » ومما ترويه التفاسير أيضا أن يوسف النجار قال لمريم : وقع نفسى من أمرك شىء فقالت قل قولا جميلا . قال : أخبرينى هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر ، قالت :

نعم . ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى أنبته من غير بذر . ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث أو تقول إن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء . فقال يوسف : لا أقول هذا ولكنى أقول : إن الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون . فقالت له مريم ، أو لم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعندئذ زالت التهمة عن قلبه[٢] .

وروى عن ابن عباس أن مدة حملها كانت تسعة أشهر وقيل ثمانية ولم يمش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل سبعة وقيل ستة وقتل ثلاث ساعات وقيل بل ساعة واحدة بدليل قوله تعالى : فحملته فانتبذت به .. فأجاءها المخاض .. فناداها من تحتها . والفاء للتعقيب . ومدة الحمل تعقل فيمن يتولد من نطفة .

وقيل لما دنا مخاضها أوصى الله إليها أن اخرجى من أرض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له فلما أدركها النفاس ألجأها إلى أصل نخلة فوضعت عندها وأنستها كربة الغربة وما سمعته من الناس بشارة الملائكة بعيسى فقالت : « يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » وهذا من كلام الصالحين . روى عن أبى بكر أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال : طوبى لك يا طائر ترتفع على الشجرة وتأكل من الثمر وددت أنى ثمرة ينقرها الطائر وعن عمر أنه أخذ نبتة من الأرض وقال ليتنى هذه النبتة ليتنى لم أك شيئا ، وقال على يوم الجمل : يا ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، وعن بلال : ليت بلال لم تلده أمه .

وعندئذ يناديها من تحتها : ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا » فتطمئن نفسها وتهدأ وتأكل وتشرب وتقر عينا « وهزى إليك بجذع

---

(٢) مفاتيح الغيب ٥/٧٩٠

النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى وأشربى وقرى عينا » • وتطالب بألا تكلم أحدا بشأن مولودها وأن تقول : « إنى نذرت للرحمن صوما » ولذلك عندما جاءت قومها تحمله وسألوها عن مولودها واستبعدوا وهى أخت هارون الطاهرة البتول أن تكون قد فعلت خطأ أو ارتكبت إثما فأشارت إلى رضيعها فأخبرهم بحقيقته • قال إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى • كلمهم بذلك ولم يتكلم بعدها حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان •

وتروى الأناجيل أن يوسف النجار وهو شاب صالح من شبان اليهود وكانت مريم مخطوبة له قبل أن تحمل بالمسيح[٤] ظهر له الملاك وأمره بأن يأخذ مريم وابنها ويهرب إلى مصر لأن هيرودوس يطلب الصبى ليهلك • « وبعد ما انصرفوا إذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه وأهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودوس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودوس فلما مات هيرودوس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا قم وخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض اسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى فقام وأخذ الصبى وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل[٥] •

ذكر القرطبى فى تفسير قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »[٦] أن الربوة هى مصر أو

---

(٣) انجيل متى الاصحاح الثانى ١٣ — ٢١

(٤) انظر : عبد الوهاب النجار ، قصص الانبياء ٣٧٣ ، دار احياء التراث العربى •

(٥) انجيل متى : الاصحاح الثانى ١٣ — ٢١ •

(٦) المؤمنون : ٥٠

الاسكندرية أو قرية من قرى مصر[٧] • ولنا أن نتصور مدى المشقة والمعاناة فى تلك الرحلة وفى تربية مريم لابنها وخوفها عليه من القتل • جاء فى إنجيل متى : « ولما ولد يسوع فى بيت لحم فى أيام هيرودوس الملك إذا مجوس من الشرق قد جاءوا إلى أورشليم حينئذ دعا هيرودوس المجوس وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ومتى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضا وأسجد له ••• ورأوا الصبى مع مريم أمه فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ولبانا ومرائم إذ أوصى إليهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودوس انصرفوا فى طريق آخر الى كورتهم[٨] •

وحيث غادر المجوس إلى بلادهم دون العودة إلى هيرودوس حيث كان يريد أن يعلم منهم مكان هذا الغلام ليقتله أمر بقتل جميع الصبيان فى بيت لحم وفى ضواحيها أبناء سنتين فما دون ليضمن بذلك التخلص من هذا العدو الصغير الخطير •

وتذكر الأناجيل عن مريم أنها تزوجت من يوسف النجار بعد ذلك وأنجبت منه فيما ينقله القاضى عبد الجبار : « وفى أناجيلهم وأخبارهم أنه لما صلب جاءته أمه مريم ومعها أولادها يعقوب وشمعون ويهذوا فوقفوا حذاء فقال لها وهو على الخشبة : خذى أولادك وانصرفى فهؤلاء كانوا إخوة المسيح من أمه !![٩] وجاء فى انجيل متى : أنه كان يعلم الناس فى وطنه فبهرهم بحكمته حتى قالوا أليس هذا ابن النجار أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوس وسمعان ويهوذا أو ليست أخواته جميعهن عندنا[١٠] • وفى يوحنا : وكان عيد اليهود عيد المظال

---

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٢٧ •

(٨) انجيل متى : الاصحاح الثانى ١ — ١٢ •

(٩) تثبيت دلائل النبوة ١٤٣ •

(١٠) الاصحاح ١٣/٥٥ ، ٥٦ •

قريبا فقال اخوته انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضا أعمالك الأن إخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به • ولما كان إخوته قد صعدوا ••• صعد هو لا ظاهرا بل كان فى الخفاء(١١) •

وأخرج الطبرانى عن سعيد بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله زوجنى فى الجنة مريم ابنة عمران وامرأة فرعون وأخت موسى وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها : أتكرهين ما قد نزل بك ولقد جعل الله فى الكره خيرا فإذا قدمت على ضراتك فأقرئيهن منى السلام مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وكليمة أو قال حكيمة بنت عمران أخت موسى بن عمران فقالت بالرفاء والبنين يا رسول الله(١٢) •

---

(١١) الاصحاح ٣/٧ـــ١٠ •

(١٢) تفسير القرطبى ١٨/٢٠٤ •

عيسى فى القـــرآن الكريم

الحديث عن الشرائع والأديان[1] من الموضوعات الرئيسة فى القرآن تناوله أكثر مما تناول غيره من موضوعات • ففى حديثه عن الأنبياء السابقين ودعوتهم لقومهم ، وفى حديثه عما يجب الإيمان به من عقائد وما يجب القيام به من عبادات عرض للشرائع والأديان مبينا أهم أسسها وأركانها بمنهج يختلف عن مناهج المتكلمين والفلاسفة ولا يقف عند السرد والقص شأن المؤرخين وكتاب السير منهج خاص نستطيع أن نقول عنه إنه منهج قرآنى فريد •

ولنكتف هنا بالوقوف عند عيسى عليه السلام وشريعته وما جاء فى القرآن عن ذلك •

وإذا كان الاسلام دينا يقوم أساسا على مفهوم علاقة الانسان بالله ، واليهودية دين خاص بشعب معين فإن المسيحية هى من بين الديانات السماوية الثلاث الوحيدة التى تقوم — فى نظر أهلها — على الإيمان بشخص محورى هو عيسى المسيح • لذا فإن أى دراســة للمسيحية ينبغى أن تنطلق من حياة عيسى عليه السلام •

وعيسى فى نظر القرآن نبى مرسل من أنبياء بنى إسرائيل جاء ليقيم التوراة وليصحح ما اعوج منها • كان يأخذ على أحبار اليهود جحودهم وتحجر العقيدة فى قلوبهم ونفاقهم وعملهم بغير ما يقولون •

يقرر القرآن أنه أوحى إليه كتاب كما أوحى إلى موسى والى محمد وهذا الكتاب هو الانجيل •

---

(١) كلمة دين وردت فى القرآن الكريم قرابة تسعين مرة مفردة ولم ترد جمعا اطلاقا مما يدل على أن الدين عند الله واحد هو الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » أما الشرائع فقد تختلف : « لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (المائدة ٤٨) .

وحديث القرآن عن عيسى وجيز لم يتناول حياته بالتفصيل وإنما أشار بإيجاز الى مبتدئها ومنتهاها ، وما بين ذلك لم يتحدث عنه إلا إشارات موجزة أوجز بكثير مما تحدث به عن بعض الأنبياء الآخرين مثل موسى وإبراهيم .

مجمل حديث القرآن كان عن مجيئه من غير أب وتأييده بالبينات إلى جانب ذكر الحواريين ودعوة الله لهم أن يؤمنوا بعيسى عليه السلام ودعوة عيسى لهم أن يكونوا أنصاره ، وكانوا أثنى عشر منهم يهوذا الأسخريوطى الذى وشى به وكان معظمهم صيادين وكان منهم عشارون والجميع ليسوا على حظ من التعليم لهذا لم تحفظ أقوال المسيح ولم تكتب ثم حديثه عن الصلب والقتل والرفع .

فمن حيث الخلق من غير أب نجد القرآن يقربه إلى الأذهان بالتذكير بخلق آدم من غير أب أو أم فلما لم يبعد تخليق آدم من غير أب أو أم فلأن لا يبعد تخليق عيسى من غير أب أولى . يقول الفخر الرازى « وحدوث عيسى من غير أب غير ممتنع ولو أنك طالبت جميع الأولين والآخرين من أرباب الطبائع والطب والفلسفة على إقامة حجة إقناعية فى امتناع حدوث الولد من غير الأب لم يجدوا إليه سبيلا إلا الرجوع إلى استقراء العرف والعادة ، وقد اتفق علماء الفلاسفة على أن مثل هذا الاستقراء لا يفيد الظن القوى فضلا عن العلم »[٢] . قال تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

وعندما بشرت الملائكة مريم بعيسى نعتته بما حكاه القرآن : « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » ووجاهته فى الدنيا راجعة إلى نبوته وما كان يظهر على يديه من آيات مثل استجابة الدعاء وإحياء الموتى وإبراء الاكمه

---

(٢) مفاتيح الغيب ٢/٦٨٤

والأبرص ووجاهته فى الآخرة لما له من منزلة عند ربه ، ومن المقربين أى فى أعلى درجات الجنة « والسابقون السابقون أولئك المقربون » .

وتحدث القرآن عن كلامه فى المهد فى موضعين أو ثلاثة :[٣] فى سورة آل عمران[٤] « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » وبتفصيل أكثر فى سورة مريم[٥] . « فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال إنى عبد الله آتانى الكتـــاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيـــا » .

ذكر الطبرى أن اليهود غضبوا عندما أشارت مريم إلى عيسى وقالوا لسخريتها منا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبى أشد علينا من زناها[٦] .

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض المصادر اليهودية تنسب إلى موسى الكلام فى المهد . « أخذ الرضيع فى المشى فخطا سبع خطوات الى الامام وسبع خطوات إلى الخلف، وتكلم كما يتكلم الكهل ثم ذهب لينام فى مهده بكل تعقل[٧] .

وقد نعت هذا النص بأنه أسطورة يهودية .

---

(٣) الاختلاف راجع الى الاختلاف فى قوله تعالى : « فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » فقد اختلف العلماء فيه حول ما اذا كان المنادى هو عيسى عليه السلام وهو الأرجح أم جبريل .

(٤) آية ٤٦

(٥) آية ٢٩ — ٣٢

(٦) تفسير الطبرى ١٦/٧٩

(٧) Margse Choisy Moise p. 41.

ورغم نص انجيل الطفولة[٨] العربى على أن عيسى تكلم فى المهد صبيا وحين كانت له سنة واحدة قال لأمه : يا مريم أنا يشوع ابن الله الذى ولدتنى كما بشرك جبريل الملك وإنه أرسلنى لخـــلاص العالم . رغم هذا النص فإن الكنيسة بمختلف فروعها لم تكن تعترف بهذه المعجزة ، ولذا كان النصارى ينكرون على القرآن إتيانه بما لا يعرفونه عن المسيح إذ لو كان تكلم فى المهد لكانوا أول من ســجل حدثا فى مثل هذه الأهمية .

وربما كان للحديث الذى رواه البخارى والذى ينزع عن عيسى الاختصاص بالكلام فى المهد ويجعله ثالث ثلاثة [الاثنان الآخران هما : غلام جريج وطفل رضيع من بنى اسرائيل][٩] وما روى عن ابن عباس من أنه تكلم أربعة فى المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم[١٠] .

ربما كان لايراد هذه الأحاديث رد على النصارى بحيث كانت مشاركة شخصين أو ثلاثة لعيسى فى تلك المعجزة تحد من غرابتها .

ومهما كان الأمر فإن ثلاثة من أصحاب الردود على النصارى وثلاثتهم من المعتــزلة [أبو هاشم الجبــائى والجاحظ والقــاضى عبد الجبار] شغلتهم هذه المسألة فردوا عليها بما فيه الكفاية[١١] . ومما قاله الجبائى فى ذلك أن كلام عيسى فى المهد يجوز أن يكون منقولا للنصارى وغـــيرهم من حيث لم يظهر عند الجمع العظيم كظهــور غيره[١٢] .

---

(٨) ص ٤٦

(٩) راجع صحيح البخارى ٣/١٧٩ ، المقدسى : البدء والتــاريخ ٣/١٣٤ — ١٣٦ والتوحيدى : الامتاع والمؤانسة ٢/٩٧

(١٠) تفسير الطبرى ١٢/١٩٣

(١١) انظر : المغنى ١٥/٢١٦ ورد الجاحظ ١٢ ، ١٣

(١٢) المغنى ١٥/٢١٦

وعن آيات عيسى وبيناته يقول القرآن : « إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم »[١٣] .

يروى أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذ بنو إسرائيل يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش »[١٤] فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض ولم يخلق غير الخفاش وقيل بل خلق أنواعا من الطير[١٥] . وقد ذكر عيسى أن ذلك بإذن الله أى أن التصوير منه أما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل .

وفى إبراء الأكمة والأبرص روى أنه عليه السلام ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام وما كانت مداواته إلا بالدعاء .

كما أحيا الموتى بإذن الله أحيا عاذرا وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله فنزل عن سريره حيا ورجع إلى أهله وبقى وولد له . وقوله بإذن الله لرفع توهم من اعتقد الألوهية .

وأما اخباره عن الغيوب فقد روى السدى أنه كان يلعب مع الصبيان ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم وكان يخبر الصبى بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبى إلى أهله يبكى إلى أن يأخذ ذلك

---

(١٣) آل عمران : ٤٩

(١٤) مما ذكروه فى خصوصية طلبهم خلق خفاش دون غيره أنه حيوان يطير من غير ريش له ثدى وأسنان وأذن ويحيض ويطهر ويلد ويضحك كما يضحك الانسان : تفسير القرطبى ٩٤/٤ .

(١٥) مفاتيح الغيب ٦٨٠/٢

الشيء ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع ذلك الساحر وحجبوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام لطلبهم فقالوا له ليسوا فى البيت فقال فمن فى هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فإذا هم خنازير .

والخلاف مع النصارى ليس فى إتيان عيسى بخوارق العادات بل فى تأويلها واستغلالها فى نطاق منظومة لاهوتية معينة تؤدى إلى تأليهه . كما أنهم لم يتحرجوا من رواية معجزات أخرى وردت فى الأناجيل أو نسجها الخيال الشعبى مثل المشى على الماء كما يمشى على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والاخلاص[16] . ومثل قلبه الماء الذى فى القدور لحما ومرقا وخبزا وإحياءه شاة بعد ذبحها وشيها وأكلها دون كسر عظامها بقذف العظام فى الجلد ثم ضربها بعصاة وقوله لها : قومى بإذن الله[17] .

وعن شريعته جاء القرآن فيها بقوله : « ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم[18] .

فمن جملة الأغراض فى بعثة عيسى عليه السلام الى بنى اسرائيل تقرير التوراة وإزالة شبهات المنكرين وتحريفات الجاهلين ثم للتخفيف عنهم بأن يحل لهم بعض الذى حرم عليهم بفعل بعض الأحبار الذين وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة ونسبوها إلى موسى فجاء عيسى عليه السلام ورفعها وأبطلها وأعاد الأمر إلى ما كان فى زمن موسى .

كما أن الله تعالى كان قد حرم بعض الأشياء على اليهود عقوبة

---

(١٦) انجيل متى ٢٢/١٤ — ٣٧ ، انجيل مرقس ٤٥/٦ — ٥٢ ، انجيل يوحنا ١٦/٦ — ٢١

(١٧) السابق .

(١٨) آل عمران : آية ٥٠ ، ٥١

لهم على بعض ما صدر عنهم من الخيانات قال تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم »[١٩] فجاء عيسى عليه السلام ورفع تلك التشديدات عنهم .

وكان يحيى هو أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه وهو الذى حكى عنه القرآن قوله « مصدقا بكلمة من الله » يعنى بالكلمة عيسى عليه السلام . وكان أكبر من عيسى بثلاث سنين وقيل بستة أشهر وكانا ابنى خالة .

وعن رسالته والدعوة إليها وكفر اليهود به واستجابة الحواريين له يقول الحق : « فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون »[٢٠] .

قال السدى : إن الله لما بعث عيسى رسولا إلى بنى اسرائيل جاءهم ودعاهم إلى دين الله فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان أمر عيسى عليه السلام فى قومه كأمر محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمكة مستضعفا وكان يختفى من بنى اسرائيل كما اختفى صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى منازل من آمن به لما أرادوا قتله .

ومما ينقله المفسرون مما أخذوه من أهل الكتاب أن عيسى لما فر من بنى اسرائيل أخذ يسبح فى الأرض فمر بجماعة من صيادى السمك

---

(١٩) النساء : ١٦٠

(٢٠) آل عمران آية ٥٢ ، وقد ذكر لفظ الحواريين فى القرآن خمس مرات فى آل عمران والمائدة والصف وذكر العلماء لهذا اللفظ وجوها : منها أنه اسم موضوع لخاصة الرجل وخالصته ومنه يقال للدقيق حوارى لأنه هو الخالص منه وقال صلى الله عليه وسلم للزبير : انه ابن عمتى وحواريى من أمتى والحواريات من النساء النقيات الألوان والجلود ، والحواريون صفوة الأنبياء الذين خلصوا واخلصوا فى التصديق بهم وفى نصرتهم وقيل الحوارى من الحور وهو شدة البياض والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها . قال سعيد بن جبير : سموا حواريين لبياض ثيابهم وقيل كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل سموا بذلك لأن قلوبهم كانت نقية .

كان فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا ابنا زبيدى وهم من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال عيسى عليه السلام الآن تصيد السمك فإن تبعتنى صرت بحيث تصيد الناس لحياة الأبد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فى الماء فما اصطاد شيئا فأمره عيسى بالقاء شبكته فى الماء مرة أخرى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق منه واستعانوا بأهل سفينة أخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام •

وكان الحواريون اثنتى عشر رجلا اتبعوا عيسى عليه السلام • وكانوا اذا جاءوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده إلى الأرض فيخرج لكل واحد رغيفان وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده إلى الأرض فيخرج الماء فيشربون • فقالوا من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء فسموا حواريين(٢١) •

وثم حديث آخر للقرآن عن عيسى مع الحواريين فى شأن المائدة فى قوله تعالى : « إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين • قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين • قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين(٢٢) •

وقيل إن ذلك لم يصدر من الحواريين وإما من جماعة كانوا مع الحواريين كما قال بعض جهال العرب للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل

---

(٢١) مفاتيح الغيب ٢/٦٨٦

(٢٢) المائدة • آية ١١٠ — ١١٥

لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط[٢٣] • وكما قال من قال من قوم موسى : « اجعل لنا إلها كما لهم الهة »[٢٤] •

ونشير أخيرا فى نطاق جمع المعلومات المتوفرة عن شخص عيسى عليه السلام فى المصادر الاسلامية إلى أمرين حظيا ببعض العناية • وهما صفته الخلقية وسنه وزمنه • فنعلم من عدد من الأحاديث ومن حديث الإسراء أن عيسى كان رجلا مربوع الخلق يضرب إلى الحمرة والبياض بين القصير والطويل • آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر أو سبطه كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس[٢٥] — كأن رأسه تنتطر ماء وما به ماء أشبه من يكون بعروة بن مسعود الثقفى[٢٦] •

واختلف فى سنه وفى تحديد زمن حياته فهو قد عاش اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر عند بعضهم وثلاثا وثلاثين سنة عند آخرين[٢٧] • بينما بلغ من العمر مائة وعشرين عاما فى رأى ثالث بناء على أن النبى مات فى الستين وقال فى العام الذى مات فيه ليس من نبى إلا عمر نصف عمر الذى كان قبله وإن عيسى أخى كان عمره عشرين ومائة سنة[٢٨] • ورأى آخر يفيد أنه بعث لأربعين ومكث فى قومه أربعين عاما[٢٩] • أى أنه بعث فى نفس السن — المعيار — الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم •

---

(٢٣) ذات أنواط شجرة كانت تعبد فى الجاهلية • قال ابن الأثير : كان المشركون ينوطون بها سلاحهم أى يعلقونه بها ويعكفون حولها •

(٢٤) الأعراف : ١٣٨

(٢٥) ديماس : الحمام •

(٢٦) صحيح البخارى ١٨٦/٤ ، ٢٢ ، ٢٠٣ وتفسير الطبرى ٥/١٥ ، ١٥/٦

(٢٧) طبقات ابن سعد ٥٣/١ ، تفسير الطبرى ٢٧٨/٣

(٢٨) تفسير الطبرى ٢٦٤/٣

(٢٩) طبقات ابن سعد ٣٠٨/١ ، تاريخ الطبرى ٢٩١/٢

والملاحظ أن هذا الآراء تتأرجح بين أخذ المعطيات المروية عن النصارى بعين الاعتبار وبين التنظير بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم تنظيرا يؤدى إلى نتائج لا صلة لها بالواقع التاريخى •

وكان هذا الاختلاف مرتبطا بتحديد « الفترة من الرسل » أى المدة التى تفصل عيسى عن محمد عليهما السلام وهى نحو ألف سنة فى أقصى التقديرات[٣٠] وأربعمائة سنة فى أدناها[٣١] مرورا بتقديرات أخرى [٦٠٠ — ٥٦٩ — ٥٦٠ — ٥٥١ — ٥٤٠ — ٥٠٠ وأربعمائة وبضع وثلاثون][٣٢] وقد يكون أحد أسباب الفروق بين هذه التقديرات عدم الاعتناء بذكر بداية هذه الفترة • هل هى ولادة عيسى أم بعثته أم رفعه وكذلك نهايتها أهى ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم أم بعثته أم هجرته أم وفاته •

ويتحدث القرآن أيضا عن القتل والصلب والرفع قال تعالى : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى »[٣٣] وقال : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » •

وقد اختلفوا فى التوفى والرفع وهل المقصود بالتوفى الموت أم تمام مدة بقائه على الأرض ؟ وهل فى الآية تقديم وتأخير أم لا ؟ كما اختلفوا فى المقصود من الرفع • هل هو رفع الجسد أم رفع المكانة كما فى قوله تعالى عن إدريس عليه السلام : « ورفعناه مكانا عليا »[٣٤] •

---

(٣٠) تثبيت دلائل النبوة ص ١٠٩

(٣١) المقدسى : البدء والتاريخ ١٢٦/٧

(٣٢) وردت هذه التقديرات على التوالى : صحيح البخارى ٩٠/٥ ، البدء والتاريخ ١٢٦/٣ ، طبقات ابن سعد ٥٣/١ ، تاريخ الطبرى ٢٣٥/٢ ، ٢٣٨ ، تفسير الطبرى ١٦٧/٦ ، البدء والتاريخ ١٣٦/٣ ، تفسير الطبرى ١٦٧/٦ •

(٣٣) آل عمران : ٥٥

(٣٤) مريم : ٥٧

أما القتل والصلب فلا خلاف حولهما ، وأن عيسى لم يقتل ولم يصلب كما صرحت بذلك الآيات ونصت وإنما ألقى شبهة على غيره •

وليس فيما ذكره القرآن الكريم عن حياة عيسى ومعجزاته وحوارييه كبير اختلاف عما ذكرته أناجيل النصارى وكتبهم ، وإنما يظهر الخلاف واضحا وجليا فى كلامه فى المهد وفى الصلب والقتل والرفع إلى جانب الخلاف الجوهرى وهل هو الكلمة أو بالكلمة كان •

وهذا ما سيتضح فى تناولنا المسيح عند النصارى •

المسيحية فى القرآن الكريم (*)

القرآن هو المصدر الأهم المواقف التى تبناها المسلمون من المسيحية والمسيحيين كما هو الشأن بالنسبة إلى قضايا الفكر الاسلامى عامة ، ولكن اعتبار النص القرآنى لا يعنى بالضرورة الاتفاق على تأويله فالمسلمون وإن اتفقوا على نص القرآن فقد اختلفوا فى تأويله ، ولذا لم يعدم التفسير أمثلة من الاختلاف تبلغ حد التناقض أحيانا وتدعى كلها رغم ذلك الوفاء للقرآن •

ثم إن طبيعة ترتيب الآيات القرآنية وطريقة العرض الفنى للموضوعات تبعد به عن مناهج الأنظمة الكلامية والفلسفية فى الاستدلال والاستنباط وبناء النتائج على المقدمات وما إلى ذلك من الطرق المعهودة فى الاقناع والاستدلال • فلا غرابة أن يستوجب تناول النص القرآنى قدرا كبيرا من الحذر لكل من يرغب فى استكشاف أسراره وأبعاده متجنبا قدر الامكان إسقاط الآراء المسبقة عليه وعزل بعض آياته عن السياق الذى وردت فيه وعن مجمل النص •

ومما يسترعى الانتباه أن الآيات المتعلقة بالمسيحية مباشرة لا تتجاوز مائتى وعشرين آية من مجمل آياته البالغة اثنتين وثلاثين وستة آلاف ومائتى آية (٦٢٣٢) أى لا تمثل تلك الآيات المتعلقة بالمسيحية سوى ثلاثة ونصف فى المائة من النص القرآنى خلاف ما كان يتوهم العديد من كتاب المسيحية الذين ليست لهم معرفة مباشرة بالقرآن من أن غرضه هو مهاجمة العقائد المسيحية وتضليل النصارى[1] •

(*) لم يرد ذكر المسيحية فى القرآن والذى ورد هو « النصرانية » واستعملنا الأولى لكثرة تداولها وعدم ورود ما يمنع من استعمالها فى القرآن الكريم •

(1) The Khoury, Les thelogiens byzantins et l'Islam.

وبالاضافة إلى هذه النسبة الضئيلة يلاحظ أن هذه الآيات وردت فى ثنايا ثمان وعشرين سورة مختلفة لا تحتوى السورة أحيانا على أكثر من آية أو آيتين[٢] .

أما اذا حاولنا تتبع هذه الآيات باعتبار الترتيب التاريخى للسور فإنه يتبين أن القرآن فى الفترة المكية الأولى ـ المرحلة السرية التى تشمل السنوات الثلاث الأولى من البعثة من ٦١٢ ـ ٦١٥ ـ لم يتناول الأغراض المسيحية ولم يذكرهم إلا على سبيل الإشارة فى آخر سورة الفاتحة ينعتهم بـ « الضالين » وفى سورة البروج إن أعتبر أصحاب الأخدود المذكورين فيها نصارى نجران الذين قتلوا سنة ٥٢٣م .

وفى الفترة المكية الثانية جاء حديث القرآن عن المسيحية على ثلاث مستويات .

تعرض فى المستوى الأول : إلى أشخاص زكريا ويحيى ومريم وعيسى بصورة لا تختلف فى جوهرها عما يؤمن به النصارى وعما ورد فى الأناجيل . حيث يقص القرآن نبأ تبشير الله زكريا ـ وقد بلغ من الكبر عتيا وكانت امرأته عاقرا ـ بيحيى (يوحنا المعمدان) وولادة مريم التى أحصنت فرجها لعيسى بنفخ من روح الله ودون أن يمسها بشر ليكون آية للناس ورحمة وما حف هذه الولادة من ظروف خارقة للعادة[٣] .

ويعرض فى المستوى الثانى : لضحد عقيدة بنوة المسيح لله

---

(٢) انظر : الفاتحة ٧ ، الانعام ٨٥ ، الأعراف ١٥٧ ، يونس ٩٤ ، النحل ١٠٢ ، ١٠٣ ، الحج ١٧ ، العنكبوت ٤٦ ، ٤٧ ، الأحزاب ١٧ ، الشورى ١٣ ، ١٤ ، الفتح ٢٩ ، المجادلة ٢٧ ، الصف ٦ ، ١٤ ، التحريم ١٢ .

(٣) سورة مريم ١ ـ ٣٣ ، المؤمنون ٥٠ ، الأنبياء ٨٩ ـ ٩١ .

والتأكيد على أنه عبد ونبى جاء بالحكمة والبينات ودعا الى التوحيد وأنه علم للساعة[٤] .

وجاء المستوى الثالث : يتحدث عن صنفين من النصارى : أصحاب الكهف الذين ضربوا مثلا لامكانية البعث من ناحية ، والأحزاب الذين اختلفوا فى شأن المسيح « وقالوا اتخذ الله ولدا » دون أن يكون لهم به علم من ناحية ثانية[٥] .

وأبرز القرآن فى هذه المرحلة التعاطف مع الروم ضد الفرس[٦] ، وأشاد بالذين آمنوا بالاسلام من النصارى ومن اليهود[٧] ، ودعا إلى مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن مذكرا بأن دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل[٨] . شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه[٩] .

وأبرزت آيتان من هذه الفترة دور أهل الكتاب وصلتهم بالقرآن فهم حجة على ما أنزل إلى النبى من عند الله : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين[١٠] .

ولكنهم ليسوا المصدر الذى يستقى منه النبى معلوماته كما يتهمه

---

(٤) مريم ٣٤ — ٣٦ ، الزخرف ٥٩ — ٦١ ، الكهف ٤ .
(٥) مريم ٣٧ ، الزخرف ٨١ ، الكهف ٤ ، ٥ .
(٦) الروم ١ — ٤ .
(٧) القصص ٥٢ ، ٥٥ ، العنكبوت ٤٧ .
(٨) العنكبوت ٤٦ وللشيخ محمود ابو رية كتاب بعنوان دين الله واحد على السنة جميع الرسل .
(٩) الشورى ١٣ .
(١٠) يونس ٩٤ .

بذلك كفار قريش : « ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين»[١١] •

أما الفترة المدنية ٦٢٢ — ٦٣٢ م ، فقد وردت فيها جل الآيات المتعلقة بالمسيحية وشملت عددا أوفى من الأغراض كان بعضها قد أثير فى السور المكية وبعضها الآخر يتعرض له ابتداء •

ولئن كان عدد من المستشرقين يرون أن موقف القــرآن من النصارى واليهود قد مر بثلاث مراحل :

مرحلة أولى : كان محمد يتودد فيها إليهم ويعتبر أنه يتفق معهم فى الانتساب إلى نفس الديانة •

ومرحلة ثانية : ترتبت على انكارهم لدعوته فكان النزاع الذى أدى إلى مرحلة القطيعة • فلا شىء فى القرآن يقطع بالتراجع فى مبــدأ من مبادىء الاسلام وإنما وجد تطور طبيعى فى الدعوة أدى إلى توضيح ما جاء مجملا فى الفترة المكية • كما أن سلوك أهل الكتاب أنفســهم قد حدد نوعية ردود الفعل إزاءهم بحيث يتعين الفصل بين موقــف القرآن من النصارى كمجموعة اجتماعية عوملت حسب مقتضــيات الظرف الذى عاشه المسلمون زمن الدعوة من ناحية ، وبين موقفــه الثابت من العقائد المسيحية السائدة من ناحية ثانية وهو موقف لا يتسنى فهمه إلا على ضوء جوهر العقيدة الاسلامية ذاتها •

فقد أكدت العديد من الآيات على الوحدانية المطلقة وحددت آيات أخرى حقيقة عيسى وأمه فما هو « إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام »[١٢] أوتى الكتاب والحكم والنبوة[١٣]

---

(١١) النحــل ١٠٣ •

(١٢) المائدة ٧٥ •

(١٣) آل عمران ٤٨ ، ٧٩ •

والبينات وأيد بروح القدس[١٤] وأوحى إليه بالانجيل (الحديد ٢٧) وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (النساء ١٧١ ، التحريم ١٢) ولد من غير أب (آل عمران ٤٧ ، التحريم ١٢٣) ورفعه الله إليه (النساء ١٥٨) لن يستنكف أن يكون عبدا لله (النساء ١٧٢) مثله كمثل آدم خلقه من تراب ، دعا الناس إلى عبادة ربه وربهم (آل عمران ٥١) وبشر برسول من بعده اسمه أحمد (الصف ٦) نفى أن يكون اليهود قتلوا عيسى أو صلبوه (النساء ١٥٧) وآيات تذكر موت عيسى : والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (مريم ٣٣) وقوله يا عيسى إنى متوفيك (آل عمران ٣٥) وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (المائدة ١١٧) •

ويصنف القرآن النصارى صنفين متميزين يتمثل الأولى منهما فيمن يمكن نعتهم بالنصـــارى المسلمين وهم فى الدرجـــة الأولى : الحواريون ثم الأمة المقتصدة[١٥] والذين لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين[١٦] • وذلك أن منهم قسيسين ورهبانا وأن فى قلوب الذين اتبعوا عيسى رأفة ورحمة[١٧] تجعلهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا وتدفعهم إلى تصديق النبى الموعـــود فى الانجيـــل •

بينما يتمثل الصنف الثانى فى الكثرة الساحقة منهم وللقرآن عليهم مآخذ عديدة هى السبب فى نعتهم بالضلال والكفر وفى الشرك وفى دعوة المسلمين إلى عدم موالاتهم (المائدة ٥١) فتشبثهم بعقيدة التثليث وبنوة المسيح الالهية وألوهيته هى بلا شك الدافع الرئيسى الى ابتعادهم عن الاســـلام •

---

(١٤) البقرة ٨٧ ، ٢٥٣ .
(١٥) المائدة ٦٦ .
(١٦) المائدة ٨٢ ، ٨٣ .
(١٧) الحديد ٢٧ .

إن الغلو فى الدين (النساء ١٧١ ، والمائدة ٧٧) واتخاذ بعضهم بعضا (آل عمران ٦٤) أو الملائكة والنبيين (آل عمران ٨٠) والأحبار والرهبان (التوبة ٣١) أربابا من دون الله واتباع الهوى (البقرة ١٢٠ ، المائدة ٧٧) وكتمان الشهادة التى عندهم من الله (البقرة ١٤٠) أو ما يعبر عنه القرآن فى صيغة أخرى بكتمان الحق (آل عمران ٧١) وما أنزل الله من الكتاب (البقرة ١٧٤) وإخفائه (المائدة ١٥) والاختلاف فيه (البقرة ٢٥٣) ونسيان حظ مما ذكروا به (المائدة ١٤) والكفر بآيات الله ولبس الحق بالباطل (آل عمران ٧٠ ، ٧١) والى ألسنتهم بالكتاب والكذب على الله (آل عمران ٧٨) واتخاذ الدين الاسلامى هزوا ولعبا (المائدة ٥٧) وعدم اقامة التوراة والانجيل (المائدة ٦٨) كل ذلك أداهم إلى الانحراف عن السبيل القويم الذى دعاهم إليه عيسى وجاء محمد مذكرا به ومدعما له[١٨] . فدعاهم إلى التخلص من ربقة التقليد ومن سلطة الكهنوت غير الجدير بالثقة الموضوعة فيه (التوبة ٣٠ — ٣٥) وأكد على التماثل المتين بين رسالتى عيسى ومحمد وحذرهم من أن « من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (آل عمران ٨٥) .

وأخيرا إحتوت السور المدنية على الأمر بقتال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (التوبة ٢٩) فكانت هذه الآية مستند الذين يحبذون استعمال القول لحل مشكلة تواجد النصارى خاصة فى البلاد الاسلامية . كما احتوت نفس هذه السور على ثلاث آيات شبيهة ببعضها كانت بالعكس مستند الذين يميلون إلى حلول الحوار والتعايش السلمى .

---

(١٨) لا شك أن الكثير من المآخذ كانت موجهة الى اليهود فى المقام الأول ولكن استعمال القرآن لعبارة أهل الكتاب عوض بنى اسرائيل أو اليهود يدل على أن النصارى كانوا كذلك مقصودين .

الآية الأولى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١٩] .

والآية الثانية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد »[٢٠] .

والآية الثالثة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[٢١] .

ذلك هو حديث القرآن عن المسيحية وتلك هى المادة الأولى التى انبنت عليها كل المواقف الاسلامية إزاء المسيحية وهى تدل على مدى القرابة الموجودة بين الاسلام وبين الديانات الكتابية السابقة له وعلى عمق الفروق الحادة بينهما فى آن واحد مما يفسر الى حد بعيد الازدواجية فى العلاقات بين المسلمين والنصارى حيث كانت هذه العلاقة تتأرجح باستمرار بين الحوار والدعوة بالحسنى والشعور بالانتساب الى الاسرة الابراهيمية الواحدة وبين الاحتقار والعنف بمختلف أنواعه والرفض القاطع للآخر .

---

(١٩) البقرة ٦٢ .
(٢٠) الحج ١٧ .
(٢١) المائدة ٦٩ .

عيسى عنـــد النصـــارى(*)

أثبت البحث التاريخى الحديث بما لا يدع مجالا للشك أن سيرة عيسى عليه السلام لم تكتب فى عهده وأن الأناجيل ما هى إلا شهادات أناس مؤمنين عبروا فيها عن اعتقاداتهم فى أحداث سابقة عرفوها عن

(*) يلقب عيسى بالمسيح ومعناه الصديق وهو فيما يقال معرب وأصله الشين وهو مشترك وقال ابن فارس والمسيح العزق والمسـيح الصديق والمسيح الدرهم الأطلس (الطلس) أى الدرهم الأملس لا نقش فيه .

والمسيح الجماع يقال مسحها اذا جامعها والأمسح المكان الأملس والمسحاء المراة الرسحاء التى لا است لها ، والمسائح قسى جياد واحدتها مسيحة . قال :

لهـــا مســـائح زور فى مراكضـــها
لين وليس بهـــا وهـــن ولا رفـــق

واختلف فى المســيح ابن مريم مم اخذ فقيل لانه مسح الأرض اى ذهب فيها فلم يستكن بكن وروى عن ابن عباس أنه كان لا يمسح ذا عاهة الا برىء فكأنه سمى مسيحا لذلك فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل وقيل لانه ممسوح بدهن البركة كانت الأنبياء تمسح به طيب الرائحة فاذا مسح به علم انه نبى وقيل لانه كان ممسوح الاخمصين وقيل لان الجمال مسحه اى أصابه وظهر عليه وقيل سمى به بذلك لانه مسح بالطهر من الذنوب . وقال أبو الهيثم المسيح ضد المسيخ يقال مسحه أى خلقه خلقا حسنا مباركا ومسخه أى خلقه خلقا ملتويا قبيحا ، وقال ابن الأعرابى المسيح الصديق والمسيخ الأعور وبه سمى الدجال .

وقيل المسيح أصله بالعبرانية مشيحا بالشين فعرب كما عرب موشى بموسى . وأما الدجال فسمى مسيخا لانه ممسوخ احدى العينين وقد قيل فى الدجال مسيخ بكسر الميم وشد السين وقيل بفتح الميم وبالخــاء والتخفيف . والأول اشهر وعلى الأكثر سمى به لانه يسيح فى الارض اى يطوفها ويدخل جميع بلدانها الا مكة والمدينة وبيت المقدس فهو فعيل بمعنى فاعل فالدجال يمسح الأرض محنة وابن مريم يمسحها منحة وعلى أنه ممسوح العين فعيل بمعنى مفعول قال الشاعر : ان المسيح يقتل المســيخا .

عيسى ولذلك فإن استغلال الوثائق المتعلقة بحياة عيسى لا يخلو من الصعوبة ويفرض على الباحث قدرا هاما من التواضع واعتبار نسبة من نتائج بحثه مجرد نظريات قد تكون مبنية على أساس متين ولكنها لا تدعى لنفسها صحة الأحداث التاريخية الموضوعة ٠

فالحديث عن عيسى — فى غير ما تناوله القرآن الكريم — حديث تعوزه الدقة والوثاقة التاريخية وإن كان فى مجمله يعطى صورة عامة ٠ فالغموض يكتنف أصل عيسى ومكان ولادته وظروفها ، وليس من شأن الصبغة الشعرية التى تتميز بها أخبار الولادة فى انجيل متى ولوقا[١] — على الخصوص — رفع هذا الغموض ٠

ولعل الثابت فى هذا المجال أن عيسى ولد فى وسط يهودى فلسطينى متواضع حوالى سنة ٤ ق٠ م أما ما دون ذلك فلا يمكن تأكيده لعدم وجود المصادر الموثوقة مثل كيف أمضى سنى الطفولة والشباب والكهولة ؟ وكيف كان سلوكه ونظام حياته قبل دخول الحياة العامة من بابها الواسع ؟ هل تلقى تكوينا دينيا ؟ وهل انتسب إلى بعض الفرق الدينية الموجودة أنذاك ؟ وخاصة فرقة الاسينيين[٢] ٠

=

و حديث مسلم فينبأ هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين (المهرود الذى يصبغ بالورس ثم بالزعفران) ... فيطلبه حتى يدركه بباب لد (قرية فى فلسطين قريبة من بيت المقدس) فيقتله (الحديث بطوله مسلم ٣٧٦/٢ طبعة بولاق) ٠

وقد قيل المسيح اسم لعيسى غير مشتق سماه الله به وعيسى اسم أعجمى فلذلك لم ينصرف وان جعلته عربيا لم ينصرف فى معرفة ولا نكرة لأن فيه الف تأنيث ٠ ويكون مشتقا من عاسه يعوسه اذا ساسه وقام عليه ٠ انظر تفسير القرطبى ٩٠/٤ ٠

(١) انظر الفصلين الأول والثانى من كلا هذين الانجيلين ٠

(٢) ميخائيل نعيمة مثلا يرجح انتساب عيسى ويوحنا الى هذه الفرقة فى كتابه من وحى المسيح ٢٩ ، ٣١ ٠

وتذكر الرويات أنه قضى طفولته وشبابه فى الناصرة القرية الجليلية البسيطة حيث لا يستبعد اشتغاله بالتجارة إلى حدود الثلاثين ، ومن المرجح أنه عرف هناك الفريسيين ، إلا أنه بمغادرته قريته وأسرته وبيئته الأولى للالتحاق بيوحنا المعمدان فى الصحراء قطع صلاته بالأوساط اليهودية التقليدية وانفصل عن مختلف فرقها . وهنا كانت بعض الأحداث ذات الدلالة العميقة على سير حياته . فقد التحق بالجماعة التى كانت تنشد من يوحنا تعميدها ، وعله أقام بعض الوقت ضمن مريدى المعمدان حتى بدا كأحد تلاميذه وصدر عنه تنويه باستاذه[٣] . ورغم أنه انفصل فيما بعد عن تلاميذ يوحنا إلا أنه يظهر أنه اعتبر رسالته الشخصية امتدادا وتوسعا لرسالة ناسك الصحراء التى انتهت بايقافه وقتله[٤] ، لا سيما بتبشيره بقرب حلول يوم الحساب وبضرورة التوبة ، وعدم حرمان أى تائب من الخلاص فى هذه الساعة المشهودة وليس من المستبعد أن يكون عيسى قد دعا إلى التوبة الكفيلة وحدها بإدخال الانسان إلى ملكوت الله .

وقد أحدث ايقاف يوحنا نحو سنة ٢٨ م تغييرا فى مجرى حياة عيسى إذ كف عن التعميد وشرع فى التأكيد على حلول ملكوت الله الذى انتقل من حقيقة منتظرة إلى واقع يقلب نظام الأمور العادى . وعوض حث الناس على الخروج إلى الصحراء قصد التوبة فإنه كان يأتيهم إلى بيوتهم بالبشارة المحررة التى توفر للجميع الرحمة الإلهية العاجلة وإمكانية العيش فى سلام مع الله وذلك بحصر مقتضيات الشريعة فى حب الله وحب الآخرين .

---

(٣) انظر متى ١١/٧ ١٥ ولوقا ٢٤/٧ — ٢٨ .

(٤) يروى ابن كثير سبب قتل يحيى بأن احد ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج احدى محارمه أو من لا يحل له تزوجها فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقى فى نفسه منه فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعث اليه من قتله وجاء برأسه وقدمه فى طست : انظر البداية والنهاية ٥٣/٣ ، ٥٤ .

وصاحب هذا قيامه بابراء المرضى الذى كان له وقع عميق فى نفوس أولئك الناس البسطاء الذين كان المرض بالنسبة إليهم لعنة لا أمل فى التخلص منها • ومن العسير أن نتبين بصفة يقينية كيف كانت تسير الأمور عندما يتقدم المرضى إلى عيسى ، ومن الثابت أنه كان يملك قدرة خارقة على المداواة وأنه كان يفعل ذلك بدون مقابل مما دعم لدى مستمعيه صحة رسالته وخاصة تأكيداته على حلول ملكوت الله حتى إن بعضهم استنتج أنه المسيح المنتظر ، لا سيما وأنه وضع نفسه ضمن زمرة أنبياء إسرائيل وأعلن عن قرب تحقيق أمل شعبه •

وقد سعى عيسى إلى تجميع اسرائيل فى أطر جديدة وهذا ما يعنيه خطابه لبطرس فى انجيل متى[٥] • وتشير الدلائل إلى أنه لم يتخذ أسلوب المقاومة وإنما احتفظ الى آخر عهده بعلاقات وثيقة مع بعض الأوساط المسئولة فقد قبل أن يدعى الى موائدهم وأن يتحدث اليهم ويقدم لهم آراءه فى ذلك الشكل المغرى والموحى فى نفس الوقت وهو « الأمثال » فكانت تلك الحكايات أصل الأحاديث المتداولة عند أصحابه ومعارفه ولكن استعمالها اللاحق كشواهد على التعاليم المسيحية كثيرا ما حاد بها عن غرضها الأصلى وحملها معنى جديدا لم يكن متوفرا لها كحكايات مؤدية الى سلوك أخلاقى محتشم •

وكان عيسى مستقل الفكر تجاه العظماء من أغنياء ووجهاء وأحبار وقد حاول فك القيود العائلية التى كانت تكبله وتكبل أتباعه[٦] • كما حاول مقاومة الضغط الاجتماعى الذى تمارسه السلطة الدينية من فريسيين وكتبة وصدوقيين • كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم مؤهلين دون

---

(٥) وانا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبنى كنيستى وابواب الجحيم لن تقوى عليها • متى ١٦/١٨ •

(٦) انجيل متى ١٢/٤٦ — ٥٠ ، مرقس ٣/٣١ — ٣٣ ، لوقا ١٤/١٦ — ٢٨ •

غيرهم لتفسير الشريعة وكان هو لا يعترف لهم بهذه السلطة فأنكر وظيفتهم الاجتماعية ولم يتحرج فى مقابل ذلك من معاشرة الأصناف الهامشية والمنبوذة فى المجتمع اليهودى من عشارين وبغايا وأناس بسطاء محتقرين لجهلهم بالشريعة[٧] •

لكن حادثا برز فى دعوته قد يظهره لنا ملتجئا الى نوع من العنف المادى لاصلاح المؤسسة اليهودية المركزية ، ذلك هو طرد تجار الهيكل ، وهو حادث تبدو صفته التاريخية مؤكدة فى جملته[٨] •

فبطرده العنيف الصيارفة الذين يوفرون للحجيج النقود الخالية من الصور البشرية حتى يتمكنوا من أداء الضريبة الهيكل وكذلك للتجار الذين يعرضون على المؤمنين الحيوانات الصالحة للقربان إنما يهاجم أقوى وسط فى الشعب اليهودى وسط المنصرفين فى الهيكل وفى ثرواته وطقوسه وبالتالى يهاجم الحبر الأعظم ذاته بنفس الطريقة التى كان يسلكها الغيورون •

وقد تم ذلك عن إرادة واضحة عنده فى مقاومة أعلى السلطات اليهودية مما أسهم فى التعجيل بنهايته • إذ وفر هذا الحادث التعلة التى مكنت من ايقاف عيسى ومحاكمته •

وكانت وصايا عيسى — بقطع النظر عن مسألة صحة نسبتها إليه — تنم أحيانا عن رغبة فى التخفيف من شدة الواجبات الشرعية التى عند اليهود ، وتبدو أحيانا أخرى على نقيض ذلك أكثر تشددا بالنسبة لما كانت عليه الممارسات اليومية على الأقل وكان هدفها ينحصر باستمرار فى بيان أقوم السبل للوصول الى ملكوت الله ، فعيسى لم يدع الاتيان بشريعة جديدة •

---

(٨) انجيل مرقس ١١/١٥ — ١٨ •

(٧) انجيل لوقا ٧/٣٦ ويوحنا الفصل التاسع •

على أن عيسى قد بذل جهدا خاصا فى توفير تعليم أعمق لعدد من الأشخاص فيما يخص شخصه ورسالته والطريقة التى ينبغى بمقتضاها تصور الطاعة الجديدة فى ملكوت الله • فانتدب تلامذة اعتنى بتعليمهم وطالبهم بتضحيات جسيمة ، بأن فرض عليهم حياة جماعية وغير مستقرة تجبرهم على قطع كل صلة بوسطهم ، ولكن هؤلاء التلاميذ الذين كان الاثنا عشر يمثلون نواتهم لم ينتدبوا إلا لمواصلة نشاطه ونشر انجيل حلول ملكوت الله على أوسع نطاق •

وبعضهم مثل شمعون وبطرس ويوحا ويعقوب وأحيانا اندرياس كانوا مجرد أعضاء مهمتهم الأولى اصطياد الناس ، وايقاع أكثر عدد ممكن منهم فى شباك دعوتهم •

ومن الراجح أن رأيهم فى عيسى لم يعد — كما عبر أحدهم — أنه « كان رجلا نبيا ذا قوة فى العمل والقول أمام الله والشعب كله ••• ونحن كنا نرجو أنه هو هو المزمع أن يفدى اسرائيل »[٩] ولئن كانوا يخاطبونه بعبارة « ربى » الدالة على الاحترام والمرادفة لقولنا اليوم « سيدى » فلم يكن يعنى ذلك إلا أنه صاحب كرامات أو نبى •

لكن سرعان ما وضع حد لعيسى ودعوته فقد أوقعت السلطات اليهودية نبى الناصرة فى أعقاب فترة دامت حوالى سنتين وأسلمته إلى الرومانيين باعتباره مشوشا للامن العام فنسبت اليه تهمة ادعاء الملك على اليهود فقدم للقتل والصلب — على حد تعبير الأناجيل — بطريقة كانت مرادفة الأكبر لعبة فى تلك البيئة •

وهكذا تبدو محاكمة عيسى وموته حادثتين عاديتين جدا • لقد كان مصيره مصير الكثيرين ممن اصطدموا بالمصالح المشتركة وبالنظام السياسى القائم فلا يمكن للسلطة الدينية إلا أن ترى فى عيسى نبيا

---

(٩) انجيل لوقا ١٩/١٤ — ٢١ •

كاذبا فى اعلانه عن حلول ملكوت الله ، ودون الاهتمام بآراء علماء الدين والكهنة ، أما السلطة السياسية فكان من الطبيعى ألا تغامر بمصالحها العليا فى استتباب الأمن فى فلسطين فى سبيل انقاذ حياة برىء .

ويبدو أن عيسى كان شاعرا بالخطر الذى يتهدده فبذل كل جهوده ليمنع جر اتباعه الى الموت معه ، وفعلا هرب التلاميذ بعد مقاومة رمزية ونجوا من التتبعات بالاختفاء فى أماكن مختلفة .

وترك عيسى تلاميذه ولم يترك لا نصا مدونا ولا مجموعة منظمة ولا حتى رسالة يمكن نقلها وروايتها . إلا أنه استطاع أن ينتزع التلاميذ المتفرقين والمثبطة عزائمهم من مخابئهم بظهوره المتتالى بعد بضعة أيام من دفنه — كما تروى الأناجيل — .

كان عيسى يقدم نفسه اليهم ويحثهم على مواصلة المشروع المنقطع مؤكدا لهم أنه نجا من الموت وأنه يتمتع الآن بمرتبة وقدرة إلهيتين تتجاوزان طاقته البشرية الأرضية تجاوزا مطلقا[١٠] .

تلك هى أهم الملامح عن حياة عيسى — من غير القرآن الكريم — هى إذ أرضت المسيحيين فليس من شأنها أن ترضى المسلمين الذين يلتزمون فى شأنه بما تحدث به القرآن الكريم .

---

(١٠) انظر مثلا رؤيا يوحنا (١/١٧ ، ١٨) حيث يبدو عيسى القاهر للموت والمتخلص من القوانين الطبيعية والاجتماعية وتضفى عله صفات الله : « فلما رأيته سقطت عند قدميه كالميت فوضع يده اليمنى على قائلا : لا تخف أنا الاول والآخر والحى وقد كنت ميتا وها أنا حى الى دهر الدهور والى مفاتيح الموت والجحيم » .

الكلمـــــة

فى القــرآن الــكريم

ورد لفظ « كلمة » ثلاث مرات فى القرآن الكريم فى شأن[١] عيسى عليه السلام • مرتان فى آل عمران فى قوله تعالى : « إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله »[٢] وقوله تعـــالى : « إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم[٣] ومرة فى النســاء فى قوله تعـــالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[٤] •

وقد حاول بعض النصارى أن يفهم من هذه الآيات أن القرآن قد وافق عقيدتهم فى أن عيسى كلمة الله ، أو أن الكلمة حلت فيه وتدرعت به وأنه بذلك إله ورأوا أن حديث القرآن بشـــأن عيسى والكلمة قريب أو شبيه بما جاء فى انجيل يوحنا « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله والكلمة صار جسدا وحــل بيننا »[٥] •

لكل التأمل والفهم الصحيح القرآن الكريم يبين أن عقيدته تقوم على نفى أو استحالة أى علاقة (انطولوجية) بين الله والانســان وعلى نفى أو استحالة أن يكون أحد إلهــا وإنسانا فى نفس الوقت ويعتبر ذلك عين الشرك أى الكبيرة التى لا تغتفر وذنب فى حق الله لا مجال للتسامح فيه • وآيات القرآن جد صريحة فى نفى هــذه

---

(١) أما لفظ كلمة ومشتقاتها فورد أكثر من ثلاثين مرة فى القرآن الكريم •

(٢) آية ٣٩ •

(٣) آية ٤٥ •

(٤) آية ١٧١ •

(٥) يوحنا اصحاح ١ فقرات ١ — ٤ •

العلاقة « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم »[٦] ، « وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوفكون • اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم »[٧] و « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل »[٨] •

ويظهر الفرق جليا بين عقيدة القرآن وعقيدة الأناجيل فى هــذه المسألة فى الفرق بين قوله تعالى : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهكفوا أحد »[٩] وبين عبارة الأناجيل : « باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد »[١٠] فمن هذين المفهومين للتوحيد الالهى يتضح الفرق بين عقيدة المسلمين وعقيدة النصــارى فى مفهوم التوحيد والكلمة ، وحول هذين المفهومين أثيرت المجادلات العنيفة بين المسلمين والمسيحيين بل باسم هذا المفهوم أو ذاك قامت حروب وأزهقت نفوس رغم إقرار الطرفين بأن الله واحد لكن مــع اختلاف فى المفهوم بين مفهوم الوحدة والتوحد •

ويوجد من بين فرق النصارى من يدينون بالتوحيد الخــالص أظهرها فرقة « الأريوسية » التى كانت وفية للتوحيد اليهودى وكانت تؤمن بأن عيسى المسيح نبيا وتنكر أن يكون الها أو ابن إله[١١] •

وقد رد على زعم بعض النصارى أن القرآن وافق عقيدتهم فى شأن المسيح « الكلمة » بأن القرآن وصف عيسى بأنه كلمة الله ألقاها

---

(٦) المائدة : ٧٢ •
(٧) التوبة ٣٠ ، ٣١ •
(٨) الزخرف ٥٩ •
(٩) سورة الصمد •
(١٠) انجيل متى ١٩/٢٨ •
(١١) عن الفرق الموحدة فى المسيحية انظر : الناشىء الاكبر : الكتاب الأوسط فى المقالات ص ٥٢ والقاضى عبد الجبار فى المغنى ٨٥/٥ والباقلانى فى التمهيد ١٦٥ وكذلك تفسير الطبرى ٨٣/١٦ •

إلى مريم « وكلمته ألقاها إلى مريم » ولم يقتصر على ذكر أنه كلمته فقط وإنما أردفها بقوله « ألقاها إلى مريم » فعيسى ليس كلمة الله ولكنه بكلمة الله التى ألقاها إلى مريم كان وخلق ، والكلمة أو كلمة الله التى خلق بها عيسى هى كلمة « كن » كما جاء فى قوله تعـالى : « إنما مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » والقرآن يفسر بعضه بعضا .

وللجاحظ كلام جميل ورد منهجى مقنع على شبهة بعض النصارى فى هذه الآية عندما يذكر : فإن قالوا : أليس المسيح روح الله وكلمته كما قال عز ذكره « وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » أو ليس قد أخبر عن نفسه حين ذكر أمه أنه نفخ فيها من روحه ؟ . فأى شىء بقى من الدلالات على مخالفته جميع الخلق ومباينته جميع البشر ؟ قلت لهم : إنكم سألتمونا عن كتابنا وما يجوز فى لغتنا وكلامنا ولم تسألونا عما يجوز فى لغتكم وكلامكم ولو أننا جوزنا فى لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله ما لا نعرف كنا بذلك عند الله والسامعين فى حد المكابرين وأسوأ حالا من المتنطعين ، وكنا قد أعطيناكم أكثر مما سألتم وجزنا بكم فوق أمنيتكم ، ولو كنا إذا قلنا عيسى روح الله وكلمته وجب علينا فى لغتنا أن يجعله الله ولدا ونجعله مع الله تعالى إلها وتقول إن روحا كانت فى الله فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم لكنا إذا قلنا : ان الله سمى جبريل روح الله وروح القدس وجب علينـا أن نقول فيه ما يقولون فى عيسى وقد علمتم أن ذلك ليس من ديننا ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا فكيف نظهر للناس قولا لا نقوله ودينا لا نرتضيه ؟

ولو كان قوله جل ذكره فنفخنا فيه من روحنا يوجب نفخا كنفخ الزق أو كنفخ الصانع فى المنفاخ وأن بعض الروح التى كانت فيه انفصلت إلى بطنه وبطن أمه لكان قوله فى آدم يوجب له ذلك »[٢]

---

(٢) رد الجاحظ ٣٦ ، ٣٧ .

ويقصد بذلك قوله فى قصة آدم : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »(١٣) ولم يوجب ذلك أن يكون رحا لله فى الحقيقة أو ابنا له فكذلك القول فى عيسى .

فالجاحظ هنا يرى أن تعريف القرآن لعيسى بأنه روح الله وكلمته لا يوجب فى اللغة العربية الاقرار بأن عيسى هو الله أو ابن الله لا سيما وأن نفس الآية ١٧١ من سورة النساء تنفى أن يكون له ولد ، والآية التالية تؤكد أن المسيح لن يستنكف أن يكون عبدا لله . وهذا لا يعنى أنه يجوز ألوهية عيسى فى غير العربية وإنما أراد فقط قطع الطريق أمام من يستشهد بالقرآن على هذه العقيدة .

ولأبى على الجبائى تأويل آخر لنعت القرآن عيسى بأنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم يذهب فيه إلى أن الغرض بوصفه عيسى بأنه كلمة الله أن الناس يهتدون به كاهتدائهم بالكلمة ، ومعنى قولنا : إنه روح الله أن الناس يحيون به فى دينهم كما يحيون بأرواحهم الكائنة فى أجسادهم وذلك توسع وتشبيه له بالكلمة التى هى الدلالة ، والروح الذى يحتاج الحى منا إليه . وهذا كما يسمى الكلام الذى يهتدى به نورا وشفاء من حيث يعرف به الحق كما يعرف الطريق بالنور ، ومن حيث تقع به النجاة فى الدين كما يقع بالدواء الشفاء ، ولا يجب إذا تجوز بكلمة فى غير موضعها أن يتجوز بأخرى من غير دلالة فلذلك لم نقل فى عيسى أنه ابن الله قياسا على قولنا إنه روح الله وكلمته .

وكذلك قيل فى جبريل إنه الروح ولم يقل فيه إنه الابن ، ولا فصل بين من طلب منا إطلاق لفظ الابن عليه من حيث وصفناه بأنه روح وبين مطالبتنا بأنه يسمى أبا أو أخا لله قياسا على ذلك لأن معانى الجميع فى الحقيقة لا تصح فى الله ، ولا الوجوه التى يقال فيها على جهة المجاز إن الانسان ابن لغيره تصح فى الله تعالى »(١٤) .

---

(١٣) الحجر ٢٩ .

(١٤) المغنى ١١١/٥ — ١١٢ .

وقد جارى الجبائى فى هذا التأويل والرد تلميذه عبد الجبار وأضاف تحديدا للكلام بأنه الحروف المنظومة بحيث لا يمكن أن يكون عيسى — وهو جسم — كلاما إلا من باب المجاز ، والمجاز القرآنى لا قياس فيه فقال بالخصوص : « وأما تسميتهم له بأنه كلمة الله فلا تصح فى الحقيقة لأن الكلام على الحقيقة هو الحروف المنظومة ، وعيسى هو جسم فلا يصح كونه كلاما وإنما قيل إنه كلمة الله من حيث يهتدى به وبدعائه(١٥) .

ويورد الفخر الرازى عدة تفسيرات للمقصود من أن عيسى كلمة الله : منها أنه خلق بكلمة الله وهى قوله « كن » من غير واسطة الأب ومنها أنه تكلم فى طفولته أو أن الكلمة كما أنها تقيد المعانى والحقائق كذلك عيسى كان يرشد الى الحقائق والأسرار الإلهية ، وأنه قد وردت البشارة به فى كتب الأنبياء الذين كانوا قبله فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة أو أن الانسان قد يسمى بفضل الله ولطف الله فكذا عيسى كان اسمه العلم كلمة الله(١٦) .

وكما أطلق على عيسى أنه روح أطلق على جبريل أنه روح القدس وأنه الروح الأمين وعلى القرآن « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » والمقصود من الروح الحياة أو الرحمة أو روح من الله خلقها وصورها ثم أرسلها إلى مريم أو جبريل .

ويفصل العامرى القول فى المقصود من الروح فيذكر أن الأرواح التى هى منسوبة — لفضل شرفها — إلى الله تعالى صنفان :

أحدها : النطقية التى بها يتوصل إلى العقل والتى جاءت فى

---

(١٥) السابق ١١٠/٥ .

(١٦) مفاتيح الغيب ٣٣/٨ وارجع الى « ابو العلا عفيفى : نظريات الاسلاميين فى الكلمة » .

قوله تعــالى : « أولئــك كتب فى قلوبهم الايمــان وأيدهم بروح منــه »[١٧] .

والآخــر : القدســية التى خص بها الأنبياء صلوات الله عليهم وإليه يتجه قوله تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده »[١٨] .

وكان عيسى من الخصوصية بهذه الروح بحيث سمى باسمها على الاطلاق فقال روح الله وكلمته . قال تعالى : « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »[١٩] ثم لم ينل أحد من قرية التأييد بها غير محمد صلى الله عليه وسلم وبه نطق القرآن « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا يهدى به من نشاء من عبادنا » وبقوله « قل نزله روح القدس من ربك بالحق »[٢٠] وبه شهد لنفسه بقوله : « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب »[٢١] .

والمتأمل للآيات القرآنية يجدها لا تنعت عيسى بأنه كلمة وإنما كلمة الله ألقاها أو كلمة منه وأن الروح عندما ترد فى القرآن مرادا بها عيسى ترد مضافة إلى الله باضطراد .

ولقد كان لامتناع نصارى نجران من المباهلة التى دعاهم اليها النبى وأشارت إليها الآيات « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من

---

(١٧) المجادلة ٢٢ .
(١٨) غافر ١٥ .
(١٩) البقرة ٣٧ ، ٢٥٣ .
(٢٠) الآيتان على التوالى : الشورى ٥٢ ، النحل ١٠٢ .
(٢١) العامرى : الاعلام بمناقب الاسلام ٢٠٦ ، ٢٠٧ وانظر الدين والدولة له أيضا ٢٦ .

العلم فقل تعالى ندع أبناءنا وأبناءكم ... »[٢٢] الأثر البالغ فى ترسيخ اعتقاد المسلمين أن عيسى ليس سوى بشر خلق بواسطة الأمر الالهى كن ، وأن القول بألوهيته من باب الشرك واتخاذ أرباب من دون الله وتولى النصارى عن المباهلة دليل على الكذب والفساد ويلخص الباقلانى ذلك بقوله : « فامتنعوا من المباهلة خوفا من القتال وأليم العقاب وأن ينزل بهم ما توعدهم به وليس ذلك إلا لعلمهم بصدقه وثبوت نبوته »[٢٣] .

---

(٢٢) الآيات ٥٩ — ٦٤ من سورة آل عمران . وقد روى فى شأن هذه المباهلة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ان الله أمرنى ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم . فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأى يا عبد المسيح ما ترى فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق فى أصحابكم والله ما باهل قوم قط نبيا فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فان أبيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفهما وهو يقول : اذا دعوت فأمنوا . فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى . انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانا لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى الى يوم القيامة ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا الا نباهلك وأن نترك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا . فقال انى أناجزكم القتال فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن تصالحك على ألا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى اليك فى كل عام ألفى حلة ألفا فى صفر وألفا فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك ، وقال والذى نفسى بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رءوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ، مفاتيح الغيب ٢/٧٠٤ .

(٢٣) التمهيد ١٥٨ ، ١٥٩ وانظر عن المباهلة طبقات ابن سعد ١/٣٥٧ ، القاضى النعمان : دعائم الاسلام ١/١٧ ، ١٨ الواحدى : أسباب النزول ٦٧ .

ويورد الطبري فى تفسيره أن النصارى أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه فى عيسى بن مريم وقالوا له من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا نعم .

قال : ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟ قالوا بلى :

قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شىء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا بلى .

قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا لا .

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟ قالوا بلى !

قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم ؟ قالوا لا .

قال : فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء .

قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث . قالوا بلى .

قال : ألستم تعلمون عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها . ثم غذى كما يتغذى الطفل الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟

قالوا بلى .

قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ قال : فعرفوا ثمأبوا إلا جحودا فأنزل الله تعالى أول سورة آل عمران : « آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

وقد بلغ رفض المسلمين وامتعاضهم من نسبة أب إلى عيسى حد المنع من التكنى بأبى عيسى • يروى أبو داود فى سننه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب ابنا له تكنى أبا عيسى وأن المغيرة بن شعبة تكنى بأبى عيسى فقال له عمر أما يكفيك بأن تكنى بأبى عبد الله ؟! فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى فقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنا فى جلجتنا »(٢٤) •

ويعبر الجاحظ عن شناعة ما يؤمن به النصارى من بنوة المسيح الالهية بقوله : « ولولا أن الله حكى عن النصارى أنهم قالوا : « المسيح ابن الله ، وقال : قالت النصارى المسيح ابن الله »(٢٥) فكنت لأن آخر من السماء أحب إلى من أن الفظ بحرف مما يقولون »(٢٦) •

وهذا المنع ليس مرده إلى أن أبا عيسى سماوى وإنما الى أن ولادة عيسى كانت من غير فحل وإلى وجوب تبرئة أمه مما قذفها به اليهود إذ أن الله هو الذى برأها كما برأ عائشة من حديث الافك ، وأنها تحظى بتقدير خاص فى كثير من آيات القرآن الكريم فهى صديقة أحصنت فرجها ، اصطفاها الله على نساء العالمين وطهرها وأنعم عليها وألقى إليها كلمته وروحا منه وجعلها وابنها آية(٢٧) • وكذلك فى عدد من الأحاديث النبوية فهى مثلا المولود الوحيد الذى عصم من طعنة الشيطان وهى الكاملة من النساء • كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران •

---

(٢٤) سنن أبى داود ٢٥٧/٢ •

(٢٥) التوبة ٣٠ •

(٢٦) رد الجاحظ ٢٧ •

(٢٧) على الترتيب آل عمران ٤٢ ، النساء ١٧١ ، المائدة ٧٥ ، ١١٠ ، المؤمنون ١٠٣ ، التحريم ١٢ •

الكلمـــــة

عنـــد النصـــــارى

ولدت النصرانية فى مهد يهودى ، وكان اليهود يرون فى الكلمة أكثر من صوت فالكلمة لها قوتها ولها وجودها الذاتى المستقل يقـــول أحد الباحثين[١] : « الكلمة المنطوقة عند العبرانى كانت قوة حية رهيبة » والعهد القديم حافل بالاشارة الى قوة الكلمة فحينمـــا خدع اسحاق — كما يروى سفر التكوين — ونطق بالبركة ليعقوب بدلا من عيسو البكر لم توجد هناك قوة تستطيع أن تسترد البركة ولم يبق للبكر سوى اللعنة ، لقد خرجت الكمة من فيه لتعمل عملها — حسب زعمهم — ولا تستطيع قوة على الأرض أن توقفها[٢] .

كما أن الخلق كان بالكلمة ففى بداية سفر التكوين يفتتح كل فصل من فصول الخلق بالقول : « وقال الله ليكن نور فكان نور ، وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه ... » وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ... وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا[٣] ... الـــخ .

وفى سفر المزامير : « بكلمة الرب صنعت السموات » ، « أرسل كلمته فسقاهم ونجاهم من تهلكتهم » ، « يرسل كلمته إلى الأرض »[٤] .

وفى العهد القديم بجملته إشارات متعددة يضيق بها المقام عن قوة الكلمة وأثرها .

---

(١) حبيب سعيد فى كتابه : أديان العالم ٢٨١ .

(٢) سفر التكوين : الاصحاح ٢٧ .

(٣) السابق : الاصحاح الاول ٣ ١١ .

(٤) المزمور ٦/٢٣ ، المزمور ٢٠/١٠٧ والمزمور ١٥/١٤٧ .

وجاء فى انجيل يوحنا : فى البدء كان الكلمة واللكمة كان عند الله كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان[٥] .

والكلمة هنا — عند يوحنا وعند النصارى عامة — ليست واحدة من كلمات الله التى خاطب بها أنبياءه وليست كلمة « كن » التى خلق بها المخلوقات إنما هى كلمة خاصة تعنى فكر الله أو ابن الله أو ذات الله .

والمسيح ليس منتوج هذه الكلمة وانما هو الكلمة ذاتها حل فى جسد بشرى يقول أحداهم :[٦] « إن المسيح لم يدع كلمة الله لأنه مخلوق بكلمة الله بل دعى بذات كلمة الله وإلا فكل الخلائق مخلوقة بكلمة الله فهل ندعوها كلمة لله ؟ » وكلمة الله هذه غير كلمته المكتوبة فى الكتاب المقدس . كلمة الله ذات اسمه المسيح والكلمة المكتوبة ليست بذات وكلمة الله تجسدت والكلمة المكتوبة لن تتجسد والكلمة المكتوبة ليست الله والكلمة المتجسدة هو الله .

فعقيدة النصارى تقوم على تجسد الكلمة أو على التثليث الموحد بين الآب والابن والروح القدس : الآب غير مولود ، والابن ابن وولد ومولود وروح القدس لا والد ولا مولود وكل واحد من الثلاثة موجود ، هذه الثلاثة لم تزل جميعا معا لم يسبق بعضها فى الوجود بعضا : « فى البدء كان الكلمة والكامة كان عند الله وكان الكلمة الله . الثلاثة كلها واحد فى الطبيعة والجوهر ، وهذا الواحد فى الجوهر ثلاثة فى الأقانيم « « فى الجوهر صاروا فردا وفى الأقانيم ثلاثة عدا . فالجوهر يجمعهم ويوحدهم والأقانيم تفرقهم وتعددهم .

أنزل واحد من هؤلاء الثلاثة وهو الابن إلى الأرض رأفة بالبشر والانس من غير مفارقة منه للأب ولا لروح القدس ، يقول الكندى :

---

(٥) الاصحاح الأول : الفقرات ١ — ٤ .
(٦) القديس منصور .

« إن فرقهم أى النصارى جميعا يقرون أن ثلاثة أقانيم لم تزل جوهرا واحدا ، يريدون بالأقانيم أشخاصا وبجوهر واحد أن كل واحد منهم موجود بخاصته[٧] .

والابن هو الكلمة والروح هى الحياة وهى التى تدعى عندهم روح القدس ، والابن لم يزل مولودا من الأب ولم يزل الأب والدا للابن ولم يزل الروح القدس منبثقا أو فائضا وولادة الابن من الأب ليست كولادة المتناسلين وإنما هى على نحو آخر . اختلفوا فيها وفى تجسد الكلمة فى عيسى وتولد عيسى من الكلمة .

فطائفة الملكانية ترى أن الأقانيم هى الجوهر والجوهر غير الأقانيم وطائفة اليعقوبية والنسطورية ترى أن الجوهر هو الأقانيم والأقانيم هى الجوهر .

وحاولوا تقريب اتصال الكلمة بعيسى الى الأذهان فمنهم من شبه ذلك باشتعال النار فى العليقة ، عندما تضيىء العوسج ولا تحرقه يقول متى فى انجيله : « ... تضلون لأنكم لا تعرفون الكتب ولا قوة الله فإن لم يكن مستحيلا على الله محب الصلاح أن يخضع نفسه لحدود البشرية وهذا هو ما سبق موسى وأعلنه مبينا لنا فى مقال كيفية التجسد فإن الله قد نزل فى العليقة فى البرية بمنظر النار وكان يضىء العوسج ولا يحرقه وكان موسى يتعجب من هذا المنظر لأن الخشب بطبعه لا يحتمل النار فكيف استطاعت المادة القابلة للاحتراق أن تحتمل اشتعال النار فيها بدون أن تحرقه ؟ لقد كان ذلك مثالا للسر الذى استطاعت طبيعة اللوغوس (الكلمة) الالهية أن تخضع نفسها لحدود البشرية لأنه أراد ذلك ولأنه لا يستحيل عليه شىء قط ، وكما أن النار كانت تضىء العليقة دون أن تحرقها هكذا —

---

(٧) رد الكندى ص ٤ وانظر رد الحسينى ١٤ — ١٦ والمغنى ٥/٨١ .

أيضا — اللوغوس لما تجسد لم يحرق الجسد الذى اتحد به بل على العكس جعله جسدا محببا »[٨] .

ومنهم من يشبه ذلك بالجمرة المشتعلة ، فالجمرة مثال لاتحاد كلمة الله بالطبيعة البشرية فكما أن النار حينما تتصل بالفحم وتدخل فيه تستحوذ على كيانه وتحوله ليس عن كونه فحما بل بالحرى تحوله الى مظهر النار وقوتها وتضع فيه جميع صفتها الخاصة حتى إنه يعتبر واحدا منها فكذلك المسيح لأن الله المتجسد بالناسوت قد حفظه ناسوتا بالصفات الخاصة بالناسوت وهو نفسه قد بقى إلها كما كان وهو بعد الاتحاد واحد مع ناسوته[٩] .

ويشرح القديس « كيرلس الكبير »[١٠] هذا التوجيه فيقول : « ... إن ربنا يسوع المسيح هو وحده دون سواه الجمرة الروحيـــة الموضوعة على المذبح حيث يقدم ذاته من أجلها كرائحة بخور زكية لله أبيه ... » إذن فهو الجمرة الالهية التى تمس شفتى من يقترب اليها فتجعله للتو طاهرا نقيا من كل إثم ... والمسيح يشبه الجمرة لأنه مثلها يعتبر من شيئين مختلفين ولكنها باجتماعهما معا قد اقتربا معا فى وحدة لأن النار حينما تدخل فى الفحم تحوله بنوع ما الى مجدها الخاص ومع ذلك فهو يبقى على ما كان عليه .

ومنهم من يشبه اتحاد الكلمة باتحاد الحديد بالنار فكما أن الحديد إذا قربناه من نار شديدة يكتسب للوقت مظهر النار ويشترك فى صفات ذلك العنصر الغالب هكذا أيضا طبيعة الجسد التى اتخذها لنفسه الكلمة لم تبق على حالها الأول بل قد انعتقت من الفساد والفناء وسادت عليهمـــا .

أو كاتصال النار بالماء . فاذا كانت النار المرئية تدخل فـــوق

---

(٨) انجيل متى ٢٢ ، ٢٣ .
(٩) سفر أشعياء ٦ ، ٥ .
(١٠) كتاب التجسد الالهى ٢٤ ، ٢٥ .

طبيعتها الخاصة فى المواد التى تتصل بها وتحول الماء نفسه البارد بطبيعته إلى ما يخالف طبيعته إذ تجعله حارا فكيف لا تؤمن أن الكلمة الذى من الله الأب قد جعل جسده الخاص المتحد به جسدا محييا[١١] •

ومنهم من يرى أن الكلمة أشرقت على الجسم إشراق النور على الجسم الشفاف أو انطبعت فى الجسد كانطباع النقش فى الشمع أو ظهرت الكلمة فى الجسد كظهور الروحانى بالجسمانى أو تدرعت به تدرع اللاهوت بالناسوت أو مازجته ممازجة اللبن بالماء أو تولدت منه تولد الكلمة من العقل •

ومنهم من قال إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا لكنها مرت بجسدها كمرور الماء بالميزاب أو مرور السهم فى الهواء فلم تضف إليه شيئا ، وأصحاب هذا الرأى هم الذين يقولون إن ما ظهر من شخص المسيح فى الأعين فهو كالخيال والصورة فى المرآة وليس جسما متجسدا فى الحقيقة ، وإن القتل والصلب قد وقعا على الخيال ، أو أن الكلمة تداخل جسم المسيح حينا وتفارقه أحيانا وأنه فى حين التداخل تصدر عنه الآيات كاحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وغير ذلك وفى حين المفارقة ترد عليه الآلام والأوجاع[١٢] •

ومنهم من يرى أن كيفية اتحاد الكلمة وتجسدها عميقة حقا وفوق مدارك البشر « فمن الجهالة التامة أن تخضع البحث العلمى ما يفوت العقل وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذى لا يدرك بالعقل •• إن كيفية أن يصير الرب جسدا سر جدير أن يعبد فى صمت وإيمان[١٣] •

فالله الكلمة قد تجسد بوحدانيته لا يعبر عن كيفياتها • ولكن وإن كنا لا نستطيع أن نعرف كيفية الاتحاد الاقنومى فإنه يمكن أن نعرف صفات هذا الاتحاد التى من أهمها :

---

(١١) كتاب التجسد الالهى ٢٥ •
(١٢) الملل والنحل بهامش الفصل ٥٩ — ٦٣ •
(١٣) التجسد الالهى ٢٠ ، ٢١ •

— أنه اتحاد حقيقى طبيعى جوهرى أقنومى وليس مجـرد علاقة نسبة أو مشاركة أو سكنى •

— أن ما ينتج عن هذا الاتحاد الطبيعى فى تجسد المسـيح هو واحد تماما على الرغم من أن الاتحاد قد تم بين حقيقتين مختلفتين تماما الواحدة عن الأخرى •

— انه اتحاد غير قابل للانفصال •

— اتحاد بدون امتزاج وتغيير فاللاهوت لم يتغير الى ناسوت ولا تغير الناسوت الى لاهوت •

— ان الناسوت لم يكن له كيان ذاتى قبل الاتحاد أى أنه لم تكن هناك ولا لحظة واحدة وجد فيها هذا الناسوت بدون أن يكون جسدا للكلمة •

أما سبب هذا التجسد فهو أمران :

— افتداء الله البشرية الخاطئة بخطأ آدم •

— إعلان الله نفسه للبشر حتى لا يستحيل عليهم رؤيته ، وأن ما ظهر الله به قبلا من تجليات فى العهد القديم كانت هى التمهيد للتجسد الالهى حتى يؤمن به البشر دون أن يبحثوا فى سر ذلك التجسد وكيفيته لأنه سر من الأسرار التى لا تدركها العقول(١٤) •

وأخيرا يرى « وول ديورانت » أن عقيدة الكلمة دخيلة على المسيحية ولم توجد إلا فى انجيل يوحنا ولم يقل المسيح فى الأناجيـل

---

(١٤) لعلماء المسلمين ردود كثيرة على عقيدة التجسد والتثليث وكيفيته عند النصارى لم نشأ اثباتها لأن هذا البحث يقوم على المقارنة لا على المجادلة ومن أراد الوقوف عليها فليرجع الى التمهيد للباقلانى ، والجواب الصحيح لابن تيمية والرد على النصارى للجاحظ والفصل لابن حزم ، والرد على النصارى لعلى بن ربن الطبرى والمغنى للقاضى عبد الجبـار والرد على النصارى للقاسم بن ابراهيم الحسنى والمقالات للناشىء الأكبر ونظريات الاسلاميين فى الكلمة لأبى العلا عفيفى وغيرها .

الثلاثة المتشابهة متى ومرقس ولوقا • إنه هو والأب إله واحد أو يسوى نفسه به فقد سأل أحد أتباعه لماذا تدعونى صالحا وليس أحد صالحا إلا واحدا وهو الله ؟ وقال وهو يصلى فى (جثسمانى) مناجيا ربه ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت[١٥] •

وبينما يذهب « وول ديورانت » إلى ذاك نرى الباقلانى قد ذهب من قبله — وهو ممن اهتم بالرد على النصارى — الى أن النصارى لم تنقل التثليث فيفسد نقلها وإنما تأولته واستدلت عليه عند أنفسها وضربت للحلول والاتحاد والجوهر والأقانيم الأمثال وغلطت وأخطأت فى اجتهادها وتأويلها[١٦] •

فكأن عقيدة التثليث أو تجسد الكلمة ليست موجودة نصا فى الأناجيل وإنما تأولتها النصارى فهى عملية تأويلية بشرية متأخرة أسقطت على الكتب المقدسة تصورات غريبة عنها •

ومعظم النصارى لا يثبتون لمريم ما يثبتونه لعيسى من الألوهية إذ يرون أنها أمة من إماء الله محدثة غير قديمة ولا أزلية وأما قوله تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فهو من باب التقريع وتبرئة عيسى مما نسب إليه لأن من مقتضيات كونه إلها أن تكون أمة كذلك ، والله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك لا فى حق نفسه ولا فى حق أمهومثل ذلك مثل قوله تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى »[١٧] وهو عز وجل أعلم بذلك من موسى ومثل قوله لأبليس « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك »[١٨] وهو عز وجل أعلم من ابليس بالمنافع كذلك قال للمسيح هل قلت هذا فى نفسك أو فى أمك التى ولدتك وهى أخص الناس بك وأوجبهم حقا عليك وأجلهم عندك ؟ ليبين براءة ساحته عليه السلام من كل وجه •

---

(١٥) قصة الحضارة ٢٠٨/١١ •

(١٦) التمهيد ١٦٥ ، وانظر تثبيت دلائل النبوة ١١٥ ، ١١٦ •

(١٧) طه ١٧ •

(١٨) الأعراف ١٢ •

« التثليث »

يرى النصارى أن « التثليث » هو عقيدة ابراهيم وموسى وسائر الأنبياء فالقول بأن الله ثالث ثلاثة ليس عقيدة النصارى وحدهم وإنما هو العقيدة التى جاء بها ابراهيم وموسى وهارون وسائر الأنبياء .

فالتوراة قد دلت على التثليث فى نظرهم حيث أخبرت عن الله تعالى بصيغة الجمع فى مثل : « نريد أن نخلق بشرا على صورتنا ومثلنا »[١] يقولون هذا خطاب من جماعة أما تسمعونه يقول « نريد » ولم يقل « أريد » أن أخلق بشرا مثلى . وربما يذهبون الى أن القرآن جاء بها أيضا فى مثل قوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر »[٢] فهو خطاب من جماعة لا من واحد ، وقوله تعالى « فلا أقسم برب المشارق والمغارب »[٣] . فهذا أحد الالهة والأرباب يقسم بالأرباب ، وفى قوله تعالى : « ووالد وما ولد »[٤] يقسم الاله بنفسه وولده ولذا يقولون أو يقول بعضهم محمد جاء بالنصرانية ولكن أصحابه لم يفهموا عنه .

والتثليث هو القول بالآب والابن والروح القدس حكاه متى فى انجيله عن المسيح عليه السلام إذ قال لتلاميذه : « سيروا فى البلاد وعمروا الناس باسم الآب والابن والروح القدس »[٥] ويرى الباقلانى أن هذه العبارة ليست نصا فى التثليث وإنما تأولتها النصارى وغلطت وأخطأت فى هذا التأويل[٦] .

---

(١) سفر التكوين ١/٢٦ وقد اورد ابن حزم فى الفصل ١/١٣٠ ، ١٣١ والخزرجى فى مقاطع الصلبان فقرتى ٢٨ ، ١٢٤ أ نموذجا آخر من تأويل النصارى للتوراة .

(٢) القدر ١ .

(٣) المعارج : ٤٠ .

(٤) البلد ٣ .

(٥) متى ١٩/٢٨ .

(٦) التمهيد ١٦ .

ولا يعنى التثليث عندهم الايمان بثلاثة الهة متغايرة مختلفة وإنما يرونه « ثلاثة واحد وواحد ثلاثة » وقد شبهوا اتفاق الأقانيم فى الجوهرية واختلافها فى الاقنومية باتفاق الأعراض واختلافها ، وذلك أن البياض والسواد قد يتفقان بأنهما لونان ويختلفان بأنهما سواد وبياض وليس بينهما شىء يخالف بينهما[٧] ، لكن قد يعترض على ذلك بأنه تشبيه مع الفارق لأن الأعرض مختلفة فى ذاتها بينما يقتضى الايمان المسيحى الوحدة الأقنومية •

وسواء أكان هذا التشبيه شائعا أو محدود الانتشار فإن تشبيه النصارى لوحدانية الله وثالوثيته بالشمس والانسان كان معروفا • فمما يذكر فى كتبهم أن هذا الواحد فى الطبيعة ثلاثة فى الأشخاص المفترقة وذلك كالشمس فيما يدرك منها بالحس التى هى شمس واحدة فى كمالها وذاتها وثلاثة متغايرة فى حالها وصفاتها كل واحـــد منها غير الآخر فى شخصه وصفته وإن كان هو فى ذاته وطبيعته • فالشمس فى عينها كالأب وضوؤها فيها كالابن وحرها منها كالروح ثم هى بعد وإن كانت لها هذه العدة فشمس ، لا يشك فيها أحـــد أنها واحدة لأن الشمس إن فارقها الضوء لم تدع شمسا وكذلك إن فارقها حرها لم تدع أيضا شمسا وإنما تسمى الشمس شمسا وتدعى إذا كان هذا كله فيها مجتمعا •

وكذلك الانسان فإنه وإن كان فى الانسانية فإنا قد نراه وترونه أشياء كثيرة عددا فيها نفسه وجسده وحياته ومنطقه فجسده غير نفسانيته ومنطقه غير حياته لأنه ليس يقدر أحد أن يزعم أن الحياة هى المنطق ولا أنهما جميعا واحد متفق لأن كثيرا من الأحياء لا يتكلم ولا ينطق •

ويقولون ليس المراد بالمنطق القول الذى يسمع سماعا ولكن

---

(٧) الكتاب الأوسط فى المقالات ٨٥ •

المراد به الفكر الذى جعله الله فى الانسان غريزة وطباعا وفطرة خاصة فى الانسان لا فى غيره من الحيوان ... ولو كانت الحياة هى المنطق لكان كل حى من الأشياء ينطق فنطق جميع البهائم كما نطق بنو آدم ، فلما لم يكن الأمر كذلك دل على ما قلنا به من ذلك . فالأب والابن وروح القدس — كان دركهم بعقل أو حس — قد صاروا فى الذات والطبيعة واحدا فردا وفى الأقانيم التى هى الأشخاص ثلاثة عدا[٨] .

وقد اعترض على تشبيه الوحدة والتثليث فى الجوهر والأقانيم بالوحدة والتثليث فى الشمس وحرها وضوئها لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس فإذا قلنا مثلا إن حد الشمس جسم مستدير مضىء مسخن تدور حوله الأرض فإن نورها وحرها لا يحدان بهذا الحد ، ولو كان نورها وحرها شمسا حقا من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعة فى المسيح إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه لكان التشبيه صحيحا ولكنه ليس كذلك .

وقالوا أيضا فى تقريب التثليث الى الأذهان إن ذلك يشبه العشرة الواحدة والآحاد الكثيرة أو الانسان الواحد والأشخاص الكثيرة . فآحاد العشرة متغايرة فى الحقيقة ولكن نصفها بقولنا عشرة ليتبين بهذه الجملة من سائر الأعداد وجملها ونقول واحدة لنبين أنها من هذه الجملة مرة واحدة وليس فى ذلك تناقض . ورد ذلك بأن آحاد العشرة وأبعاض الانســـان مختلفة متغايرة وليست كذلك الأقانيم عندهم . لأن القول بأنه جوهر واحد لا يعنى عندهم جملة ذات أقانيم تختص بحكم لبنية حصلت فيها أو ما يجرى مجراها[٩] .

فالمفهوم من عقيدة التثليث عند المسيحيين أنها ليست ذات كثرة رغم تعددها وليست ذات تعدد رغم تكثرها فهى واحدة وكثرة فى آن

---

(٨) رد الحسنى ١٥ .
(٩) المغنى ٥/٨٩ ، ٩٠ .

معا دون انفصال للكثرة عن الوحدة ولا للوحدة عن الكثرة هذا ما يفهم من عقيدة التثليث فى حدود امكانية فهمها طبعا ... وليست كذلك كل الأمثلة المضروبة لها .

ويحاول بعض النصارى أن يثبت مقارنة بين المفهوم الاسلامى لعلاقة الله بصفاته والمفهوم المسيحى لعلاقة الجوهر بالأقانيم يخبرنا بذلك الباقلانى فى تمهيده فيما يناقشهم فيه فى الفقرة التالية .

فإن قال قائل منهم أفليس قد قلتم أنتم فى صفات البـــارى سبحانه إنها ليست بموافقة ولا مخالفة له ؟ فما أنكرتم أيضا أن يكون الجوهر غير موافق للاقانيم ولا مخالف لها ، ويرد الباقلانى على ذلك بأن المسلمين لا يقولون بأن الله موافق لصفاته من جهـــة من الجهات بخلاف النصارى الذين يذهبون الى أن الجوهر موافق للاقانيم بالجوهرية (أى موافق لها بنفسه) ومخالف لها بالقنومية بنفسه فشتان بين قولنا وقولكم[١٠] .

وقد يذهبون الى أن قولهم بجوهر واحد وثلاثة أقانيم يشبه قول المسلمين « بسم الله الرحمن الرحيم » وهو تشبيه غير صحيح فالله عند المسلمين هو الرحمن وهو الرحيم وهو العالم وهو القادر وهو ذات واحدة له صفات وأسماء كثيرة أما عند النصارى فان الله الوالد ليس هو الابن المولود ولا الابن المولود هو الله الوالد وكذا روح القدس . وهم يقولون فى دعائهم ليتم علينا وعليكم نعمة الرب يسوع المسيح بن مريم ومحبة الله الأب ومشاركة روح القدس أبدا الى دهر الداهرين[١١] . مما يدل على أنها متغايرة فى وحدتها متحدة مع تغايرها وهذا المعنى وإن كان عسير الفهم إلا أنه هو المقصـــود بالتثليث الذى لا يعنى ثلاثة الهة مستقلة كما لا يعنى إلها واحدا من كل جهة .

---

(١٠) التمهيد : ٨٤ ، ٨٥ .
(١١) تثبيت دلائل النبوة ٩٢ ، ٩٣ .

فالتثليث تثليث أقانيم وليس تثليث آلهة وإن كان العقل يقرر بأن أحدهما يقتضى الآخر فإن النصارى لا يعتقدون ذلك •

ومريم على مقتضى مذهبهم ليست آلها ولا أقنوما وليست واحدا من الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس • وإن كان فيهم من يقول بألوهيتها فقد جاء فى رسالة نقلها القاضى عبد الجبار كان قد كتبها عن يسوع بن بهرين أسقف حران والرقة والمصير بعد ذلك مطرانا على الموصل والجزيرة إلى قس يعقوبى يقال له بادوس : « أنت لا تنكر أن البتول الطاهرة إله كما تراه أنت بل إنسان كما نراه نحن »(١٢) •

وربما كانت هذه المسألة واحدة من الأسباب التى أدت الى افتراق النساطرة عن الكنيسة الرسمية حين رفضوا اطلاق عبارة أم الله على مريم ولعل ما ذكره القرآن فى قوله تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله » يشير الى هذا الانحراف فى العقيدة وخاصة عند من يرى أن هذا سيكون يوم القيامة • وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الكلام ورد فى معرض التوبيخ والتقريع لمن انحرفوا عن عقيدة عيسى عليه السلام •

والذى يبدو أن عقيدة التثليث ظهرت متأخرة فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ الذى أقر القول بالتثليث وألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطأ البشر وقد قضى هذا المجمع على سائر الرسائل والأناجيل التى تعارض ذلك المعتقد ويقرر فى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ أن روح القدس الأقنوم الثالث إله • وتقرر فى مجمع أفسوس عام ٤٣١ أن العذراء مريم هى أم الاله كما قرر هذا المجمع وحدة الأقنوم فى المسيح وأدان النسطورية التى قالت ببشرية المسيح •

---

(١٢) السابق ١٤٥ ، ١٤٦ •

ومن المرجح عند باحثى النصارى أن أول من أدخل عقيدة التثليث فى المسيحية هو بولس[١٣] الذى كان قبيل ايمانه بالمسيحية يهوديا فخورا بشعبه وفريسيا مثاليا[١٤] وعدوا لدودا للكنيسة الناشئة[١٥] • وعندما كان بولس فى مهمة رسمية ضد المسيحيين خارج فلسطين مر وهو فى طريق دمشق بأزمة دينية عنيفة — لا يتحدث عنها إلا تلميحا ولكن كتاب الأعمال يبسطها فى ثلاث مناسبات[١٦] — انتهت بإيمانه بالمسيحية إثر رؤيا رأى فيها عيسى يلومه على اضطهاد أتباعه فوجد فيها برهانا على خطئه وتحول بعدها من فريسى ابن فريسى إلى رسول الأمم •

وكان دخوله المسحية هو الحاجز بين المسيحية الموحدة والمسيحية القائلة بالتثليث ويتهمه بعض المسيحيين بأنه دخل المسيحية ليفسدها وادعاها تضليلا ليتسنى له القضاء على الحواريين بما نسبه إليهم من الأقوال التى لا تتفق مع توحيد المسيح يقول قائلهم : « لقد شوه بولس تعاليم راعينا حتى لكأنه أعاد صلبه مقلوبا برأسه إلى أسفل[١٧] •

فهو المسئول الرئيسى عن ابتعاد النصارى عن الدين القويم — اتسم سلوكه عندهم بالنفاق والانتهازية كان يمدح التوراة لليهود ويقول لهم إنها سنة حسنة لمن عمل بها ويذمها للروم وغيرهم من أعداء موسى والأنبياء مدعيا أنها مهيجة للبشر وأن وضع شرائعها عن الناس به « كمل بر الله وثم فضله » وقد اعترف، هو نفسه بذلك حين

---

(١٣) ولد فى بداية القرن الميلادى الأول فى طرسوس من مقاطعة قيليقية Gilicie بآسيا الصغرى وكان ينتسب الى أسرة يهودية تدعى أنها من سلالة سبط بنيامين التى انجبت الملك شاول .

(١٤) رسالة بولس الى أهل فيلبى ٣/٥ .

(١٥) رسالة بولس الى أهل أغلاطية ١/١٣ — ١٤ .

(١٦) أعمال الرسل ٩/٢٢ — ٢٦ .

(١٧) مذكرات شارلى شابلن ٢/١٢٥ ترجمة صلاح حافظ ، طبعة دار الهلال .

صرح : « كنت مع اليهودى يهوديا ومع الرومى روميا ومع الأرمانى أرمانيا »[١٨] ولكنه عند المسيحيين الآن أجل من موسى وهارون وداود وجميع الأنبياء وإذا قرئت رسائله وكلامه فى البيعة أو الكنيسة نهضوا قائمين اعظاما وإجلالا له ولكلامه •

ولم تجد آراؤه الجديدة التى أدخلها على المسيحية وخاصة عقيدة التثليث فى بادىء الأمر صدى واسعا خارج الحلقة الضيقة من المريدين الذين اتصل بهم ولم تجد معتقداته قبولا إلا بانتشار رسائله من بعده فقد كان موقف الكثيرين من معاصريه يتسم بالاحتراز منها ويراها موضع شبهة[١٩] ، ولذلك فإن النصارى لم يعرفوا عبارة الثالوث قبل نهاية القرن الثانى وأقدم استعمال لها كان عند ثيوفيلس Théophile الانطاكى فى كتابه الى أوتو ليكوس A Autolycos •

وقد ثار جدل عنيف بين النصارى حول اعتبار روح القـدس إلها يعبر عنه تيموثاوس بطريرك الاسكندرية فى قوله : « ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئا غير حياته فإذا قلنا إن روح القدس مخلوقا فقد قلنا إن حياته مخلوقة وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حى وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن[٢٠] •

وهكذا استمر النزاع حول التثليث مدة طويلة الى أن استقر أمره عند أكثر المسيحيين • ولعل الحق تعالى عندما يثنى على بعض النصارى

والأوثان قارن برسالة بولس الأولى الى الكورنثين ١٩/٩ — ٢٢ •

(١٨) تثبيت دلائل النبوة ١٥٠ ، ١٥١ والأرمانى من يعبد الكواكب

(١٩) انظر نموذجا لهذه المواقف المحترزة فى رسالة بطرس الثانية ١٥/٣ — ١٦ •

(٢٠) نقلا عن كتـاب محاضرات فى النصرانية للشـيخ محمـد أبو زهرة ١٤١ •

فى قوله : « منهم أمة مقتصدة »[٢١] وقوله : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين »[٢٢] لعله يقصد هؤلاء وكانت منهم طائفة تسمى « الأريوسية » ظهرت عبر التاريخ وفية للتوحيد اليهودى • ولكن هؤلاء كانوا قلة •

---

(٢١) المائدة ٦٦ •

(٢٢) المائدة ٨٢ — ٨٥ •

الصــــلب وتوابعــه

رغبة الله الآب فى فداء الجنس البشرى من الخطيئة التى ارتكبها آدم بأكله من الشجرة التى نهى عن الأكل منها كانت السبب فى صلب عيسى وقتله عند النصارى ليمحو الله بدم ابنه الوحيد خطيئة البشرية ويكفر عنها • جاء فى قانون نيقية · « من أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم البتو لوصار إنسانا ••• » • وأخذ وصلب وقتل أمام بيلاطس ومات ودفن وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء •

وفى مقابل ذلك كانت مؤاخذة القرآن لليهود على كفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله والتأكيد إثرها مباشرة بأنهم « ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه »[١] منطلقا لإنكار المسلمين أن يكون عيسى قتل وصلب لا على أيدى اليهود ولا على أيدى غيرهم ومن الطبيعى ألا تجد عقيدة الفداء مجالا مع نفى الصلب والبنوة الالهية معا لا سيما وأن الله تعالى قد تاب على آدم من جهة : « فتــلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه »[٢] وأنه لا معنى لارث أبنائه خطيئة لم يرتكبوها من جهة أخرى حيث « لا تزر وازرة وزر أخرى »[٣] •

نحن إذن أمام موقفين على طرفى نقيض ولا سبيل إلى التوفيق بينهما كما أنهما يتسمان بقدر كاف من الوضوح يغنينا عن مزيد من الشرح والتفصيل •

---

(١) النساء ١٥٦ — ١٥٨ •

(٢) البقرة ٣٧ •

(٣) الأنعام ١٦٤ ، الاسراء ١٥ ، فاطر ١٨ ، الزمر ٧ ، النجم ٣٨ •

وتتفاوت الأخبار في ذكر قصة الصلب والقتل فيذكر بعضها أن الشرط أخذوا إكليلا من أرجوان فوضعوه على رأس عيسى وجعلوا يضربونه ثم أخرجوه وعليه ذلك الإكليل فقال رؤساء الكهنة لفيلاطوس اصلبه . فقال لهم : خذوه أنتم فاصلبوه فأما أنا فلم أجد عليه علة . فقالوا : قد وجب عليه الصلب والقتل من أجل أنه قال : انه ابن الله ثم أخرجه فقال لهم : خذوه أنتم فاصلبوه ! فأخذوا المسيح وأخرجوه وحملوه الخشبة التى صلبوه عليها .

هذا فى إنجيل يوحنا فأما متى ومرقس ولوقا فيذكرون أنهم قد وضعوا الخشبة التى صلب عليها المسيح على عنق رجل قرنائى وصاروا به إلى موضع يدعى « الجمجمة » ويسمى بالعبرانية (ايما خاله) وهو الموضع الذى صلب فيه وصلب معه أثنان آخران واحد من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب وكتب « فيلاطوس » فى لوح : هذا يسوع الناصرى ملك اليهود فقال له رؤساء الكهنة : اكتب الذى قال : إنه ملك اليهود فقال لهم : ما كتبت قد كتبت .

ثم إن الشرط اقتسموا ثياب المسيح وكانت أمه مريم ومريم بنت قلوفا ومريم المجدلانية قياما ينظرون إليه فكلم أمه من فوق الخشبة وجعل أولئك الشرط يأخذون اسفنجة فيها خل يقربونها إلى أنفه فيتكرهها ثم أسلم روحه فجاءوا إلى ذينك المصلوبين معه وكسروا سوقهما وأخذ واحد من الشرط حربة فطعنه فى جنبه فخرج دم وماء .

ثم كلم فيه أحد التلاميذ فيلاطوس حتى أنزله وأخذ حنوطا من مر وصبر ولفه فى ثياب كتان وطيب فكان فى ذلك الموضع جنان وفيه قبر جديد فوضعوا المسيح فيه وكان ذلك يوم الجمعة(٤) .

وتذكر رواية ثالثة إن فيلاطوس الروحى ملك الروم أخذ المسيح بتظلم اليهود منه وسلمه إليهم فحملوه على حمار وجعلوا وجهه إلى

---

(٤) تاريخ اليعقوبى ١/٧٧ — ٧٨ .

عجز الحمار وجعلوا على رأسه إكليل شوك وطوفوا به تنفيلا وأنهم كانوا يقذفونه من ورائه ويأتونه من تلقاء وجهه فيقولون له يا ملك بنى إسرائيل من صنع هذا بك ؟ سخرية منه ، وأنه لما ناله من الكد والشقاء عطش واستجدى وقال لهم اسقونى ماء فأخذوا الشجر المر واعتصروه وجعلوا الخل فى ذلك العصير وأعطوه فأخذه وهو يظنه ماء فعب فيه فلما وجد مرارته مجه فسعطوه به وعذبوه يومه وليلته فلما كان من الغد وهو يوم الجمعة سألوا فيلاطوس ضربه بالسوط فضربه ثم أخذوه وصلبوه وطعنوه بالرماح ، وما زال يصيح وهو مصلوب على خشبته : يا إلهى لم خذلتنى ، يا إلهى لم تركتنى إلى أن مات ونزلوا به ودفنوه[٥] .

وثمة روايات وقصص أخرى كثيرة تختلف قربا وبعدا وإيجازا وتفصيلا ولكنها تتفق على أن عيسى علق على الصلب حتى مات وأنه عانى آلام الصلب وصرخ صرخة انشق لها جدار الهيكل وأنه مات وتوسط بعض الناس أن يدفن فدفن ، وفى اليوم التالى وجدت مقبرته مفتوحة ولم يوجد بها جسده ثم حضر بعد ذلك وتابل تلاميذه وودعهم ثم ارتفع إلى السماء .

ومع اتفاقهم على الصلب والقتل فإنهم اختلفوا فيهما على أى جانب وقعا فذهبت النسطورية إلى أن ذلك وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وذهبت أكثر الملكانية أن ذلك وقع على المسيح بكماله والمسيح هو اللاهوت والناسوت بينما ذهبت أكثر اليعقوبية إلى أن الصلب والقتل وقعا فى الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللذين هما الاله والانسان وهو المسيح على الحقيقة وهو الاله وبه حلت الآلام .

وهذا الاختلاف امتداد للاختلاف بينهم فى طبيعة المسيح وتجسد

---

(٥) تثبيت دلائل النبوة ١٢١ ، ١٢٥ .

الكلمة به وعقيدة التثليث مما جعل بعضهم يتندر عليهم بأنهم يجهلون طبيعة المسيح ربهم !!

ويعلق الناشىء الأكبر على اختلاف النصارى حول الجهة التى وقع عليها القتل بأن الخلاف ليس بشىء لأن المهم أن البارى نفسه قد مات بجهة من الجهات فما يبالى أكانت تلك الجهة جهة ناسوته أو جهة غير ناسوته إذ كان هو نفسه الذى مات وقد نعلم أن جميع ما يموت فليس يموت من كل جهة لأنه ليس يموت بأن يذهب لونه ولا بأن ينتقص جسمه • من وجوه كثيرة لا يموت وإنما يموت من الجهة التى يفقد منها فليس لاستثناء الجهات فى الشىء إذا مات وجه إذ كان ليس بمزيل عنه أن يكون قد مات(٦) •

وأيا ما يكن فإن عقيدة النصارى لا تقف عند القتل والصلب بل تضيف إلى ذلك قيامة المسيح ويجعلون من قيامته عقيدة ومن يومها عيدا • يقول بولس فى رسالته الأولى : « إن كان المسيح لم يقم فكرازتنا إذن باطلة وايمانكم أيضا باطل »(٧) •

ويلخص اليعقوبى ما ورد فى الأناجيل فى تلك العقيدة تلخيصا أمينا فيقول : « فلما كان يوم الأحد بكرت مريم المجدلية إلى القبر فلم تجده فجاءت شمعان الصفا وأصحابه فأخبرتهم أنه ليس فى القبر فمضوا فلم يجدوه وجاءت مرة ثانية إلى القبر فرأت فى القبر رجلين عليهما ثياب بياض فقالا لها لا تبكى ثم التفتت خلفها فرأت المسيح وكلمها وقال لها : لا تدنين إلى لأنى لم أصعد إلى أبى ولكن انطلقى إلى اخوتى وقولى لهم : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم والهى والهكم ، وإنه لما كان عشية الأحد جاءهم وقال لهم : السلام عليكم • كما أرسلنى أبى كذلك أرسلكم وإن غفرتم ذنوب أحد فهى مغفورة ،

---

(٦) الكتاب الاوسط فى المقالات ٨٣ ، ٨٤ •

(٧) رسالة بولس الأولى الى الكورنثيين ١٥/١٤ •

فقالوا هذا الذى يكلمنا روح وخيال ! قال لهم : انظروا إلى آثار المسامير بأصبعى وإلى جانبى الأيمن ثم قال لهم : طوبى للذين لم يرونى وصدقوا بى • وجاءوه بقطعة سمك فأكل وقال لهم : إن أنتم صدقتم بى وفعلتم فعلى يحق ألا تضعوا أيديكم على مريض إلا برىء ولا يضره الموت ثم ارتفع عنهم »(٨) •

أما الطبرى فيروى حديث القيامة على نحو آخر عندما يذكر أن النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه وقال له اهبط وانزل على مريم المجدلانية فى جبلها فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم فى الأرض دعاة إلى الله فإنك لم تكن فعلت ذلك • فأهبطه الله عليها فأشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم وأمرهم أن يبلغوا الناس عنه ما أمره به الله ثم رفعه إليه فكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار فى الملائكة وهو معهم حول العرش فكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وتفرق الحواريون حيث أمرهم(٩) •

ورواية اليعقوبى أقرب إلى اعتقاد النصارى من رواية الطبرى الذى أراد أن يفرغ القيامة عند النصارى من مضمونها وأن يكسوها ثوبا إسلاميا •

أما المسلمون فيوردون روايات أخرى عن الصلب والقتل يثبتون فيها أن الذى صلب وقتل ليس هو المسيح وإنما شخص ألقى عليه شبهه لأن المسيح نفسه قد رفع كما أخبر بذلك القرآن الكريم •

وخلو القرآن من الحديث عن الوقائع الدالة بنهاية عيسى حدا

---

(٨) تاريخ اليعقوبى ١/٧٨ ، ١٠٩ •

(٩) تاريخ الطبرى ١/٦٠٢ ، ٦٠٣ •

ببعض المؤرخين المسلمين إلى الرجوع فيها إلى الروايات المسيحية لكن بطريقة توفق بينها وبين نفى الصلب .

يذكر الطبرى فى تاريخه باسناده الى وهب بن منبه بعد أن قص ما دار بين عيسى والحواريين « لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا .. فلما أصبح أتى أحد الحواريين الى اليهود فقال ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذوها ودلهم عليه — وكان شبه عليهم قبل ذلك — فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل فجعلوا يقودونه ويقولون : أنت كنت تحيى الموتى وتنتهر الشيطان وتبرىء المجنون أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا[١٠] .

ولكن السذاجة تبدو على هذه الرواية التلفيقية التى تجعل القارىء فى حيرة من الأمر هل عيسى هو الذى أهين إلى حين رفعه أم غيره وكيف شبه لليهود أو عليهم ومن هو المصلوب .

ويمكن أن نعثر على أجوبة لهذه التساؤلات فى الأخبار التى دونها الطبرى فى تفسيره وبالخصوص عند تفسير آيات آل عمران والنساء والصف[١١] وهى تعود فى نهاية الأمر إلى روايتين أساسيتين تختلفان فى أمر إلقاء الشبه على حوارى واحد أو على جميع الحواريين .

الرواية الأولى عن ابن عباس وابن إسحاق والسدى وابن جريج ومجاهد وقتادة أن بنى اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا[١٢]

---

(١٠) تاريخ الطبرى ٦٠١/١ .

(١١) آية ٥٤ ، ٥٥ من آل عمران ، ١٥٧ من النساء ، ١٤ من الصف .

(١٢) هناك اختلاف فى عدد المحصورين مع عيسى يتراوح ما بين اثنى عشر وتسعة عشر رجلا .

من الحواريين فى بيت فقال عيسى لأصحابه : من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة ؟ فأخذها رجل منهم وصعد عيسى إلى السماء فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر رجلا فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه(١٣) .

والطبرى لا يرجح هذا القول ويميل الى الرواية الثانية عن وهب ابن منبه : لما أحاطت اليهود به وبأصحابه أحاطوا بهم وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه وذلك أنهم جميعا حولوا فى صورة عيسى فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى من غيره منهم وخرج اليهم بعض من كان فى البيت مع عيسى فقتلوه وهم يحسبونه عيسى(١٤) .

وثم خبر آخر مرفوع الى ابن عباس يوضح أنه لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج الى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من سيكفر بى اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بى . قال : ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنا فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . قال : نعم أنت ذاك قال : فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة فى البيت الى السماء . قال وجاء الطلب من اليهود وأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه(١٥) .

والخبر المروى عن ابن اسحاق يذكر أسماء الحواريين ويعتبر أن سرجس هو الذى تطوع ليصلب مكان عيسى ، وأن يهوذا الأسخريوطى هو الذى دلهم عليه مقابل ثلاثين درهما ثم ندم على ما صنع فأختنق

---

(١٣) تفسير الطبرى ٣/٢٨٦ وانظر كذلك ٦/١٤ — ١٥ ، ٢٨/٩٢ .
(١٤) السابق ٦/١٢ .
(١٥) السابق ٦/١٢ .

بحبل حتى قتل نفسه كما يروى ابن إسحاق أن بعض النصارى يزعم أن « يودس زكريا يوطا »[١٦] هو الذى شبه لهم فصلبوه وهو يقول : « إنى لست بصاحبكم أنا الذى دالتكم عليه »[١٧] •

وأيا ما يكن من أمر محاولة القتل والصلب والقاء الشبه فإن عيسى عليه السلام — عند المسلمين — نجا من القتل والصلب ورفع إلى السماء وقد جاء ذلك فى آيتين فى القرآن الكريم : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وما قتلوه يقينا •••• بل رفعه الله إليه » والآية الثانية : « إنى متوفيك ورافعك إلى » ولئن كان النص حاسما فى نفى القتل والصلب فانه ليس كذلك تجاه الرفع كما يرى بعض العلماء الأن القرآن استعمل الرفع لرفع المكانة فى مثل قوله تعالى فى حق إدريس عليه السلام « ورفعناه مكانا عليا » وقوله تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » فالرفع هنا بمعنى القبول وإجزال الثواب •

واختلف المسلمون أيضا فى وفاة عيسى : « إنى متوفيك ورافعك إلى » فقال بعضهم هى وفاة نوم وقال آخرون : المراد إنى قابضك من الأرض فرافعك إلى فيكون شأن عيسى كشأن إدريس الذى لم يرفع ولم يمت وذهبت طائفة ثالثة إلى أن المقصود بقوله إنى متوفيك وفاة موت ويستندون فى ذلك إلى ما روى عن ابن عباس ووهب بن منبه من أن الله توفى عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه • وترى

---

(١٦) المقصود به يهوذا الاسخريوطى •

(١٧) تفسير الطبرى ١٤/٦ ، ١٥ هذا ورغم انكار المسلمين لنهاية عيسى المأساوية فى الصلب والقتل فان ذلك لم يمنع اللاشعور الجماعى من الاحتفاظ بانموذج الصلب الذى رسمته الأناجيل فبرزت ملامحه بصفة خاصة فى بعض الروايات التى سجلت مأساة الحلاج على نفس النمط الذى دون به النصارى محنة عيسى انظر مثلا رواية ابن خفيف لصلب الحلاج فى :
Massignan Textes Inedits p. 64 — 63.

طائفة رابعة أن الرفع سابق للوفاة التى ستكون بعد نزول عيسى فى آخر الزمان وقتله الأعور الدجال[١٨] .

ونزوله آخر الزمان لم يتحدث عنه القرآن وإنما جاء فى السنة النبوية وأنه عليه السلام ينزل داعيا الى الخير عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأن نزوله علامة من علامات الساعة ، ولكن البعض يشكك فى الأحاديث الواردة بنزول عيسى وأنها وضعت فى الأوساط السنية كرد فعل إزاء اعتقاد الشيعة فى المهدى المنتظر . غير أننا نعرف أن انتظار عودة المسيح إلى الأرض قد عرف عند المسلمين سنة وشيعة قبل ظهور عقيدة المهدى المنتظر[١٩] .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليبزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن اقلاص [جمع قلوص وهى الناقة الشابة] فلا يسعى إليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى الماء فلا يقبله أحد » . وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قال : والذى نفسى بيده ليهان ابن آدم بفج الروحاء [طريق بين مكة والمدينة كان طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج][٢٠] حاجا أو معتمرا أو ليثنينهما ولا ينزل بشرع مبتدأ فينسخ شريعتنا بل ينزل مجددا لما درس منها متبعها كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١٨) تفسير الطبرى ٩٦/١٦ ، ٢٨٩/٣ — ٢٩١ .

(١٩) يدل على ذلك مثلا ما أثبته المقدسى فى أحسن التقاسيم ص ٨١ « وقد اختلف الناس فى ترتيب قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه : فى رواية : النبى ومن ورائه أبو بكر ومن ورائه عمر وفى رواية مالك بن أنس : النبى غربى البيت ازاءه فضاء خلف النبى أبو بكر ، خلف الفضاء عمر ، والفضاء هو الذى ذكر لعمر بن عبد العزيز فلم ير نفسه له أهلا ويقال : فيه يقبر عيسى عليه السلام .

(٢٠) انظر معجم ياقوت .

كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم • وفى رواية « فأمكم منكم » قال ابن أبى ذؤيب : تدرى ما أمكم منكم ؟ قالت تخبرنى • قال : فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم[٢١] •

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها »[٢٢] إنه خروج عيسى عليه السلام من أعلام الساعة وروى خالد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء أخــوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم انه ليس بينى وبينه نبى وانه أول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام »[٢٣] •

وفى صحيح مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليزلن عيسى بن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى إليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ويدعون إلى المال فلا يقبله أحــد •

---

(٢١) تفسير القرطبى ١٠١/٤ •
(٢٢) الزخرف ٦١ •
(٢٣) تفسير القرطبى ١٠٦/١٦ •

« الانجيــــــل »

عنــد المســـلمين

الانطباع الذي يخرج به القارى المسلم للقرآن هو أن هنـــاك تماثلا كاملا بين الانجيل والقرآن من حيث أن كلا منهما رسالة من الله أوحى بها إلى رسوله كى يبلغها إلى الناس ويدعوهم إلى الحكم بما فيها « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »(١) .

وقد نصت آيتان من جملة اثنتى عشرة آية ورد فيها ذكر الانجيل على أن عيسى أوتى إياه : الأولى : قوله تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين »(٢) ، والثانية وصفت هذا الذى أوتيه بالبينات « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »(٣) .

ولم تثر هذه الفكرة عن الانجيل أية مشكلة فى ذهن المسلمين الأول ما دام القرآن عنوانا على التعاليم التى أوحى بها الى الرسول طيلة أكثر من عشرين سنة ولكن ما إن دون القرآن فى مصحف واحد رسمى خشية أن يختلفوا فيه اختلاف اليهود والنصارى(٤) حتى أصبح الفارق بينه وبين التوراة والانجيل بارزا للعيان ولم تزده الأيام إلا اتساعا .

فالانجيل الذى تحدث عنه القرآن الكريم غير الأناجيل التى عند النصارى لأن انجيل القرآن وتوراته أيضا لا يختلفان عن القرآن فى

---

(١) المائدة ٤٧ وانظر الآية ٦٦ ، ٦٨ من نفس السورة وكلتاهما تدعو النصارى الى اقامة التوراة والانجيل والعمل بهما .

(٢) المائدة ٤٦ وانظر الحديد ٢٧ .

(٣) مريم ٣ .

(٤) صحيح البخارى ٦/٢٢٦ ، الفهرست ٢٧ .

شيء إلا يسيرا فى بعض التشريعات فأم الكتاب أو اللوح المحفوظ هو أصل لها جميعا • أما أناجيلهم التى بين أيديهم فهى من وضع أصحابها فيما علموه أو استوحوه من انجيل عيسى الذى لا وجود له لأنه لم يكتب •

وأقدم ترجمة عربية للانجيل ظهرت فى بطريركية انطاكية ونقلت إلى بطريركية القدس المجاورة قبل حرب هرقل الفرس ، وربما وجدت إلى جانب ذلك ترجمة للاناجيل من زمن الجاهلية نقلت عن الأرامية الفلسطينية[٥] فقد أخبر صاحب الأغانى أن ورقة بن نوفل كان يكتب نسخا من الأناجيل[٦] •

وجاء فى صحيح البخارى : وكان « ورقة » امرؤا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب • وفى موضع آخر : وكان امرؤا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب[٧] •

كما ذكر أبو الفرج بن العبرى أن البطريرك اليعقوبى يوحنا الثالث قد قام بترجمة الانجيل الى العربية بين سنتى ١٠/٦٣١ ، ٢١/٦٠ بأمر من عمرو بن العاص[٨] • لكن لعل أقدم نص وصلنا هو الذى أثبته ابن هشام ت ٢١٨ فى السيرة عن انجيل يوحنا ، ونعرف أن ابن هشام لم يكن فى الحقيقة إلا ملخصا لسيرة ابن اسحاق ت ١٥٠ •

وعرفت نسخ من القرنين الثانى والثالث الأناجيل مترجمة الى العربية من اليونانية مباشرة وأخرى من السريانية وكذلك قطع من أناجيل

---

(٥) بروكلمان تاريخ الأدب العربى ٤/٩٠ هامش ٢ •
(٦) دائرة المعارف الاسلامية فصل انجيل ١٢٣٦ الطبعة الثانية •
(٧) ١/٣ ، ٩/٣٨ على التوالى •
(٨) دائرة المعارف الاسلامية فصل انجيل •

مترجمة من القبطية يعود تاريخها الى القرن الرابع وأثبت الجاحظ وابن قتيبة فى آثارهما الأدبية نصوصا يمكن ارجاع أكثرها الى مصادرها الانجيلية .

ويعرفنا على بن ربن الطبرى[٩] بمحتويات الانجيل وأهم الأسفار التى يحتوى عليها الكتاب المقدس . فيقول عن التوراة : ونجد عامتها فى انساب بنى اسرائيل ومسيرها فى مصر وحطها وترحالها وأسماء المنازل التى نزلوها وفيها مع ذلك سنن وشرائع تبهر العقول ويعجز عنها حول الرجال وطاقتهم ، ويقول عن الزبور : وأما الزبور ففيه أخبار وتسابيح ومزامير بارعة الحسن فائقة الحلاوة وليس فيها شىء من السنن والشرائع ، وعن كتب الأنبياء يقول : وأما كتاب أشعيا وأرميا وغيرهما من الأنبياء فجلها اعن لبنى اسرائيل وبشارات بالخزى المعد لهم وإزالة النعم منهم وإنزال النقم والسطوات بهم . ويتحدث عن الانجيل بصيغة المفرد فيقول : وأما الانجيل الذى فى أيدى النصارى فإن جله خبر المسيح ومولده وتصرفه وآداب مع ذلك حسنة ومواعظ كريمة وحكم جسيمة وأمثال رائعة وليس فيه من السنن والشرائع والأخبار إلا اليسير القليل .

والقرآن بجمع التوحيد والتهليل والثناء على الله عز وجل والتصديق بالرسل والانبياء والحث على الصالحات الباقيات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والترغيب فى الجنة والترهيب من النار ... وله من القلوب هذا المحل والجلالة والحلاوة بحيث فاقها من جميع الأوجه واشتمل على ما اختص به كل واحد منها .

أما أبو الحسن العامرى فقد اهتم بالتعريف بمحتويات العهد الجديد فقط مبرزا بالخصوص اشتمال رسائل بولس على ما يخالف الأناجيل فقال : «أما الأناجيل الأربعة التى كتبها تلاميذ المسيح

---

(٩) الدين والدولة ٤٥ ، ٤٦ .

أعنى متى ولوقا ومرقس ويوحنا فهى تشمل على أخبار المسيح عليه السلام وما جرت عليه أحواله من لدن مولده الى آخر أيامه مقرونا بذكر ما سمعوه من مواعظه وأمثاله وثنائه على الله تعالى جده وتسابيحه ثم لا يزيد عليه • ولقد صنف شمعون الصفا بعده كتابا غير أنه لم يودعه إلا أخبار تلامذة المسيح وما تصرفت عليه أحوالهم ثم تلاه فى التصنيف بولس وسمى كتابه « السليخ » وهو مشتمل على ما يخالف من الأشياء مخالفة ظاهرة وكل ما عدا هذين الكتابين من كتب النصارى فليس يزيد على الأناجيل الأربعة شيئا[١٠] •

ويذهب الحسن بن أيوب الذى كان نصرانيا وأسلم الى أن النصارى قد أحرقوا أسفار المسيح •

على أن من الواضح أن أخطر ما وقع فيه النصارى من التحريف كان على سبيل التأويل الفاسد لما جاء فى كتبهم بالوهية المسيح •

وسواء أكان التحريف تحريف نص أم تحريف تأويل فإن كاتبى هذه الأناجيل ليس أحد من خاصتهم ولا عامتهم عند النصارى بعدل ولا محمود ولا تقبل شهادته على يهودى مثله فكيف تقبل شهادتهم على الله تعالى وعلى رسله فى نظر الحسن بن أيوب[١١] •

وكذلك الأمر عند الجاحظ عندما يؤكد أنه ليس هناك ما يمنع أن يقول لوقا — وهو ليس من الحواريين — باطلا وقد كان يهوديا قبل ذلك بأيام يسيرة[١٢] •

---

(١٠) الاعلام بمناقب الاسلام ٢٠٧ ، ٢٠٨ •

(١١) الجواب الصحيح ٢/٣٣١ ، ٣٦٣ •

(١٢) رد الجاحظ ٢٤ ولكن نرى انه ليس من الانصاف أن يذهب الجاحظ الى ذلك أو أن نوافق عليه وأن نلصق تهمة الكذب والتحريف ببعض كاتبى الاناجيل بسبب أنهم كانوا قبل ذلك يهودا ونحن نعرف أن عيسى عليه السلام أرسل الى بنى اسرائيل ونعرف أن أصحاب كل نبى كانوا على وثنية وضلال قبل مجيئه . فلينح هذا السبب وليبحث عن أسباب أخرى غيره •

وقد أخذ القاضي عبد الجبار هذه الفكرة وزادها قليلا فيذكر أنه « عند هؤلاء الطوائف من النصارى أن هؤلاء الأربعة أصحاب المسيح وتلاميذه ، وهم لا يعلمون ولا يدرون من هم ولا معهم فى ذلك إلا الدعوى فقط ، بل قد ذكر لوقا فى انجيله أنه ما رأى المسيح قط فقال لوقا مخاطبا الذى عمل له انجيله[١٣] — وهو آخر من عمل من الأربعة — عرفت رغبتك فى الخير والعلم والأدب فعملت هذا الانجيل لمعرفتى ولأنى كنت قريبا الى الذين خدموا الكلمة ورأوها[١٤] .

فهو قبل كل شىء قد أفصح بأنه ما رأى الكلمة (المسيح) ثم ادعى أنه رأى من رأى المسيح ، وليس ها هنا إلا دعوى بأنه رآهم ولو كان ثقة لما علم بخبره شىء ومع ذلك فقد ذكر أن انجيله أولى من انجيل غيره . فلو تأمل النصارى لعلموا أنهم ليسوا على شىء من هذه الأناجيل التى معهم ولا معهم علم مما يدعيه أربابها والواضعون لها[١٥] .

ولم يوجه النقد الى لوقا فحسب وإنما طعن فى الانجيليين الأربعة نظرا بالخصوص للاختلافات الموجودة بينهم .

ويرد الجاحظ على الذين يعترضون بأن أصحاب الأناجيل كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبا وأحفظ من أن ينسوا شيئا وأعلى من أن يغلطوا فى دين الله تعالى أو يضيعوا عهدا بقوله : « إن اختلاف رواياتهم فى الانجيل وتضاد معانى كتبهم واختلافهم فى نفس المسيح مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم »[١٦] .

ونجد فى التثليث تفصيلا لمـــا جاء مجملا فى رد الجاحظ على النحو التـــالى :

---

(١٣) يقصد « تاوفيلس » .

(١٤) لوقا ١/١ — ٤ .

(١٥) تثبيت دلائل النبوة ١٥٥ .

(١٦) رد الجاحظ ٢٤ .

« واعلم رحمك الله أن هذه الطوائف الثلاث من النصارى لا تعتقد أن الله أنزل على المسيح انجيلا ولا كتابا بوجه من الوجوه ... وإنما معهم أربعة أناجيل الأربعة نفر كتب كل واحد منهم انجيله فى زمانه وجاء من بعده فما رضى انجيل غيره وكان انجيله أولى ، وهم يتفقون فى مواضع ويختلفون فى مواضع وفى بعضها ما ليس فى بعض ، وهى حكايات قوم رجال ونساء من اليهود والروم وغيرهم أنهم قالـــوا كذا وفعلوا كذا ، وفيها من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البين شىء كثير وقد تتبعه الناس وأفردوه وإذا قرأه المتأمل عرف ذلك . وفيها شىء من كلام المسيح ووصاياه وأخباره قليل .

فانجيل منها عمله يوحنا وانجيل منها عمله متى ثم جاء بعدهما مرقس فما رضى بانجيلهما ثم جاء بعدهم لوقا فما رضى بتلك الأناجيل فعمل انجيلا آخر وكان عند كل واحد من هؤلاء أن صاحبه الذى تقدم وعمل انجيلا قد ضبط أشياء وأخل بأشياء وغيره أعرف وأضبط ، ولو كان من قبله قد ضبط وأصاب لما احتاج أن يعمل هو انجيلا آخر غير انجيل صاحبه ، وليس أحد هذه الأناجيل شرحا للآخر كما يشرح من تأخر كتاب من تقدم فيحكى كلامه على وجهه ثم يشرحه(١٧) .

فهو يعرض عرضا مجملا للعملية التى أدت إلى وضع الأناجيل الأربعة كما يوضح أن الاختلاف بين الاناجيل ليس مضطردا وأنه يوجد إلى جانبه اتفاق بينها فى مواضع واختلافها ليس يعنى دائما التناقض وانما قد يكون بأن يرد فى بعضها ما ليس فى بعض ومن الطريف ما لاحظه القاضى عبد الجبار من أن الأناجيل لا يشرح بعضها بعضا وإنما هى روايات متوازنة .

ولكن ما أثبته من أن « النصارى لا تعتقد أن الله أنزل على

---

(١٧) تثبيت دلائل النبوة ١٢٤ ، ١٢٥ .

المسيح انجيلا ولا كتابا بوجه من الوجوه » هو فى الحقيقة محور الخلاف الاسلامى المسيحى لكلام الله .

فالأناجيل ليست وحيا ولا كلاما إلهيا وما هى إلا تدوين لشهادات الأجيال الأولى من أتباع نبى الناصرة وللتأويلات الناشئة فى أوساطهم قبل أن تضفى عليها صفة القداسة بمرور الزمن ، والعقائد المسيحية خاصة منها ما يتعلق بشخص عيسى عليه السلام سابقة لوضع الأناجيل . بينما القرآن هو المنطلق والمرجع فى العقائد الاسلامية واعتبارا لظروف تدوينه وحرص الجيل الاسلامى الأول على ألا يختلف فيه فإن صفته ككلام الهى لم تكن البتة محل أخذ ورد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[١٨] .

وقد أشار القاضى فى النص السابق عرضا بقوله : « وقد تتبعه الناس وأفردوه الى وجود مؤلفات اسلامية سابقة خصصت لبيان مظاهر التحريف التى فى كتب النصارى .

والخلاصة أن الأناجيل ليست سوى عمل بشرى قام به فريق من النصارى الموالين للروم دون موافقة الأوفياء منهم للانجيل الصحيح مما أدى الى فوات الانجيل الأصل وتعدد الكتب التى عوضته[١٩] .

ولعل هذا كان صدى للخصومة التى اندلعت فى وقت مبكر فى تاريخ المسيحية بين اليهود والمتنصرين من جهة والوثنين المتنصرين من جهة أخرى وخاصة حول الاشتراك فى الطعام ومسألة الطهارة الطقسية .

وقد تتبع كل من ابن حزم ٤٥٦ فى كتابه الفصل والجوينى ٤٦٨ فى كتابه شفاء الغليل مواطن الطعن فى الأناجيل ومظاهر الاختلاف والتناقض التى تحتوى عليها .

---

(١٨) انظر : المغنى ١٤٢/٥ ، ١٤٣ .

(١٩) التثبيت ١٥٢ ، ١٥٣ .

ويعتبر بولس — فى نظر الكثيرين — المسئول الرئيسى عن ابتعاد النصارى عن الدين القديم فقد اتسم سلوكه — عند بعضهم — بالنفاق والانتهازية فكان يمدح التوراة لليهود ويقول لهم إنها سنة حسنة لمن عمل بها ويذمها للروم وغيرهم من أعداء موسى والأنبياء مدعيا أنهـا مهيجة للبشر وأن وضع شرائعها عن الناس به كمل بر الله وتم فضله وقد اعترف هو نفسه بذلك حين صرح : كنت مع اليهودى يهـوديا ومع الرومى روميا ومع الأرمانى أرمانيا[٢٠] •

وهو الذى حرم الختان استجابة لرغبة الروم التى تكرهه شديدا فى الرجال والنساء • فقالوا له فى ذلك فقال : نعم • هو ما ترون وما يجب عليكم ختان وإنما على بنى اسرائيل فإنها أمة قلفتها فى قلوبها •

وكان الخنزير حراما وسألته الروم — وكانت تأكله — فقال ما هو حرام وما يحرم على الانسان شىء يدخل جوفه وإنما يحرم عليه الكذب الذى يخرج منه •

وكانت الروم تصلى إلى مشرق الشمس ولا ترى وجوب الوضوء ولا غسل الجنابة ولا الحائض وكانت تزوج الوثنيين وسائر الأمم وبنو اسرائيل لا تفعل ذلك فقالت الروم لبولس فى ذلك فقال : تزوج المؤمنة بالكافر فإنها تطهره ولا ينجسها والولد بينهما يطهر •

وأحل لهم الخصاء وقد كانوا يخصون أبناءهم ويسلمونهم للبيعة وليس الخصاء من شريعة التوراة ولكنه عرف ببلاد الروم والحبشة وتعلمه الناس منهم •

ويتحمل « قسطنطين » ابن هيلانة الحرانية مع بولس قسطا وافرا من المسئولية فى العزوف عن دين عيسى فقد أقام ديانات الروم على

---

(٢٠) رسالة بولس الأولى الى الكورنثيين ٩/١٩ — ٢٢ •

حالها كما كانت وما أزال إلا عبادة الكواكب وما زاد إلا تعظيم المسيح والقول بربوبيته وتعظيم الصليب[٢١] ، وكانت نتيجة ذلك أن النصارى ترومت ولم تتنصر الروم •

ولم تقف عملية التبديل فى عهد قسطنطين بل تفاقمت بعده ولكنها اتخذت شكلا جديدا عن طريق عقد المجامع التى ادعت مشروعية التحليل والتحريم •

---

(٢١) التثبيت ١٦٢ •

الانجيـــــل

عنــد النصــــارى

أعمدة المسيحية هى الأناجيل الأربعة ثم أعمال الرســل ثم الرسائل التى كتبها رسل المسيح •

والانجيل كلمة يونانية تعنى البشارة • وبينما يخبر القــرآن أن المسيح تلقى كتابا من الله بهذا الاسم فان المسيحيين يعتبرون المسيح الها وابن إله ويرون ــ تبعا لذلك ــ أن كلامه مقدس وكل ما قاله انجيل •

وقد حدث بعد مرور نصف قرن على المسيح أو أكثر أن كتبت الأناجيل كتبها جماعة من النصارى الذين عاشوا فى القرن الأول ركزوا فيها على ميلاده وبداية حياته ثم اعلانه دعوته ونهايته على الصليب دون أن يضمنوها كثيرا من تعاليمه فهى فى جملتها كتب سيرة وتلخيص حياة •

وكانت الأناجيل كثيرة جدا لكن الكنيسة اختارت أربعة منها ــ اختيارا غير معلل ــ وتركت الباقى(١) •

ويركز دارسو الأناجيل على ثلاثة منها هى انجيل متى وانجيــل مرقس وانجيل يوحنا أما انجيل لوقا فيدعونه لدرس خاص به لأنه تلميذ بولس ولم ير المسيح فكتابته صدى لما سمع واقتنع به من استاذه •

أما الأناجيل الثلاثة التى ركزوا عليها فهى :

---

(1) See Invitation to the New tastament twelf.

١ ـ انجيــل متى :

ومتى اسم لعشار كان يضع مكتبه أمام بحر الجليلى بكفر ناحوم ليجمع الضريبة الدولة الرومانية ، واسمه الأصلى « ليفى » وكلمة متى تعنى « هبة الله » وقد مر المسيح بهذا العشار فوقف أمامه ، ثم قال : اتبعنى فترك مكتبه وتبعه •

كان متى آثما فيما وصفه به الذين كتبوا عنه ولكن لا يعــرف من آثامه إلا أنه كعشار كان يجمع الأموال الكثيرة من الناس فيعطى الحاكم الضريبة المقررة له ويستبقى ما يزيد لنفسه فكان الثراء من الحرام باديا عليه[٢] •

وقد اقترح عليه بعض رفاقه أن يكتب لهم حياة المسيح ميلاده وأعماله وموته فكتب انجيله هذا ، واختلف الدارسون فى تعيين التاريخ الذى كتب فيه بين سنتى ٦٥ ـــ ١٠٠ واختلف أيضا فى اللغة التى كتب بها فقيل كتب باللغة العبرية ليقرأه اليهود المؤمنون به وقيل كتب بالأرامية للسبب نفسه لأن الأرامية كانت هى الشائعة وليســت العبرية ، وقيل بل كتب بالسريانية ، ولكن اللغة التى كتب بهــ أصلا فقدت وظهرت بدلا منها نسخة يونانية • وهذه أيضا لا يعرف من ترجمها ولا متى تمت ترجمتها ومن ثم فلا تعرف مدى قدرة المترجم على الترجمة أو أمانته فيها[٣] •

ومتى نفسه كان يبشر بالمسيحية فى الحبشة ويقال إنه ذهب الى فارس ثم عاد الى الحبشة فناقشه الناس فى سلسلة النسب التى ذكرها فى أول انجيله لمريم ثم لم يرضوا عن كتابه فقتلوه[٤] •

---

(2) The twelf pestles, p. 22.

(3) Thoughy and Mcadem belief all the artielve, v. 2. وقارن بما فى Invitation 209

(٤) انظر رد مفتريات المبشرين على الاسلام للدكتور عبد الجليل شلبى ص ١٠٧ مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الثانية ١٩٨٥ ـــ ١٤٠٦ •

هذا مجمل ما جاء عن هذا الانجيل فى الكتابات التقليدية ، أما الباحثون المحدثون فقد أثاروا حوله عدة ملاحظات من أهمها :

أن كاتب هذا الانجيل يهودى مسيحى اعتمد على نصوص العهد القديم فى أماكن كثيرة وكان من طائفة من اليهود تنترع الى البعد عنهم ولكنها تتمسك بالكتاب المقدس[٥] .

ولكن هذه الملاحظة تؤدى الى ملاحظة أخرى وهى أن متى لا يمكن أن يكون عشارا لأنه متعمق فى دراسة العهد القديم والعشارون ليسوا على هذا الحظ من الثقافة ، ثم إنه يعرف عددا من اللغات اليونانية والأرامية والعبرانية . وتبدو عليه مهارة المدرس وحذقه فى تفهم أقوال المسيح ، وهذه الصورة لا تنطبق على محصل ضرائب . كما يبدو أنه هو ومرقس ولوقا اعتمدوا على مراجع متحدة وإن اختلفت تعبيراتهم .

وبناء على هذه الملاحظات وملاحظات أخرى رأى كولمان أن كاتب هذا الانجيل غير معروف الشخصية ، وقد كان آباء الكنيسة الأولى (أوريجين وجيروم) يعتقدون أنه حقا « ليفى » المحصل ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا فى العصر الحديث . وأورجين وهو أشهر الآباء القدامى كافة كان ذا صلاح وتقوى ولكنه كان ذا غفاة بدليل ما فعله بنفسه[٦] .

وقد أكثر الأب « كانينجر » الاستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس من إيراد الأدلة على أن نسبة هذا الانجيل لمتى الحوارى غير صحيحة . ثم أبدى نقدا آخر للانجيل وهو إيراده روايات يصعب تصديقها خصوصا عن قيامة المسيح من قبره . اذ يذكر انشقاق حجاب الهيكل وتزلزل الأرض وتشقق الصخور وتفتح القبور وخروج كثير من

---

(٥) موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والانجيل ٨٠ وما بعدها .

(٦) جب نفسه اخذا بظاهر قول المسيح أن هناك قوما يحبهم الله وقوما يحبون أنفسهم وأدرك بعد ذلك خطأه .

القديسين الراقدين الذين خرجوا بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة أمام الكثيرين[٧] •

وعند فجر الأحد نزل ملاك الرب وفتح قبر المسيح فخـافه الحراس ولكنه آمن مريم المجدلية ومريم الأخرى اللتين كانتا جالستين تجاه قبره وقال لهما : انه المسيح قد قام من قبره اذهبا إليه فى الجليل وها هو ذا القبر خال ، ولما ركضتا بخوف وفزع إلى الجليل قابلهما يسوع نفسه فى الطريق وأمرهما أن يخبرا تلاميذه ليقابلوه هناك • أما الحراس فذهبوا الى رؤساء الكهنة ليخبروهم بما حدث فقـدم لهم الكهنة رشوة سخية ليقولوا إن تلاميذه سرقوه فى غفلة منهم •

وأما التلاميذ الأحد عشر فذهبوا الى الجليل ورأوه ولكن بعضهم شك فقال لهم : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وهأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر •

وهذه القصة لم تثبت — فى نظر بعضهم — عند التمحيص إذ كان الأمر يقتضى أن يذهب الحراس إلى رؤسائهم لا إلى الكهنة وكان ظهوره وحدوث كل هذه الظواهر الشاذة يحتم أن يؤمن به كل الناس حتى أعداؤه اليهود رهبة من هذه الخوارق[٨] •

ويلاحظ الأب « روجى » أن قيام المسيح من قبره فجر السبت وكان دفن قبله بيوم يجعل مدة دفنه ليلتين ويوما — هذا — مع أنه وعد تلاميذه أنه يمكث فى القبر ثلاثة أيام مدة مكث يونس فى بطن الحوت •

فانجيل متى — على هذا — ليس من عمل تلميذ المسيح وهو انجيل لعب فيه خيال كاتبه واحتوى أحداثا لا يقبلها المنطق •

---

(٧) انظر اصحاح ٢٧/٥١ — ٦٦ واصحاح ٢٨ بأكمله من هذا الانجيـل •

(٨) يوكاى ٨٢ ، ٨٣ •

يضاف إلى ذلك أمران : أولهما : أن سلسلة النسب التى جاءت فى أوله تختلف عما كتب لوقا ، وأنه فى مجمله يتحدث عن المخلص المنتظر الذى كان ينتظره اليهود فهو امتداد له أو أقرب أن يكون امتدادا للعهد القديم •

الأمر الثانى : أنه كتب فيما فهم بعض الباحثين لغرض سياسى • إذ تبرز فيه حماية الله للشعب اليهودى الذى كان يعمل على التخلص من حكم الرومان •

وأمام هذه الشكوك تأتى أقوال متضاربة عن البلد الذى كتب فيه • يقول موريس بوكاى عن متى : إنه لم يعد مقبولا اليوم القول بأنه أحد حواريى المسيح ، وهذا مما يفقده قداسته بل يفقد الثقة فيه مع أنه أهم الأناجيل الأربعة بالنسبة للتاريخ اليهودى والمسيحى وقد وضع فى رأس القائمة منها ، وفهم الكثيرون من هذا الوضع أنه أول الأناجيل كتابة وليس الأمر كذلك لأن انجيل مرقس أسبق منه •

٢ ــ انجيــل مرقس :

لم يكن مرقس من تلاميذ المسيح وحوارييه الاثنى عشر ولكنه كان من السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس وأمروا بنشر الرسالة وتطبيقها وهو ابن أخت برنابا الحوارى الرسول وبرنابا فيما يقال هو الذى صدق بولس حين كذبه أصحاب المسيح فيما ادعاه من هبوط المسيح عليه ، وهو الذى جاء الى مصر يبشر بالمسيحية وكانت أنباؤها قد سبقته •

وكانت نهايته أنه سجن وشد من عنقه بحبل حتى مات •

والحديث عن انجيله كثير الاضطراب فهناك كتاب يرون أنه أول انجيل كتب وأنه كتب باللغة اليونانية بيما يرى غيرهم أن انجيل متى كتب قبله •

وقد أغفى مرقس عن ذكر ميلاد المسيح وبدأ بالحديث عن تعميده من يوحنا المعمدان وجاءت الأحداث التى ذكرها عن المسيح غير مرتبة حسب الترتيب الزمنى . ويقال إنه رواه عن بطرس كبير الحواريين وكل ما جاء فى هذا الانجيل مضمن فى انجيلى متى ولوقا .

ويضطرب الكتاب أيضا فى تحديد كتابته بين سنتى ٦٠ ، ٨٠ ويقال إن بطرس نفسه مات سنة ٦٣ . وفى أوائل القرن العشرين قرر النقاد اللاهوتيون أن انجيل مرقس قصة من عمل جماعة لم ير واحد منهم الآخر وأنها روايات جمعت بدون ترتيب وأنه لا يمكن أن ينظر إليها كمصدر حقيقى لحياة المسيح .

ومما يذكر أن مرقس كان ينكر الوهية المسيح ويقرر أنه مجرد بشر وكان استاذه بطرس يقرر هذا[٩] .

وبينما يذكر متى قصة قيامة المسيح على النحو الذى سلف فإن مرقس يذكرها على نحو آخر إذ يروى أن ملاك الرب كان جالسا داخل القبر وأنه ظهر أولا لمريم المجدلية ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنين من تميذه ثم ظهر للأحد عشر ووبخهم لعدم ايمانهم بظهوره ثم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله[١٠] .

ولم يقطع أحد فى مرقس هذا أهو تلميذ من تلاميذ المسيح أم تلميذ لبعض تلاميذه والكثيرون يرون أنه لم ير المسيح أصلا .

ودراسة هذا الانجيل تظهر أنه قد أضيف اليه شىء عن خاتمة المسيح فى الاصحاح السادس عشر لأن هناك مخطوطتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع ليس بهما هذه الزيادة ، وهذا يعنى أن النصوص

---

(٩) انظر المسيحية للدكتور أحمد شلبى ومحاضرات فى النصرانية للشيخ ابو زهرة .

(١٠) انظر اصحاح ١٦ من انجيل مرقس .

المقدسة عدلتها يد بشرية فى أزمنة مختلفة وهو ما يتعجب منه موريس بوكاى[١١] .

ومن التضارب بين هذا الانجيل والأناجيل الأخرى ما جاء فى الاصحاح الثامن[١٢] أن المسيح قال لجماعة من الفريسيين : « لن يعطى هذا الجيل آية » بينما جاء فى انجيل لوقا : لن يعطى إلا آية واحدة هى آية يونس وفى انجيل لوقا أيضا فيض من المعجزات وهذا يؤدى إما إلى كذب الانجيل أو نفى المعجزات .

٣ ــ انجيــل لوقــا :

لوقا رجل من أنطاكية ليس يهوديا ولا فلسطينيا كان طبيبا وقيل بل كان مصورا وهو من تلاميذ بولس .

وقد فصل القس ابراهيم سعدة من كتبت لهم الأناجيل فذكر أن انجيل لوقا هذا كتب لليونان وانجيل متى كتب لليهود وانجيل مرقس كتب للرومان وانجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة وإن كان البعض يلاحظ أن اجيل لوقا كتب لكل الناس[١٣] .

ولوقا كتب أيضا أعمال الرسل واختلف فى تاريخ كتابة انجيله ما بين سنتى ٨٠ و ٨٥ ولو أن بعض الكتاب وضعه فى تاريخ متأخر عن هذا .

والظاهرة التى لاحظها الأقدمون هى أن هذا الانجيل حافل بالحديث عن العلاقات الاجتماعية وخصوصا بين الأغنياء والفقراء . وقد أقام الدكتور « دافنز » دراسة مطولة حول هذا الانجيل أثبت فيها

---

(١١) ٨٧ .
(١٢) ١١/٨ ، ١٢ .
(١٣) د. عبد الجليل شلبى ــ رد مفتريات المبشرين على الاسلام ١١٣ .

أن هناك اختلافات فى شخصية الكاتب وفيمن كتب لهم هذا الانجيل وفى تاريخه وأن صاحبه لم ير المسيح ولا تتلمذ على واحد من حوارييه وتعاليمه كلها من بولس[١٤] .

وذكر كولمان أن رواياته عن طفولة المسيح تختلف عما فى متى فكل منهما أعطاه نسبا يختلف عن الآخر[١٥] مما جعله موضع شك بل مما وضع الأناجيل كلها موضع الشك والارتياب .

٤ ـ انجيل يوحنا :

يوحنا أحد حواريى المسيح ابن صياد يدعى زبيدى وامرأة تدعى سالوم مر المسيح به وبأخيه وهما صبيان فتعلقا به وتبعاه وظل يوحنا يبشر بالمسيحية حتى مات طاعنا فى السن .

وانجيله هو الانجيل الوحيد الذى ينص صراحة على أن المسيح اله ولكنه لم يسلم من الشكوك والطعون وجاء فى دائرة المعارف البريطانية أنه مزور وأن مؤلفه شخص آخر انتحل اسم يوحنا الحوارى[١٦] واختلف فى تاريخ كتابته ما بين سنتى ٦٨ ، ٩٨ .

وأكثر الباحثين على أنه كتب لغرض خاص هو إثبات الوهية المسيح ولعله لهذا نسب الى أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر وإذن فأمره كما قال « ديفز » أن الكنيسة هى التى أخرجته لخدمتها فهو تابع لها وليست هى التابعة له . ويقول بوكاى[١٧] أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب . أما كولمان فيرى أن

---

(١٤) السابق ١١٤ .
(١٥) بوكاى ٨٨ .
(١٦) محاضرات فى النصرانية ٤٩ .
(١٧) ٤٩ .

له أغراضا لاهوتية خاصة وأنه يضع على لسان المسيح ما يدعى أن روح القدس نفسه هو الذى أنزله[١٨] •

ولم يحو انجيل يوحنا كل ما روت الأناجيل الأخرى وقد أهمل رواية تأسيس القربان المقدس وهو ركن ذو شأن فى المسيحية كما أن به روايات لم ترد فى الأناجيل الأخرى ودراسة هذه الموازنة قد تطـــول •

وبينما يلاحظ من الأناجيل الثلاثة تحديد رسالة المسيح بزمن لا يتجاوز العام يلاحظ من انجيل لوقا أن بعثة المسيح دامت أكثر من عامين •

وقد ختم بوكاى حديثه عن هذا الانجيل بتلك العبارة : « إذن فمن يجب أن نصدق ؟ أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا •

ومما يسترعى النظر أن تلاميذ المسيح الذين رافقوه فى تنقلاته وأكلوا معه وباتوا وأصبحوا أنكروه عندما ظهر لهم بعد دفنه وحتى مع تكرر ظهوره لم يكونوا يعرفونه وكان يوبخهم تارة ويظهر لهم أثر الصلب فى جسده والمسامير فى يديه تارة أخرى كى يعرفوه •

وليس هناك توضيح كاف عن حياته بعد موته بل هناك تضارب هل نظرت مريم المجدلية وراءها فرأته هل رآه أيضا تلميذه والرفيق الذى كان معه ؟ وهل ذهب توا الى أمه واخوته ليبشرهم ؟ وهل ظهوره فى أرض الجليل كان مقصورا على تلاميذه أم رآه الناس جميعا وقام له قوم من قبورهم •

أقوال متضاربة فى الأناجيل والذى يتبادر إلى الذهن من اختلافها فى هذا الحادث وإيهام أهم موقف فيه أنها كانت أحاديث شفوية داخلها الخيال فجاء أصحاب الأناجيل فأخذ كل بما سمع وارتضى •

---

(81) The Modern thoght and belief.

الأناجيل المحـــذوفة :

معروف أنه كان يوجد خلال القرن الثانى عشر الميلادى عدد من الأناجيل ولكن المجمع المسيحى فى نيقية اختار منها الأربعة الســالفة الذكر واعتبرت الأخرى غير قانونية وقد ذهبت هذه الكثرة إذ قرر المجمع اعدامها ، لكن عثر أخيرا على مزق منها وبعضها يذكر ميلاد المسيح على نحو ما جاء فى القرآن من أنه ولد من غير أب •

وأهم هذه الأناجيل المفقودة هو انجيل عيسى الذى يشير اليه مرقس فى قوله : « قـــد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل »[١٩] وأناجيل كثيرة وجدت أسماؤها ولم يوجد منها كاملا إلا انجيل برنابا •

وكثيرون من الباحثين المسيحيين أشاروا إلى كم التناقضـــات الموجودة فى الأناجيل ودلوا على مواضعها فى كل انجيل[٢٠] •

أما بولتمان فيرى أن الحكم والأمثال الكثيرة التى تذكرها الأناجيل موجودة من قبل فى العهد القديم وفى اللغة الأرامية وقد نسبت الى المسيح من الأتباع المتأخرين وأن القوانين والأحكام التى تنسبها إليه الأناجيل أكثرها مما اخترعه الأتباع اختراعا ولم تكن من كلامه وتبدو عليها الصبغة الهيلنية وضرب لذلك أمثلة بما فى مرقس الاصحاح الثانى والاصحاح السابع[٢١] حيث تبدو النزعة الفلسفية والغنوصية •

---

(١٩) مرقس ١/١٥ •

(٢٠) انظر مثلا قصة مقابلة المسيح للانسان الذى تلبسه الشيطان فى متى ١٢/٨ — ٢٩ وفى مرقص ١/٥ وفى لوقا ٢٦/٨ — ٣٠ تجد اختلافا واسعا فى سردها وايرادها •

(٢١) ١٧/٢ ، ١٥/٧ •

والنص الأول يتحدث عن قصة نفر من الفريسيين والكتبة رأوا تلاميذ المسيح يأكلون بأيد دنسة غير مغسولة فعابوا عليهم ذلك ولكن المسيح وبخهم بأنهم يتمسكون بتعاليم البشر بينما تركوا وصية الله وقال : ليس شر من خارج الانسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الانسان لأن ما يدخل الانسان من الخارج يدخل إلى الجوف لا إلى القلب أما الذى يخرج فانه يخرج من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : زنى قتل سرقة تحريف جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الانسان •

والنص الثانى جاء فى حادثة أخرى حيث كان المسيح يجالس العشارين والخطاة ويأكل معهم فعابوه فقال : لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى لم آت لأدعوا أبرارا بل خطاة •

وكثيرون يرون أن كل هذه الأفعال وربما الأحداث من وضع المتأخرين قد تذفوها — أرامية أحيانا ويونانية أحيانا أخرى — فى فم المسيح ليكسبوها قداسة •

وأخيرا فليست الأناجيل ولا انجيل عيسى عليه السلام معجزة يتحدى بها كما هو الحال مع القرآن الكريم •

الخاتمــــة

الحمــد لله رب العالمــين .. وبعد :

فيما يتفق نيه النصارى مع المسلمين فى شأن عيسى عليــه السلام أنه ولد على غير شاكلة الناس — من غير أب وأنه عــاش سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين وأنه وجيه عند الله فى الدنيــا والآخرة وأنه أتى بالانجيل وصدق بالتوراة وجاء بشريعة دعــا الناس اليهــا .

وأن اليهود اضطهدوه وكذبوه وأرادوا صلبه وقتله وصلبوه وقتلوه عند النصارى ، ورفعه الله عند المسلمين .

واختلفوا فيما وراء ذلك ومحور اختلافهم فى شأنه علاقته مع غيره مع آدم ومع البشر ومع الله . فعلاقته بآدم عند النصــارى ليست علاقة أبوة وبنوة وإنما علاقة تكفير عن الخطيئة ، وعلاقتــه بالبشر ليست علاقة أخوة وإنما علاقة فداء ، وعلاقته بالله ليست علاقة عبودية ونبوة ورسالة وإنما علاقة نبوة والوهية ، ومن هذه العلاقات نشأت جميع الاختلافات بين المسلمين والنصارى فى عيسى وما جاء به ، وكل يرى أنه الحق : النصارى لأنهم قومه وأتباعه وأقرب الناس إليه عرفوا ذلك من حوارييه الذين عاصروه وعاشوا معه وكانوا أقرب الناس إليه وألصقهم به ، ومن الأناجيل وهى ثقة عندهم ، والمسلمون عرفوا ما عرفوا مما جاء به القرآن فى حقه وشأنه ومن أصدق من الله قيلا !!

وكنا نستطيع أن نعفى أنفسنا من المقارنة ونلتزم بما جاء به القرآن ، ولكننا نريد أن ننصف القوم ونتحاكم الى العقل ولا نحكم عليهم بالقرآن وإن كان هو الحكم العدل .

فهل يعقل أن يمر إله بمراحل العمر فيكون جنينا وطفلا وشابا ورجــلا ... !!

وهل يعقل أن يكون إله يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ؟

وهل يعقل أن يكون إله يعجز عن قضاء حاجات نفسه ويحتاج إلى معونة الآخرين !

وهل يعقل أن يكون إله لا يستطيع أن يدرأ عن نفسه العذاب والألم !

ثم هل يعقل أن يذنب آدم فيأثم بنوه أو يذنب آدم فيكفر غيره وعندهم أن النفس التى تذنب هى تموت وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ! • وماذا عمن وجدوا بين آدم وعيسى أهم آثمون أم مفتدون ؟؟

وهل يعقل أن يلد البشر الها أو يتولد الاله من إنسان ؟ نعرف أن الانسان مخلوق من طين والملائكة من نور وإبليس من نار فمم خلق عيسى ؟ أمن طينة أمه أم من نور جبريل أم هو إله خالق وليس مخلوقا !!

وأين كان قبل أن تلده مريم أفى الأرض يتقلب فى الأرحام أم فى السماء يتلألأ بين الأنوار أم لم يكن شيئا مذكورا ؟

والغريب أن من يقولون إنه بشر ينفون عنه الصلب والقتل ، ومن يقولون إنه إله يقومون بصلبه وقتله إله يموت !! لا تتحمله عقول البشر •

ولماذا كل ذلك الأنه من غير أب فماذا عن آدم وماذا عن حواء ؟

لم نر انسانا يتولد من ملاك ولا جانا يتولد من انسان فكيف يعقل أن يتولد من إله إنسان !

ثم ما طبيعة أم الاله أهى كذلك أم ليست من طبيعة الاله ؟

وهل تجربة عيسى ستتكرر وتكون ثمة الهة على الأرض أم هى تجربة فريدة اختص بها ؟ • واذا وجد من البشر الهة أفيجوز أن يوجد ذلك فى كائنات أخرى ؟؟

وهل عيسى إله فقط أم نبى ورسول أيضا ؟

وهل الانجيل موحى إليه أم موحى منه أم أنه هو الانجيل ؟

أو ليست الملائكة أقرب أن يكونوا الهة من البشر ؟

أمن أجل الخطيئة وجد آدم ومن أجل آدم وجد عيسى . فآدم وجد ليخطىء لا ليعمر الأرض ويخلف الله فيها وعيسى وجد ليكون كفارة وفداء لا ليكون نبيا ورسولا !!

وهل لابد أن يكون التكفير بصلب الاله أو ابن الاله أفلا كان من الممكن أن يكون بغير ذلك أو بدونه !!

وآدم خالف النهى وكم من نهى خالفته ذريته من بعـــده فما الفرق ؟ ناهيك عما تحدث به القرآن من أنه نسى ولم نجد له عزما وأنه تلقى كلمات من ربه فتاب عليه .

ولماذا لم يعاقب الله آدم بذنبه ويقتص منه باثمه أم أنه فوق العقاب والمؤاخذة . أم تراه سبحانه لم يشأ أن يعاقب آدم حتى لا يتحقق ظن الملائكة أو تراه لم يشأ أن يعاقب آدم ليكون أذل لابليس . أم ماذا ؟

لقد وكز موسى الفتى بعصاه فقتله فماذا فعل الرب ؟ وقتل أحد ابنى آدم أخاه فماذا فعل ؟ أيهما أشد القتل أم الأكل . كلاهما منهى عنه لكن القتل أشد !

وكيف يكون الله غفورا رحيما وهو يأخذ البشرية جمعاء بذنب أبيها وكيف يكون عادلا من يعفو عن الآثم ويأخذ البرىء أو يأخذ البرىء بذنب المخطىء !!

ثم هل كان يعرف عيسى أنه إله أو ابن إله واذا كان يعـــرف فلماء خشى القتل والصلب ؟

والذين صلبوا الاله وقتلوه أعاصون أم طائعون ؟!

أنهم يرون أنهم قتلوه لأنه كان يجدف على الله ويدعى ملك بنى اسرائيل فطاردوه وحاصروه وصلبوه وقتلوه !

وإذا كان من أجل الفداء وجد عيسى فلماذا لم يتقدم بمحض إرادته فى موقف معين ووقت معين ويعلن أنه سيقدم نفسه للصلب والقتل ليفتدى البشرية الآثمة ؟ !

أو كان عيسى يعرف أنه سيصلب ويقتل أصلا أم أنه لم يعرف إلا حيث جدت الحوادث !!

قبر عيسى وقام وكرز بعد ذلك فلماذا كان هذا فى السر دون العلن أم خشى أن يصلب ثانية ويقتل !!

وماذا عن الذين صلبوه وقتلوه بعد أن عرفوا قيامته أما كان أولى بهم أن يسارعوا إليه ليغفر لهم خطأهم أو خطيئتهم !!

وماذا عن عيسى يوم القيامة أهو عبد محاسب أم رب محاسب أم بين بين يجلس عن يمين أبيه • وهل سيحاسب آدم مرة أخرى وهل الذى سيحاسبه الله الآب أم الله الابن وإذا كان عيسى ذا طبيعتين فهل عيسى الرب سيحاسب عيسى الانسان أم سيعفيه من الحساب ، وهل سيحاسبنا يوم القيامة رب واحد أم ثلاثة أرباب ؟ !!

• • • • • • • •

وغير ذلك كثير من التساؤلات التى يمكن أن تثار فى هذه القضية والتى يقف العقل أمامها عاجزا حائرا ••• !!

وقد يقال إن هذه الأمور بعيدة ولكنها ليست مستحيلة عقلا • أو يقال أن أمور الدين لا تسعها العقول ولا ينبغى أن تتحكم فيها أو يقال غير ذلك ولا يسعنا عندئذ إلا أن نردد قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما
عندك راض والرأى مختلف

ونتمثل قول الله تعالى : « لكم دينكم ولى دين » •

ثبت بأهم المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- كتب الصحاح
- الكتاب المقدس [العهد القديم والعهد الجديد]
- الأناجيل الأربعة
- انجيل برنابا
- أعمال الرسل
- دائرة المعارف الاسلامية
- دائرة المعارف البريطانية
- القاموس المحيط
- لسان العرب

ـ ابن تيميــة : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، القاهرة ١٩٠٥ .

ـ ابن حــزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحــل ، القــاهرة ١٣٢١ هـ .

ـ ابن خلــدون : المقدمة ، طبعة مصطفى محمد ، القاهرة .

ـ ابن ســعد : طبقات ابن سعد ، بيروت ١٩٥٧ .

ـ ابن العبــرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ .

ـ ابن قيم الجــوزية : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، القاهرة ١٩٠٤ .

ـ ابن كثــير : تفسير القرآن العظيم .

ـ ابن النــديم : الفهرست ، طبعة فلوجل ، لايبزك ١٨٧١ .

ـ ابن هشــام : السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٧٩ .

ـ أبو العــلا عفيــفى : نظريات الاسلاميين فى الكلمة ، القــاهرة ١٩٣ .

ـ أبو حيــان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، بيروت .

: البصائر والذخائر ، دمشق ١٩٦٤ .

ـ أبو زهــرة : محاضرات فى النصرانية ، القاهرة ١٩٧١ .

ـ أحمد حجازى الســقا : أقانيم النصارى ، القاهرة ١٩٧٧ .

: نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٧٨ .

ـ أحمــد شــلبى : المســيحية .

: مقارنة الأديان ، الطبعة الخامسة .

ـ أحمد عبد الغفور عطار : الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة .

ـ اخوان الصفا : الرسائل ، القاهرة ١٩٢٨ .

ـ الباقلانى : كتاب التمهيد ، نشر يوسف مكارثى اليسوعى ، بيروت ١٩٥٧ .

ـ اعجاز القرآن ، القاهرة ١٩٥٤ .

ـ بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ، الطبعة الثانية ، الكويت ١٩٧٦ .

ـ التفتازانى : أبو الوفا الغنيمى : دراسات فى الفلسفة الاسلامية .

ـ الأب بولس الياس اليسوعى : يسوع المسيح .

ـ الجاحظ : حجج النبوة ضمن رسائل الجاحظ ، نشر السندوبى ، القاهرة ١٩٣٣ .

ـ الرد على النصارى ، نشر يوشع فنكل ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .

ـ رسائل الجاحظ ، القاهرة ١٩٦٤ .

ـ الجرجانى : التعريفات ، طبعة الحلبى .

ـ الجوينى : شفاء الغليل فيما وقع فى التوراة والانجيل من التبديل ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ جوبيروس اليافى : المسيح بن مريم ، بيروت ١٩٦٦ .

ـ حبيب سعيد : أديان العالم ، الكنيسة الأسقفية ، القاهرة .

ـ الحسينى : القاسم بن ابراهيم الحسينى ، الرد على النصارى ، نشره T. D. Matteo فى RSO فى سنة ١٩٢١ .

ـ قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .

— القس حنا جرجس الخضرى : يسوع والغيورون ، مجلة كلية اللاهوت للشرق الأدنى ١٩٨٠ .

— الخزرجى : مقاطع الصلبان ، تونس ١٩٧٥ .

— الخياط : كتاب الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد ، بيروت ١٩٧٥ .

— الرازى : التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، طبعة طهران .

— رحمة الله بن خليل الهندى : اظهار الحق ، القاهرة ١٩٦٤ .

— سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة : ترجمة حسن حنفى ، القاهرة ١٩٧١ .

— الشهرستانى : الملل والنحل ، القاهرة ١٩٦٨ .

— شارلى شابلن : مذكرات ، ترجمة صلاح حافظ ، طبعة الهلال .

— الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٧ .

— جامع البيان عن تأويل أى القرآن (تفسير الطبرى) القاهرة ١٩٥٤ .

— العامرى : أبو الحسن العامرى : كتاب الأعلام بمناقب الاسلام ، القاهرة ١٩٦٧ .

— القاضى عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة ، بيروت ١٩٦٦ .

— المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، القاهرة ١٩٦٥ .

— عبد الجليل شلبى : رد مفتريات المبشرين على الاسلام ، مكتبة المعارف بالرياض ، الطبعة الثانية .

— عبد الرزاق نوفل : يوحنا المعمدان ، النبى يحيى عليه السلام ، الطبعة الثانية .

- عبد المجيد الشرفى : الفكر الاسلامى فى الرد على النصارى ، تونس ١٩٨٦ ٠
- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، دار احياء التراث العربى ٠
- العـــراقى : د٠ عاطف ، تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ ٠
- العقـــــاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ٠
- اللــه ٠
- المســيح ٠
- على بن ربن الطبرى : الدين والدولة فى اثبات نبوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، القاهرة ١٩٢٣ ٠
- الرد على النصارى ، نشرة الأبوان : خليفــة وكونشك ، بيروت ١٩٥٩ ٠
- الغــزالى : أبو حامد : الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل ، باريس ١٩٣٩ ٠
- الفـــارابى : كتاب الملة ونصوص أخرى ، بيروت ١٩٦٨ ٠
- فتحى عثمان : مع المســيح فى أناجيله الأربعة ٠
- القرافى : شهاب الدين أحمد بن ادريس ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القاهرة ١٩٠٤ ٠
- القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٠
- الأب قنواتى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ترجمة الشيخ صبحى الصالح ٠
- الكنــدى : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى ، مقـــالة فى الرد على النصارى ٠

- الكنــدى : عبد المسيح بن اسحاق الكندى ، رسالة الكنــدى الى الهاشمى يرد بها عليه ويدعوه الى النصرانية ، لندن ١٨٨٥ .

- محمود أبو رية : دين واحد على ألسنة جميع الرسل ، القــاهرة ١٩٧٠ .

- المقــدسى : المطهر بن طاهر : البدء والتاريخ ، باريس ١٩١٠ .

- موريس بوكاى : القرآن والتوراة والانجيل ، دار المعارف ١٩٨٢ .

- ميخائيل نعيمة : من وحى المسيح ، بيروت ١٩٧٤ .

- الناشىء الأكبر : مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط فى المقالات ، بيروت ١٩٧١ .

- الهاشــمى : رسالة الهاشمى الكندى يدعوه بها الى الاســلام ، لنــدن ١٨٨٥ .

- اليعقــوبى : أحمد بن أبى يعقوب : تاريخ اليعقوبية ، بيروت ١٣٧٩ .

- وول ديورانت : قصة الحضارة .

المراجــع الأجنبيــة

— The Oxford Dictionary of the Church the particle Relagins.

— The Khoury les thelogiens byzanbinset.

— Sweetman G. W. Islam and Chrictian.

— Thedogy.

— Satry maged : Somporadoxical Implications of Moctozilite view of freo will. M. W. vol. X lili by Deboer.

— What. W. Free will.

— M. Abd Essalam. le themede mor dencle poesie Tunis 1977.

— Massignan Textes Inedits.

— R. Blochere la Coran traduction Paris 1989.

— Invitatron to the New tastament twelf.

— The twelf pestles.

— Thoughy and mcaden belief all the artielve.

فهرست الموضوعات

هـــذا الكتـــاب

* عرض للمسيحية لا من وجهة نظر مسيحية فحسب وإنما من وجهة نظر إسلامية أيضـــا .

* وبيان لأهم وجـــوه الاتفاق والاختلاف بين المسلمين والمسيحيين فى المســـيح والمســـيحية .

* ومحور الخـــلاف وسببه فى نفس الوقت هو أكل آدم من الشجرة المنهى عنها حيث اعتبره المسيحيون خطيئة بينما اعتبره المسلمون مجرد خطأ .

* وولادته من غـــير أب ، نسبه المسيحيون بسببها لله واعتبـــر المسلمون أن مثله فى ذلك كمثل آدم .

* وأفسح البحث للعقل مجالا أدار فيه حوارا هادئا مـــع كـــلا الطرفين .

* ومن خلال النصـــوص ومن ثنايا الحوار وجد أن الفـــرق بين الاعتقادين كبيرا .. والله أعلم .